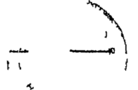


للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن

ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

إدارة الطباعة المنيرية

بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف

إدارة الطباعة المنيرية ـــ شارع الشيخ محمد عبده درب الأتراك نمرة ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكف ذوي الألباب، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب، وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب، وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب(١). أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب، وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب، فمسح الظلام بنور الهدى وكشف النقاب، وبين للناس ما نزل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب، وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها(٢) ولا سراب، فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن أعظم النعم على الإنسان العقل، لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعث الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم.

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسي بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام فكان يعلمهم عن وحي الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرد

---

(١) عاب عيبا فهو عائب والاسم عاب كما هنا

(٢) السرب محركة الوكر والسراب الذي يراه نصف النهار كأنه ماء. وإنما يشير المصنف إلى ما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم «وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»

قابل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضــــلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلا إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين

﴿ فصل ﴾ واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف فأقبل الشيطان يخلط بالبيــان شبهاً ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح جرداً[1] مضلا ، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة[2] والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعونهن الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس[3] فابتعث الله سبحانه

---

(١) يقال مكان جرد أى لا نبات فيه ، ويقال أيضا جرد بالمعجمة

(٢) هى الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء والبحيرة ينهونها بحر أذنها أى شق ويخلى مع أمها والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين ، فان ولدت فى الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جــــديا وعناقا قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادما لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء ناهيا عن كل شرك ، محببا فى كل جميل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أرواحا وأفرادا وانتشر فى جميع الأرض فى أقرب وقت انتشارا لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد واستمر على ذلك والناس يعتنقونه طوعا لا كرها إلى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا إليه ظاهراً وهم فى الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه فأخــــذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان نهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه واتخذها من جاء بعدهم ممن لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها إلى ربهم والله تعالى أعز شأنا من أن يعبد الناس بمثل هذه الضلالات

وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فرفع المنابح ، وشرع المصالح فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره فلما انسلخ نهار وجودهم أظلمت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلا مازال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له اللصوص فى ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده فان فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه فى الصحيحين من حديث حذيفة قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزار قال أخبرنا أحمد بن على الطريثيثى قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال بنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال والله ماأظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكا منى فقيل وكيف ؟ فقـــال والله إنه لتحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فاذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها

(فصل) وقد وضعت هذا الكتـــاب محـــذراً من فتنه ، ومخوفا من محنه ، وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحـا له فى خفى غروره والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده

ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها للأولياء تركوها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء طلبا منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكاوء بعينه أى ذهب فلو منعها من زرعه لا تسمع منه ذلك الولى تماما وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى « ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » اللهم وفق علماءنا وأمراءنا إلى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجـــه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً سيكشف مجموعها تلبيسه ، ويتبين للفطن تفهمها تدليسه ، فمن انتهض هزمه للعمل بها صح منه إبليسه والله موفقي فيما قصدت ، وملهمي للصواب فيما أردت

﴿ ذكر تراجم الأبواب ﴾

﴿ الباب الأول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي عن ابن إسحاق نا المبارك نا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطب بالجابيه فقال قام فينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من أراد منكم بحبوحة الجنة[1] فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا أحمد حدثنا جرير عن عبد الملك ابن عمير عن جابر بن سمرة قال خطب عمر الناس بالجابية ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في مثل مقامي هذا ، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن علي المديني نا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموي نبا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » حدثنا عبد الأول ابن عيسى نا أبو المظفر بن يحيى ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعه فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي نا عبد الرحمن بن أبي شريح نبا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة ، أخبرنا محمد بن عمر الأرموي والحسين بن علي المقري نا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الدارقطني نبا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثني أبي ثنا محمد بن يعلى نبا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقه عن أسامة ابن شريك ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعه ، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا أسود بن عامر نبا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، قال خط

(١) بحبوحه الدار وسطها يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ، ثم قال هذا سبيل الله مستقيما قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البختري بن عبيد ابن سليمان عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر الغورجي قالا أخبرنا الجراحي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت[1] على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرف إلا من هذا الوجه وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام فقال ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من

---

(١) قال أبو محمد المقدسي للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة وغيرهم

أمتي أقوام يجاري[1] بهم تلك الأهواء كما يجاري الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثيثي نا هبة الله بن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسي نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ، قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب ، قال عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار وإن اقتصاداً في سبيل وسنة ، خير من اجتهاد في إخلاف أخبرنا سعد الله ابن علي نا الطريثيثي نا هبة الله الحسن نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرفي ثنا عثمان بن أيوب نا إسحاق بن إبراهيم المروزي قال ثنا أبو إسحاق الأوزاعي قال سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الأصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي قال أنبأنا سفيان ابن عيينة ، قال سمعت عاصماً الأحول يحدث عن أبي العالية ، قال عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن ، فقال قد نصحك والله وصدقك أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو نا أبو إسحاق الفزاري قال قال الأوزاعي اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم

---

(١) يحذف إحدى التاءين أي يدخل ويسري تلك الأهواء أي البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب ، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحداً إلا كلب نسأل الله السلامة

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد ابن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور المروزي ثنا عبد الله بن عروة ، قال سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعي ، قال رأيت رب العزة في المنام فقال لي يا عبد الرحمن ، أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت بفضلك يا رب وقلت يا رب أمتني على السلام ، فقال وعلى السنة أخبرنا محمد ابن أبي القاسم أنبأنا أحمد ابن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا إبرهيم بن أبي عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكوني يقول حدثني أبي قال سمعت سفيان يقول لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن علي ثنا عمرو ابن عبدويه ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف ابن أسباط ، قال قال سفيان يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة أخبرنا سعد الله بن علي نا أحمد بن علي الطريثيثي نا هبة الله بن الحسين الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي نا محمد ابن زياد البلدي نا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي وبه قال الطبري وأخبرنا الحسين بن أحمد نا عبد الله البردحردي ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال نا أيوب ابن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب قال قال إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة

قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حسون نا جعفر بن محمد بن نصير ثنا أحمد بن محمد بن مسروق نا محمد بن هارون أبو نشيط نا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب قال إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها قال الطبري وأخبرنا عيسى بن علي نا البغوي ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب ، قال سمعت يوسف بن أسباط ، يقول كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد

ابن حفص نا عبد الله بن عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى قال سمعت معتمر بن سليمان يقول دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال مات على السنة ؟ قلت نعم ؟! قال تخزن عليه قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين نا أحمد بن زهير نا يعقوب ابن كعب نا عبده ثنا عبد الله بن المبارك عن ... قال استوصوا بأهل السنة خيراً ، فانهم غرباء . أخبرنا أبو منصور ابن خيرون نا إسماعيل بن أبى الفضل الاسماعيلى نا حمزه بن يوسف السهمى نا عبد الله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال قال لنا ابن أبى بكر بن عياش السنة فى الاسلام ، أعز من الاسلام فى سائر الاديان

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على ... يقول سمعت أبا عبد عبد الله ابن عطا ... سمعت أبا عبد الله محمد بن ... يقول سمعت أبا منصور محمد الازرى يقول سمعت ... العباس احمد بن ... يقول سمعت أحمد بن منصور ... سمعت ... بن محمد الطبرى يقول سمعت محمد ابن المغيرة ... سمعت يونس بن ... سمعت ... إذا رأيت رجلا ... اصحاب الحديث ... الله عليه وسلم أخبرنا محمد بن ابى ... كتابه ، قال سمعت الجنيد يقول ... الرسول صلى الله عليه وسلم ... عليه أخبرنا عمر بن طاهر ... الله بن جهضم ... محمد الطريق الى الله ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... لكم فى رسول الله أسوة حسنة

﴿ الباب الثانى ﴾

فى ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى قال أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال أخبرنى أبى ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرنى أبى وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردى وابو سعد البغدادى قالا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحرورى، ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد أخبرنا موهوب بن احمد نا على بن احمد البسرى ثنا محمد بن عبد الرحمن الخالص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى وإسحاق بن إبراهيم المروزى قالا نا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد قال البغوى وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبى عون عن سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عمل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد اخرجاه فى الصحيحين اخبرنا هبة الله ابن حصين نا الحسن ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنا ابى ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبى عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من رغب عن سنتى فليس منى انفرد باخراجه البخارى اخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن احمد حدثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين عائدين ومقتبسين فقال عرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم

ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى ، فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك — اخرجاه فى الصحيحين اخبرنا محمد بن ابى القاسم نا احمد ابن محمد نا ابو نعيم ثنا احمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله ابن عمرو قال يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة ، أخبرنا إسماعيل ابن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال حدثنى ابو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر قال كان طاوس جالساً وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شيء فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه وقال يابنى ادخل أصبعيك فى أذنيك حتى لاتسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف ثم قال أى بنى أسدد — فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الصنى قال كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم فبلغ إبراهيم انه قد دخل فى الارجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدانى ، قال قلت لسفيان بن عيينة إن هذا يتكلم فى القدر — يعنى إبراهيم بن أبى يحيى ، فقال سفيان عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المرى قال دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه فقال ابن سيرين إما أن تقوم وإما أن نقوم أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن

عبد الباقي قالا نا أحمد بن أحمد أنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن عامر عن سلام بن أبي مطيع قال قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال . لا ولا نصف كلمة قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا الطريثيثي نا هبة الله بن الحسين نا عيسى ابن علي نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها(١) أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن إسماعيل قال مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري فقال الناس جاء الثوري — فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرى بالارجاء أخبرنا المبارك بن احمد الأنصاري نا عبد الله ابن احمد السمرقندي نا احمد بن ثابت نا احمد بن روح النهرواني ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهرول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول سمعت شعيب بن حرب يقول سمعت سفيان الثوري يقول من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الاسلام عروة عروة أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصبهاني ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريزي قال مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت قال لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالا أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البابع ثني أبي ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضيل بن عياض يقول من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان

---

(١) أثاب الرجل وثاب رجع .

ابن أحمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال سمعت فضيل بن يقول من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا عبد الصمد قال سمعت الفضيل يقول إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها فقال له الفضيل من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيآته

قال المصنف وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاســـلام وقال محمد بن النضر الحارثي من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله الفاني يقول سمعت علي بن عاصي يقول سمعت محمد بن اسحاق يقول سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول قال صاحبنا — يعني الليث بن سعد — لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته فقال الشافعي إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته وعن بشر بن الحارث أنه قال جاء موت هذا الذي يقال له المريسي (١) وأنا في السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود

---

(١) « المريسي » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان في ترجمته اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة ، عله والمريسي بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى مريس قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض الجماعة إن المريسي كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب إليه انتهى بعض تصرف ، ومعنى كلام بشر بن الحارث أن الخبر بموت المريسي أتاه وهو في السوق فإن لم يكن في السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق ......

لسجدت شكراً ـ الحمد لله الذى اماته هكذا قولوا

قال المصنف حدثت عن ابى بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال كنا عند الفريابى فجعل يذكر اهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلى من عبادة ستين سنة

(فصل) فان قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع فى زعمنا يزعم انه من اهل السنة(٢) (فالجواب) أن

موضع سجود لورود النهى عن الصلاة فى الأسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم

(تنبيه) فى الاصل « فلولا أنه كان فى موضع سهوه لسجدت موضع شكر وسجود الحمد لله » الخ وما صححناه من لسان الميزان

(٢) اعلم انه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو وجود نور النبوة بين ظهرانيهم وامداد المواهب الجمة فيهم والحكم البالغة من النبى صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله بدأ الخلاف بينهم بأول خلاف كان فى موته صلى الله عليه وسلم وزعم قوم انه لم يمت بل رفعه الله إليه والثانى فى دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة واهل المدينة دفنه بها وفى الامامة فادعت الانصار لسعد بن عبادة وقريش قالت إن الامامة لا تكون إلا في قريش وفى فدك (قرية بخيبر) ومورث الكلالة ومانعى الزكاة هكذا وقد ازال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بشجاعته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم يزل يظهر بعده الاختلافات فى الفتنة الاجتماعية والقوة الرابعة [illegible] إلا انها [illegible] بايدى المنافقين والزنادقة، وأدخلوا [illegible] وصحح واهية ليدعوا الناس إليها [illegible] أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم [illegible] يصححون من سقيم بادلة قاطعة من الكتاب والسنة [illegible] النبى صلى الله عليه وسلم أنها لا تزال قائمة بأمر الله [illegible] كذلك إلى [illegible] وليلوون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة [illegible] لنا يا ارحم الراحمين

السنة فى اللغة الطريق ، ولا ريب فى ان اهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والبدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للاصل وهو الاتباع وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين قالا له اجمع القرآن كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرتى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله ابن أبى سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول لبيك ذا المعارج فقال ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرنا محمد بن أبى القاسم باسناد رفعه إلى أبى البخترى قال أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء وكان رجلا حديداً ، فقال أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً فقال عمرو بن عتبة أستغفر الله فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً أنبأنا أبو بكر بن أبى طاهر عن أبى محمد الجوهرى عن أبى عمر بن أبى حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا ابن عون قال كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال يا أبا عمران ادع الله أن يشفينى فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهة ذلك فى وجهه ، وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه وقال فيه . أخبرنا المحمدان ابن ناصر ، وابن عبد الباقى ثنا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول سمعت ذا النون — وجاءه

أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس — فقال أنا لا أتكلم فى شيء من هذا فإن هذا محدث ، سلونى عن شيء فى الصلاة أو الحديث ورأى ذو النون على جبا أحمر ، فقال : انزع هذا فإنه شهرة ، ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس خفين أسودين ساذجين

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى ان الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر بن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال نعمت البدعة هذه — لأن صلاة الجماعة مشروعة وإنما قال الحسن فى القصص نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشرع لم يذم فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهى أعظم فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ني أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون — فى الصحيحين أخبرنا هبة الله الحسن ابن على نا ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ني ابى قال ثنا يوسف نا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان ، قال قال رسول الله ﷺ لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقرة أخبرنا الكروخى نا الغورجى والأزدى قالا نا الجراحى نا المحبوبى ثنا الترمذى قال قال محمد بن إسماعيل ، قال على بن المدينى هم من أصحاب الحديث

(فصل) فى بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر الغورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ـ قال الترمذى هذا حديث صحيح

قال المصنف وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، تهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة قالوا يارسول الله ، ماتلك الفرقة ؟ قال الجماعة ، قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله فان قيل ، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب ، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق(١) وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط

---

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا فى أصول هذه الفرق وعددها على أقوال الأول أن أصولها أربعة وهى الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ، ثم تشعبت كل فرقة إلى ثمانى عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية الثانى أنها ثمانية المعتزلة والخوارج والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة ، والخوارج عشرين أيضا ، والمرجئة خمسا ، والنجارية ثلاثا ، والجبرية واحدة كذلك ، المشبهة والشيعة اثنتين وعشرين فرقة ، والقول الثالث ماذهب إليه المصنف من أنها ست ، ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف فى مطابقة ماذكر للحديث الصحيح ، إذ ليس هناك دليل شرعى يفيد ذلك ولادليل العقل على انحصار ماذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولانقصان ، وبذلك تعلم مافى كلام المصنف من المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد فى كتاب

بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية(١) والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة

وانقسمت الحرورية ، اثني عشرة فرقة فأولهم الأزرقية(٢) قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية(٣) قالوا من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية(٤) قالوا إن الله لم يقض ولم يقدر ، والخازمية(٥) قالوا ما ندرى ما الإيمان ، والخلق كلهم معذورون ، والخلفية(٦) زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر والمكرمية(٧) قالوا ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل ، والكنزية قالوا لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله لأحد لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق ، والشمراخية قالوا لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين ، والأخنسية(٨) قالوا لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمة قالوا إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر والمعتزلة من الحرورية قالوا اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين ، والميمونية(٩) قالوا لا إمام إلا برضا أهل محبتنا

---

(١) هم الذين خرجوا على علي ، وانحازوا إلى حروراء وهم ستة عشر ألفاً وعبد الله بن الكواء أحد زعمائهم

(٢) نسبة إلى أبي راشد نافع بن الأزرق ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة منهم وتدعهم عبادية (٣) نسبة إلى عبد الله بن أباض

(٤) نسبة إلى ثعلبة بن مشكان (٥) وهم أصحاب خازم ابن علي

(٦) وهم أصحاب خلف الخارجي الذي قاتل حمزة الخارجي

(٧) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلي ويقول تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى ، وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الانسان

(٨) أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس (٩) وهم أتباع ميمون بن خالد يخيرون

(وانقسمت القدرية) اثنتي عشرة فرقة الأحمرية وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم ، والثنوية وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ، والكيسانية(١) هم الذين قالوا لا ندري هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ، والشيطانية(٢) قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً ، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر ، والوهمية قالوا ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ، والراوندية قالوا كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ، والبترية(٣) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته ، والناكثية زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها ، والنظامية تبعوا إبراهيم النظام في قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر

وانقسمت الجهمية(٤) اثنتي عشرة فرقة المعطلة زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية(٥) قالوا أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا البارى سبحانه وتعالى في كل مكان ، والواردية قالوا لا يدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، والزنادقة قالوا ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا لأن الاثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما لا يدرك لا يثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقا أبداً لا يجد حر النار ، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا أن الجنة والنار يفنيان ، ومنهم من قال إنهما ما لم يخلقا والمغيرية(٦)

---

(١) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقيل تلميذ ابن الحنفية (٢) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضي الملقب بشيطان الطاق (٣) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حي وكثير النوى الملقب بالأبتر بكاح باب الباب وباب أولاد الأخوة

(٤) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازني بمرو

(٥) هم أتباع بشر المريسي (٦) وفي نسخة المعتدية

جحدوا الرسول فقالوا إنما هم حكام ، والواقفية قالوا . لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق والعبرية يسكرون عذاب القبر والشفاعة ، واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشره فرقة التاركة قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء ، والسائبية قالوا إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا ، والراجية قالوا لا نسمى الطائع طائعاً ولا العاصى عاصياً لأنا لا ندرى ماله عند الله ، والشاكة قالوا إن الطاعات ليست من الايمان ، والبيهسية(١) قالوا الايمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر ، والمنقوصة قالوا الايمان لا يزيد ولا ينقص ، والمستثنية نفوا الاستثناء فى الايمان ، والمشبهة يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى ، والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض ، والظاهرية(٢) وهم الذين نفوا القياس ، والبدعية أول من ابتدع الأحداث فى هذه الامة

(وانقسمت الرافضة) اثنى عشره فرقة، العلوية قالوا إن الرسالة كانت إلى على وإن جبريل أخطأ ، والأمرية قالوا إن علياً شريك محمد ﷺ فى أمره ، والشيعة قالوا إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره ، والاسحاقية قالوا إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى ، والناووسية قالوا إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر ، والامامية قالوا لا يمكن أن يكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الاما يعلمه جبرائيل فاذا مات بدل مكانه مثله ، والزيدية قالوا إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاه خلف غيره برهم وفاجرهم ، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره ، والمتناسخة قالوا إن الأرواح تتناسخ

---

(١) نسبة إلى بيهس بن الهيصم

(٢) أصحاب الامام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، ولعل عد هذه من المرجئة سهو قلم حمانا الله من الزلل

فمن كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه ، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم ، واللاعنة الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فاذا مات نصبوا رجلا آخر

(وانقسمت الجبرية) اثنى عشرة فرقة فمنهم المضطرية قالوا لا فعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل ، والأفعالية قالوا لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل ، والمفروغية قالوا كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شىء ، والنجارية(١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم ، والمنانية قالوا عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت منه الخير ، والكسبية قالوا لا يكسب العبد ثوابا ولا عقابا ، والسابقية قالوا من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بره ، والحبية قالوا من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها ، والخوفية قالوا إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه ، والفكرية قالوا إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة ، والحسبية قالوا الدنيا بين العباد سوا لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم ، والمعية قالوا منا الفعل ولنا الاستطاعة

﴿ الباب الثالث ﴾

(فى التحذير من فتن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجلب بذلك ما ينفعه ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً له على الاسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحوالها على مذهبه

الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى . (لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى (ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالا بعيداً) وقال (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقال تعالى (إنه عدو مضل مبين) وقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وفى القرآن من هذا كثير

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال (أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) والمعنى أخبرنى لم كرمته علىّ ، غور ذلك الاعتراض أن الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال (أنا خير منه) ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب

فمن سول للانسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى بلوغ شهوتى وكيف يصح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف آمن نصيحة عدو فانصرف فما فى قولك مفيد فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمة فيهزم عسكر الهوى والنفس

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن إسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شابة بن سوار بن المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس إن الله تعالى أمرنى أن

أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا إن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثني أبي ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته إن ربي — إلى آخر الحديث المتقدم

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال فيدنيه منه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه يرفعه قال إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش[1] بينهم قال المصنف انفرد به البخاري والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب

أنبأنا إسماعيل السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ني الحسين بن السكن نا المعلى بن أسد ثني عدي بن أبي عمارة نا زياد النميري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه ، قال إن الشيطان واضع خطمه[2] على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه

أخبرنا محمد بن أبي منصور نا عبدالقادر نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر ابن مالك

(١) أي يسعى بينهم بالخصومات والشحنا والفتن

(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والفم فاستعير للشيطان

ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الجريرى ثنا سويد الصابونى بن قتادة رضى الله عنه قال إن لابليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه[1] أربعين سنة فاذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه

قال سيار وحدثنا جعفر ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه قال بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء ، فقال يحيى يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك ، قال هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم ، قال فهل لى فيها من شىء ، قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر ، قال فهل غير ذلك قال لا والله قال لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً ، قال إبليس ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً قال عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه قال إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولا

أنبأ إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة قال سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى ﷺ يقول كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فوسوس له إيقاع الفعل بها فأحبلها ـ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان

(١) أى يربيه بدون عمل ليغوى

فقال أما الذى صرعها وخنقها وأما الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأما الذى أوقعك فى هذا فأطعنى تنج ، اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين ، فهو الذى قال عز وجل (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين) وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها قال فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا[1] من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى ، قال فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال فلبث على هذه الحالة زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال لو كنت تمشى اليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك قال فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها، فلبث على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضه عليه ، وقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته قال ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج

---

(١) وفى نسخة « يقفلوا »

الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال فلبثا زماناً يتحدثان ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال فلبثا زماناً ، ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حيناً ثم جاءه إبليس ، فقال لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها يبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته ، قال ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاماً فجاء إبليس فقال أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ

اليوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى ، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه ، قال فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم . فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه ، قال فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه قال ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) إلى قوله (جزاء الظالمين) وقد تقدم ذكرها

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجري ثنا عبد الله بن محمد العطشي ثنا إبراهيم بن الجنيد ني محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثني الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشي عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل زائدة فلم يقدر عليه فأتاه متشبهاً بالمسيح فناداه أيها الراهب اشرف علي أكلمك ، قال انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري فقال أشرف علي فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فمالي إليك حاجة ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك فانطلق اللعين عنه وتركه

أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا علي بن محمد بن بشران نا أبو علي البردعي نا أبو بكر القرشي ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشي ثنا جعفر بن سليمان نا عمرو بن دينار نا سالم بن عبد الله رضي الله عنه عن أبيه قال لما ركب نوح عليه السلام في السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك ، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام اخرج

يا عدو الله ، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلا الثلاث ، مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان الحسد(١) والحرص(٢) فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة قال ولقي إبليس موسى عليه السلام ، فقال يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي عز وجل أن يتوب علي ، فدعا موسى ربه فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك ، فلقي موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ، ثم قال إبليس يا موسى إن لك حقا بما شفعت إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرني حين تغضب فأنا وحيي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها قال القرشي وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر ابن سليمان ثنا شعبة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء قال القرشي وثني القاسم بن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض قال حدثني بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى فقال له الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه ، قال أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة قال القرشي وثنا أحمد بن

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثاني محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين

(٢) الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها والثاني حرصه على طاعة الله تعالى حرصه أن يتوب .

عبد الأعلى الشيباني ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه قال بينا موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس عليه برنس(١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك ياموسى فقال موسى عليه السلام ، من أنت قال أنا إبليس ، قال فلا حياك الله ماجاء بك ؟ قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيته عليك ، قال به أختطف قلوب بني آدم ، قال فما الذي إذا صنعه الانسان استحوذت عليه ، قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثاً

لا تخلون بامرأة لاتحل لك قط ، فانه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، فإنه ماعاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها ثم ولى وهو يقول ياويله ثلاثاً علم موسى مايحذر به بني آدم

قال القرشي وحدثني محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به ، فلا أخطىء وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي

قال القرشي وحدثنا إسحق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل ابن أخي وهب بن منبه قال سمعت وهباً يقول قال راهب للشيطان وقد بدا له أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم ، قال الحدة(٢) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة ،

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أوجبة أو غيرهما ، وقد شاع استعماله في المغرب

(٢) الحدة ما يعتري الإنسان من الغضب

قال القرشي وحدثنا سعد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضي الله عنه قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لا تصيبون منهم شيئا ، فقالوا ما صحبنا قوما مثل هؤلاء فقال رويداً بهم عسى أن تفتح لهم الدنيا ، هنالك تصيبون حاجتكم منهم

قال القرشي وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى قال إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول من أضل مسلما ألبسته التاج فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج ، ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق ، قال يوشك أن يبر ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى ، قال أنت ، ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال أنت ، قال ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول أنت أنت

قال القرشي وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان ، فقال ما تريد ؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال لأقطعنها فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك قال فمن أين لي ذلك قال أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئا ، فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال ما تريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدري من أنا ، أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضبا فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك

قال القرشي وحدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد قال لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ، ثم سماهم ،

فذكر ثبر، والأعور، ومسوط وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية، وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه، وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا، وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد ابن إسحاق ثنا إسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال: ما ندب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه. وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل سمعت جنادة بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شر فى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قلت وفتن الشيطان ومكايده كثيرة فى مواضع هذا الكتاب منها ما نلقى بكل موضع منه إن شاء الله تعالى، وإنما كثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فإن من يدع إلى ما حث عليه الطبع كمداد، فسنة مستحدرة فما أسرعة انحدارها، ولما ركب فى هاروت وماروت لم يستمسكا، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن حمدان نا عبد الله بن أحمد ثنى ابن سريج قال: نا عنبسة بن عبد الواحد عن مالك ابن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا

﴿ ذكر الاعلام بأن مع كل إنسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو علي المذهب نا أبو بكر بن حمدان نا عبد الله ابن أحمد بن حنبل بني أبي ثنا هرون نا عبد الله بن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ، فقال مالك يا عائشة أغرت(١) ، فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال أو قد جاءك شيطانك ؟ قالت يا رسول الله أو معي شيطان ! قال نعم ، قلت ومع كل إنسان ؟ قال نعم ، قلت ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم ، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم انفرد به مسلم ، وفي لفظ آخر أعانني عليه فأسلم قال الخطابي عامة الرواة يقولون فأسلم على مذهب الفعل الماضي إلا سفيان بن عيينة فانه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم قال الشيخ وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك نا عبد الله بن أحمد نا أبي نا يحيى عن سفيان نا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ، ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق وفي رواية فلا يأمرني إلا بخير قال الشيخ انفرد به مسلم واسم أبي الجعد رافع وظاهره إسلام الشيطان ، ويحتمل القول الآخر

﴿ بيان أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ﴾

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بني أبي بني عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن صفية

(١) من الحسد والانفة ، فقال ... رآه ...

بت حى روح النبى ، قالت كان رسول الله صلى الله عليه و لم معتكفاً فأتيه أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى(١) وكان مسكنها فى دار أسامة ابن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلكما إنها صفية بنت حيى ، فقالا سبحان الله يا رسول الله ! قال إن الشيطان(٢) يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً ـ أو قال شيئاً ـ الحديث فى الصحيحين قال الخطابى وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الانسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون ، ويخطر بالقلوب وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب ، ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال خاف النبى صلى الله عليه وسلم ان يقع فى قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وإنما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم(٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وعند السحر فقال (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة فاذا أمر بالتحرز من شره فى هذين الامرين فكيف فى غيرهما

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح ، قال قلت لعبد الرحمن بن خنبش أدركت النبى صلى الله

---

(١) ليقلبنى بفتح الياء أى ليردنى إلى منزلى

(٢) ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجرى فى باطن الانسان فى مجارى دمه ، ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل إنه يلقى وسوسته فى مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجا ، والمعوذتان عوذتا قارئهما أى عصمتاه من كل سوء

عليه وسلم؟ قال نعم، قلت كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فقال إن الشياطين تحدرت(١) تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط إليه جبريل عليه السلام، فقال يا محمد قل، قال ما أقول؟ قال قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، قال فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاد ... بن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثني أبو سا ... نا ابن أبي فديك عن الضحاك ابن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيقول فمن خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه قال القرشي ثنا هناد بن السري ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه، قال إن للشيطان لمة(٢) بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية

قال الشيخ رحمه الله وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بني أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

(١) من الحدور أي نزلت

(٢) اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان

رضى الله عنهما ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا كان أبى إبراهيم صلى الله عليه وآله[1] وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق أخرجاه فى الصحيحين قال أبو بكر بن الانبارى الهامة واحد الهوام ، ويقال هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامه ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال قال مطرف ، نظرت فاذا ابن ادم ملقى بين يدى الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه وإن تركه ذهب به ابليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا قال ؟ أجاهده ، قال فان عاد ؟ قال أجاهده قال فان عاد ؟ قال أجاهده قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أومنعك من العبور ما تصنع ؟ قال أكابده وأرده جهدى قال هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك

قال الشيخ رحمه الله واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخساه لم يبرح ، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه ، نعوذ بالله من الشيطان

﴿ الباب الرابع ـ فى معنى التلبيس والغرور ﴾

قال المصنف التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردئ جيداً وسببه وجود شبهة اوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ،

(١) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعل « وآله » زياده من النساخ

وفيه ثلم(١) وساكنه العقل ، والملائكة ترددد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه ربض(٢) فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر قال رجل للحسن البصري أينام إبليس؟ قال لو نام لوجدنا راحة ، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان وفيه مرآة صقيلة تتراءى فيها صور كل ما يمر به ، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن ، وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو جملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث(٣) وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه في الشر ، قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لي قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره ، وأقوى القيد الذي يوثق به الاسرى الجهل ، وأوسطه في القوة الهوى ، وأضعفه الغفلة ، ومادام درع الايمان على المؤمن ، فإن نبل العدو لا تقع في مقتل

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد بن حيان نا أحمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن يوسف الجوهري نا أبو غسان النهدي قال سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير يريد به بابا من الشر أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى

(١) الثلم جمع ثلمة كغرفة وغرف ، وهي في الأصل موضع الكسر من القدح

(٢) الربض بفتحتين المكان الذي يؤوى إليه

(٣) عاث بمعنى عثا أفسد

عبد الواحد بن أحمد بن أبي أحمد بن الحسين العدل نا أبو جعفر محمد بن صالح نا حبان ابن الفلس الجماني نا حماد بن شعيب عن الأعمش قال حدثنا رجل كان يكلم الجن ، قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة ، وأما أصحاب الأهوا فانا نلعب بهم لعباً

﴿ الباب الخامس ﴾

(في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات)

ذكر تلبيسه على السوفسطائية(١)

قال الشيخ هولاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز ان يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وقد أورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا ؟ فان قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطــــلان فكيف يجوز أن يدعوا إلى ما لا حقيقة له ؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم ، وإن قلتم لها حقيقة ، فقد تركتم مذهبكم وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتاب الآراء والديانات ، فقال رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا في أمر هولا غلطا بينا لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة ، فكيف تكلم من يقول لا أدري أتكلمني أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدري أموجود هو أم معــدوم ؟ ! وكيف يخاطب من يدعي أن المخاطبة بمنزلة السكوت في الابانة وان الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال ثم إنه إنما تناظر من يقر بضروره أو يعرف بأمر ، فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة قال الشيخ وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال

---

(١) اعلم أن السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب الأول ينكر حقائق الأشيا ويزعم أنها أوهام وهم العنادية ، والثاني ينكر العلم بثبوت الشئ ولا يعدم ثبوته ، ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهم اللاأدرية ، والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهي ، مذكورة في كلام المصنف على هذا الترتيب

إن أبو اماً قالوا كيف نتكلم هولاء وغايته ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب ، وهولاء لا يقولون بالمحسوسات فيم نكلمهم؟ قال وهذا كلام صحيح العطن ، ولا ينبغي أن يؤيس من معالجة هولاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطنا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين ، حتى إنه لم يشك أن في السماء قمرين فقال له أبوه القمر واحد ، وإنما السوء في عينك ، غض عينك الحولاء وانظر ، فلما فعل قال أرى قمراً واحداً لأني عصبت إحدى عيني فغاب أحدهما لحا من هذا القول شبهة ثانية ، فقال له أبوه إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة فغفل فرأى قمرين ، فعلم صحة ما قال أبوه

أنبانا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا نبا ابن دودان نا أبو عبدالله المرزباني ني أبو عبد الله الحكيمي ني يموت بن المزرع ني محمد بن عيسى النظام قال مات ابن لصالح بن عبد الله القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له ، فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع فقال له صالح يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ، فقال له النظام فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت ، وإن كان قد مات فشك أيضاً أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه وحكى أبو القاسم البلخي أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال سرقت دابتي ، فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً ، قال بلى ، قال تفكر ، قال هذا أمر أتيقنه ، فجعل يقول له تذكر ، فقال ويحك وحك ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أني جئت راكبا ، قال فكيف تدعي أنه لا حقيقة لشيء وأن حال اليقظة كحال النائم؟ فوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه

﴿ فصل ﴾ قال النوبختي قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها ، فإن العسل يجده

صاحب المره الصفراء مرآ وبحده عبره حلوا قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه واللون جسم عند من اعتقده جسما ، وعرض عند من اعتقده عرضا قالوا فلو توهمنا عدم المعتقد وقف الأمر على وجود من يعتقد وهؤلاء من جنس السوفسطائيه فيقال لهم أقولكم صحيح؟ فسيقولون هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا فلنا دعواكم صحة قولكم مردوده وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بيان فساد مذهبه وربما يقال لهم أتسوون للمشاهده حقيقة؟ فان قالوا لا ، لحقوا بالاولين ، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الاولين

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى ومن هؤلاء من قال إن العالم ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الانسان أن يفكر فى الشئ الواحد مرتين ، لتغير الاشياء دائماً فيقال لهم كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم ، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه

﴿ ذكر تلبيسه على الدهريه ﴾

قال المصنف قد أوهم إبليس خلقا كثيرا أنه لا إله ولا صانع وأن هذه الاشياء كانت بلا مكون ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه ، وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فان الانسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطا مبنيا علم أنه لابد له من بان بناه ، فهذا المهاد الموضوع ، وهذا السقف المرفوع ، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجاريه على وجه الحكمه ، أما يدل على صانع ، وما أحسن ما قال بعض العرب إن البعره تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافه ، ومركز سفلى بهذه الكثافه أما يدلان على اللطيف الخبير ، ثم لو تأمل الانسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا فان فى هذا الجسد من الحكم مالا يسع ذكره فى كتاب ، ومن تأمل تحديد الاسنان لتقطع ، وتعريض الاضراس لتطحن واللسان يقلب الممضوغ ، وتسليط الكبد على الطعام تنضجه ، ثم تنفذ إلى كل جارحة

قدر ما يحتاج إليه من الغذاء ، وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوى وتصح ، فيمكن العمل بها ، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى في البدن ما فيه قوامه ، وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح ، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي أفي الله شك ؟ وإنما غلط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس ، ومن الناس من جحده لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو أعمل هذا فكره لعلم ان لنا أشياء لا ندرك إلا جملة كالنفس والعقل ولم يمنع أحد من إثبات وجودهما ، وهل الغاية إلا إثبات الخالق جملة ، وكيف يقال كيف هو أوما هو ولا كيفية له ولا ماهية ومن الادلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث ، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولابد لحدوثه من سبب هو الذي من جهة محدثه والملحدين اعتراض يطاولون به علينا لولا لا بد للصنعة من صانع ومولود (كذا) انهم في هذا بالشاهد وإنه يناقضكم فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس قالوا فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم فالجواب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الاشياء اختراعا فانا نعلم أن الصور والاشكال المتجددة في الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة ، وقد اخترعها ولابد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع

﴿ ذكر تلبيسه على الطبائعيين(١) ﴾

قال المصنف لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ،

(١) الطبائعيين نسبة إلى الطبائع الاربعة وهي التراب ، والماء ، والنار ، والهوا على مذهبهم هداهم الله الى صراطه المستقيم ، ويعتقدون أنها أصول كل شيء

يقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها وذلك يخالف طبعها، فدل على أنها مقهورة وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً، فإن قالوا ولو كان الفاعل حكيماً لم يقع في شأنه خلل ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع قلنا يبطل هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة، أو في طيه منافع لا نعلمها ثم إن فعل الطبيعة من شمس تطلع في بستان على أنواع من الحبوب فتربط الحصرم والخلالة وتنسف البرة وتنشها ولو فعلت طبعاً لا نبتت الكل أو ربطته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار، والنضج في هذه للتناول، والعجب أن الذي أوصل إليها اليبس في أكنة(١) لا يلقى جرمها والذي رطبها يلقى جرمها، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلي العنب، والماء واحد، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله (يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل)

(ذكر الشبهة على الثنوية)

وهم قوم قالوا إن صانع العالم اثنان ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل حسن نقي صاف طيب الريح حسن المنظر، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسها نفس [illegible] ضارة

---

(١) الأكنة الأغطية واحد الأكنان، قال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية

منها الشر والفساد(١) كذا حكاه النوبختي عنهم ، قال وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة وقال بعضهم بل كل واحد إلى جانب الآخر وقال أكثرهم النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال ، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه ، قال النوبختي وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح ، وأبدان النور أربعة النار والريح ، والتراب ، والماء ، وروحه النسيم ، ولم يزل تتحرك في هذه الابدان ، وأبدان الظلمة أربعة الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت ، وبعضهم يقول الظلمة تولد شياطين والنور تولد ملائكة وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منه وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة ومذاهب سخيفة فيها أنه فرض عليهم ألا يدخروا إلا قوت يوم ، وقال بعضهم على الادميين صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر ، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذي ذا روح ، في مذاهب طريفة اخترعوها بأوهامهم الباردة وذكر يحيى ابن بشر النهاوندي أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طينة العالم(٢) كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم البارى الذي هو النور زماناً ، فتأذى بها فلما طال تأذيه ذلك فقصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فركب منها هذا العالم النوري [illegible] فما كان من جهة الصلاح فمن النور وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة ، وهم لا يتناكحون ولا [illegible] ويزعمون أنهم يتخلصون بذلك من الظلمة ، مذاهب سخيفة ، والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شراً واختلافاً ، قالوا لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان كما لا يكون من النار التبريد والتسخين وقد رد العلماء عليهم في قولهم إن الصانع اثنان ، فقالوا لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والثاني عاجز ، لا يجوز أن يكونا عاجزين

---

(١) انظر أهداف سورة الكهف ص ٩٨ وما بعدها

(٢) وفي نسخة طينة العالم

فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية قال الشيخ رحمه الله هذا الذى ذكره الهاوندى نقله من نسخة بالنطامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تلبيسه ، لكان الاولى الاضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن نذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره

﴿ فصل ﴾ وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى ان الله تعالى لا يعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق

قال المصنف وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه فانظر إلى ما رتبه إبليس لهؤلاء الحمقى مع ادعائهم كمال العقل ، وقد خالفهم أبو على ابن سينا فى هذا فقال بل يعلم نفسه ويعلم الاشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات ، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة ، وكأنهم استكثروا المعلومات ، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ، ويؤمن بقوله (ألا يعلم من خلق) وقوله (ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وذهبوا إلى ان علم الله وقدرته هو ذاته ، فراراً من أن يثبتوا قديمين وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد أنكرت الفلاسفة بعث الاجساد ، ورد الارواح إلى الابدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك امثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبدياً ، إما فى لذة لا توصف وهى الانفس الكاملة ، أو ألم لا يوصف وهى النفوس الملوثة ، وقد تتفاوت درجات الالم على مقادير الناس ، وقد يمحى عن بعضها الألم ويزول ، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمى عودها إعادة ولا أن لها نعيما وعذابا ، ولكن ما المانع من حشر الاجسام؟ ولم تنكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فنحن ومن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ، وأما التجاوز فى مقام الامثال فتحكم بلا دليل ، فان قالوا الابدان تتحلل وتوكل وتستحيل قلنا القدرة لا تقصر عن تهيئتها شيء ، على أن الانسان إنسان بنفسه فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر بالهزال والسمن فان قالوا

لم يكن الا بعد ما جرى به من حاله إلى حاله إلى أن صار لحماً وعروقاً ، فلما قدره الله سبحانه وتعالى لا يقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت في القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار نا أبو محمد الجوهري نا عمر بن محمد بن الزيات نا قاسم بن زكريا المطرز نا أبو كريب نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون (١) قالوا يا أبا هريرة اربعون يوما ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة قال أبيت ، قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الانسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب (٢) الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، أخرجاه في الصحيحين

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أقوام من اهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فاراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال واقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وافلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسة ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في الالهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحساب والهندسات وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة بالرجوع فيها إلى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن اولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخاري المسئول فيها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى أبيت امتنعت عن الاخبار بما لا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذي في اسفل الصلب ، وهو رأس العصعص

وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ماعلموا أن الانبياء كانوا حكماء وزيادة (وماقد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما اهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلاهم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد الا وقد ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه فى تسخط على الاقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فمنها قوله فى صفة الدنيا قال

أتراها صنعة من غير صانع ... أم تراها رمية من غير رام

وقوله

واحيرتا من وجود ما تقدمه ... منا (١) اختيار ولا علم فنقتبس
كأننا فى عماء ما يخلصنا ... منه ذكاء ولا عقل ولا شرس (٢)
ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر ... فيها يضئ ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكنفنا ... جهل تخيطنا (٣) فى وجهه عبس
فالعقل فيه بلا رب ولا عمل ... والقول فيه كلام كله هوس

﴿ فصل ﴾ ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مد بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مد يده إلى التمسك بهذه ، فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا فى باب الزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا إنه ولى الاجابة

---

(١) وفى نسخة اختيار ... (٢) اى سوء خلق
(٣) أى تلوى الماطة

(ذكر بلدسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون ان لكل روحانى من الروحانيات العلويه هيكلا أعنى جرماً من الاجرام السماويه هيكله ونسبته إلى الروحانى المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلويه السيارات والثوابت ، قالوا ولا سبيل لنا إلى الروحانى بعينه فنتقرب إلى هيكله بكل عباده وقربان (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوى شخص من الاشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هولاء الصور ونحتوا الاصنام وسووا لها بيوتا

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى ان قوما قالوا الكواكب السبعه وهى زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهره ، وعطارد ، والقمر هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملا الاعلى ونصبوا لها الاصنام على صورها ، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان فجعلوا لزحل صنما عظيما من الآنك(١) أعنى بقرب اليه ثور حسن يؤتى به إلى بيت تحته مجفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفره فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم يوقد تحته النار حتى يحترق ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الاله الاعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثه ويقربون للمشترى صبيا طفلا وذلك أنهم يشترون جاريه لتطأها السدنة(٢) للاصنام السبعة فتحمل ويترك حتى يضع ويأتون بها والصبى على يدها ابن ثمانيه أيام فيحشونه بالمسل والابر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيره ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش(٣) أنمص الرأس من الشعره يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون فوده

---

(١) الآنك الرصاص الخالص

(٢) السدنه بالتحريك جمع سادن وهو خادم الكعبه وبيت الاصنام

(٣) الانمش بتحريك النقط بياض وسود

إلى أوتاد فى قعر الحوص ويملأون الحوص رساً حى سى الرحل قائما فيه إلى حلقه ويخلطون بالرت الأدوية المقويه للعصب والمعقمه للحم حى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعقمة للحم والجلد قصوا على رأسه فلحوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه واتوا به إلى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الاله الشرير دو الفتن والحوائج قربنا إليك ما نشبهك فتقبل قربانا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريره ويزعمون أن الرأس ببقى فيه الحياة سبعة أيام ويكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشـــترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحه مهلله أيتها الآلهه النورانية قربنا إليك ما نشبهك فتقبلى قرباننا وأرزقنا من خيرك وأعذنا من شرك ويقربون للزهره عجوزاً شمطاء ماجنه(١) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهه الماجنه أتاك قربان بياضه كبياضك ومجانه كمجانك وطرفه كطرفك فتقبليها منا ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن يحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسبا كاتباً مؤدباً يأتون به بحيله وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويسحرونهم ويسقونهم أدويه تزيل العقل وتخرس الالسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتاك شخص ظريف ويطيعك اهدينا فتقبل منا ثم يشق الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبه النار حتى يحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى جهه

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهه وخفيف الإجرام العلويه

﴿ ذكر تلبيسه على عباد الاصنام ﴾

قال المصنف كل محنه لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والاعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل(٢) دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً

---

(١) أى صفيقة الوجه لا تستحى من قبح القول (٢) فى نسخة بالمثل

إلى عباده الصور وأبطل عبد هولاء عمل العقل بالمره فمهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنه فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عباد الاصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر ابن أحمد بن السلم نا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزي ثنا أبو الحسن على ابن الصباح ابن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل نود وهو اخصب جبل فى الأرض قال هشام فأخبرنى أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال وأخبرنى أبى أنه كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين ماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ، فقالوا نعم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وعملت على عهد يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم الأولون هولاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن

ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها

قال الكلبي وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رئي من الجن فقال له عجّل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامه ، ائت ضفا جده ، تجد فيها أصناما معده فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب فأتى نهر جده فاستثارها ثم حملها ورد بها تهامه وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذره بن زيد اللات فدفع إليه وداً فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم تزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالاسلام

قال الكلبي حدثني مالك بن حارثه أنه رأى وداً قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه من غزوه تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له قطن بن سريح فأقبلت أمه وهو مقتول وهي تقول

ألا تلك المـــودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر[1] له أم بشـــاهقة رؤوم

ثم قالت

يا جامعاً جامع الاحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت

قال الكلبي فقلت لمالك بن حارثه صف لي وداً حتى كأني أنظر إليه قال كا

(١) العفر — بكسر العين وضمها ذكر الخنازير

تمثال رجل أعظم ما تكون من الرجال قد دثر أي نمس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل نعني جعبتها(١)

قال وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة تعبده من يليه من مضر فقال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جنابه صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راعي

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها

وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همدان ومن والاهما من اليمن

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها

قال ابن هشام وحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعت لي النار فرأيت عمرو ابن لحي قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه في النار فقلت من هذا قيل هذا عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الاوثان قال هشام وحدثني أبي وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتمسوا

(٢) الوفضة الجعبة التي يجعل فيها السهام

الناس فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر(١) إبراهيم وإسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)

وكان أول من غير دين إسماعيل ونصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحي فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له

قال هشام وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم

---

(١) وفى نسخة ارث

من العرب من أهـــل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه فهدمها عام الفتح

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحـــدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة[1] وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وكانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت

قال هشام وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال هل رأيت شيئاً ؟ قال لا قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها وخلفها دبية السلمي وكان سادنها فقال خالد

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حممة[2] ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب

قال هشام وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها

---

(١) في نسخة مربعة

(٢) الحممة بضم الحا وفتح الميمين جمعها حمم الرماد ، وكل ما احترق من النار

عندهم هبل وكان فيما يلقى من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقداح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فاذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فان خرج صريح ألحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد أعل هبل أى علا دينك فقال رسول الله ﷺ لاصحابه ألا تجيبونه فقالوا وما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة(١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة(٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير رضى الله عنه ألا تكفينى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقاتلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة

---

(١) المروة — حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو

(٢) وفى نسخة اليمن قال ابن الأثير فى النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء بلد باليمن معروف

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له الأقيصر

وكان لمزينة صنم يقال له نهم وبه كانت تسمى عبد نهم

وكان لعنزة صنم يقال له سعير

وكان لطيء صنم يقال له الفلس وكان لأهل كل وادٍ من مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاثة أثافي[1] لقدره فإذا ارتحل تركه فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية[2] قوسه في عيونها ووجوهها ويقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في زمان نزد وعبدت الأصنام ورجع من رجع عن الإسلام

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق نا حنبل نا حسين بن الربيع نا مهدي بن ميمون قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول لما بعث رسول الله ﷺ سمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله

(١) الأثافي جمع الأثفية ما يوضع عليه القدر

(٢) سية القوس بكسر السين وبالياء ما عطف من طرفيها

ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو عباس السراج ثنا أحمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولى قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن على الوراق نا أحمد ابن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبو بكر ابن أبى شيبة ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبى زينب قال سمعت أباعثمان النهدى قال كنا فى الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادى يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره قال فخرجنا على كل صعب وذلول فبينا نحن نطلب ، إذا نحن بمنادى ينادى إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر أنبأنا محمد بن أبى طاهر نا ابو اسحاق البرمكى نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد ابن سعد نا محمد بن عمرو بن الحجاج بن صفوان عن ابن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال كنت امرأ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحى منهم فيأتى بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبد ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرحل فيتركه ويأخذ غيره أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقى نا عثمان بن عمرو بن المنتاب نا أبو محمد عبدالله بن سليمان الفامى نبى أبوالفضل محمد بن أبى هرون الوراق نبا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكنى مكة قال سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والاصنام فقال أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت وقال أبو معشر كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويعرفون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور والملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها الموضع المشابه على زعمهم وقيل لبعضهم أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام

وبى جماعة من القدماء سوناً كانت للاصنام فيها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشاسب لما تمجس وجعله بيت نار والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند والرابع بمدينة بلخ بناه سوشهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه والسادس بناه قاموس الملك اسم الشمس بمدينة فرغانه فخربه المعتصم

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالملتان (وهى مدينة من مدائن السند) وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر وهذه المدينه فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم تتم حجته فيلقيه فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينه وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال «ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها» وكانت الاشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص ولو تفكروا لعلموا أن الاله يصنع الأشياء ولا يصنع، ويجمع وليس بمجموع، وتقوم الأشياء به ولا تقوم بها، وإنما ينبغى للانسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه وما خيل إليهم أن الاصنام تشفع خيال ليس فيه شبهة يتعلق بها

﴿ ذكر تلبيسه على عابدى النار والشمس والقمر ﴾

قال المصنف قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذي لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها . قال الجاحظ وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي نزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد بمضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته إبليس فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه وادعه إلى مدة

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار فقال لا تطفؤا هذه النار

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد حسن إبليس لقوم عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وخالف قريشاً فلما بعث

رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم يا أخت هارون أى يا شبيهة هارون فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصا وهى تقابلها وبينهما المجرة — والغميصاء من الذراع المبسوط فى جبهة الاسد وتلك فى الجوزاء

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا هى بنات الله تعالى تعالى الله عن ذلك وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا وجاء فى التفسير أن فرعون كان يعبد تيساً وليس فى هولاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الاصنام ومن افتح تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » المعنى أيتبعونهم أيضا

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهولاء الذين قال الله سبحانه فيهم « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر » وعلى آخرين منهم فاقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث وعلى آخرين منهم فزعموا ان الملائكة بنات الله ومال آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس ، وكان فى بنى تميم منهم زرارة ابن عداس التميمى وابنه حاجب ،

وممن كان يقر بالخالق والابتدا والاعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة وعامر بن الظرب — وكان عبد المطلب إذ رأى ظالما لم تصبه عقوبة قال بالله أن وراء هذه الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيء

ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما يا معشر العرب أطيعونى ترشدوا قالوا وما ذاك قال إنكم تفردتم بآلهة شتى إنى لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا وممن قاله عمرو بن زيد الكلبى

قال المصنف وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعدة وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة فمنها النسئ وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة وإذا حجوا قالوا لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ومنها توريث الذكر دون الأنثى ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النسا ، والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبنا والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النسا فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقوله

«خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» قال الله تعالى «قل آلذكرين حرم أم الانثيين» المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الانثيين فكل الأناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فانها تشمل على الذكور والأناث فيكون كل جنس حراماً وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالانسان منهم يقتل ابنه ويئد كلبه ومن جملة ماالبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لايعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتدعوها كثيراً لايصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جاحدى النبوات ﴾

قال المصنف قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاه فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأسا من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم ان يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها

قال المصنف وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات

(الشبهة الاولى) استبعاد إطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض فقالوا (ما هذا إلا بشر مثلكم) والمعنى وكيف أطلع على ماخفى عنكم وجواب هذه الشبهة أنهم

لو باطلقوا العقول لاحارت احسار شخص بشخص لخصائص تعلو بها جنسه فتصلح تلك الخصائص لتلقف الوحي إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدني فإذا أمد النبات والاحجار بخواص لاصلاح أبدان خلقت للفناء فيها وللبقاء في دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والافعال ومعلوم أن المخالفين لا ينكرون أن يخص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون امداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم وتطيب أخلاقهم ويعم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك في قوله « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس »

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملكا فان الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم والادميون يحنون الرئاسة على جنسهم فيوقع هذا شكا وجواب هذا من ثلاثة أوجه أحدها أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لان المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه والثاني أن الجنس إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم يخصص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الانبيا بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال « وللبسنا عليهم ما يلبسون » أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ما يدعيه الانبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد والجواب أن نقول أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم شد

الشبهة وكلف العمول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحي ميتاً ولا ان يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطيء بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلو اما أن يجيء الانبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فان جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاؤا بما يوافقه فالعقل يغني عنه والجواب أن يقول قد ثبت ان كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى مثلهم كالحكماء والسلاطين فكيف بأمور الالهية والاخروية

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن يكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فاما إذا حكم الخالق بالايلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت علينا هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه وإذا اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن يحكم على الاصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم ان الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية ، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم في ابقاء القوى مقام اللحم شيء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيبادي الحيوان الكريم بخصمه فلم يكن لابقائه فائدة وأما ألم الذبح فانه يسير وقد قيل لا يوجد أصلا لان الحساس للالم أعصبة الدماغ لان فيه الاعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الاوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته »

(الشبهة السادسة) قالوا ربما كون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب والجواب أن هذا كلام يدعي أن يحيى من لم يراده فانه لم يبق شيء من

إلى "ه ره لم حـا وبحه سحره وعندها حزنه كتاب بقرأ فيه موا ا ى
لمن اربى مـــا ل ع ط احرح اصعا ه ىده ومنهم من يأخـ حوب
فيرص بها حسده حتى يموت والناس يقولون طوبى لك وعندهم نيران فيحرى قوام
من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويصحرونهم
فيقطعونهم بمقص ثم يلقون احد المقصين في نهر والنصف الآخر في نهر ويزعمون
أنهما يجريان إلى الجنة ومنهم من يخرج الى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنونه
بنيته فإذا أصحر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمد
والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا
عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، في أفعال طويلة في ذكرها أبو محمد النوبختي يصنع
الرمان في كتابها والعجب أن الهند قوم يوجد الحكمة عندهم ويوجد عندهم دقائق الحكمة
وفيهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم قال ومنهم
من يزعم أن الجنة ثمان وثلاثون مرتبه وأن مكث اهل الجنة في أدنى مرتبه منها
أربع مائه ألف سنة وثلاثون ألف سنة وستمائه وعشرون سنه وكل مرتبه أضعاف
ما دونها وأن النار اثنان وثلاثون مرتبه منها ست عشر مرتبه فيها الزمهرير وصنوف
عذابه وست عشره مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه

﴿ ذكر تلبيسه على اليهود ﴾

قال المصنف قد لبس عليهم في اشياء كثيره نذكر منها نبذه ليستدل بها على ما لك ،
فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه ما يجوز عليهم ، وحكى
أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا ان اليهود يزعم ان الاله المعبود رجل من نور على
كرسي من نور على رأسه تاج من نور وله أعضا كما للآدميين ومن ذلك قولهم عزير
ابن الله ولو فهموا ان حقيقة البنوه لا تكون إلا بالبعض والخالق ليس بذي أبعاض
لانه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوه ثم ان الولد في معنى الوالد وقد كان عزير لا يقوم
إلا بالطعام والاله من قامت به الاشيا لا من قام بها والذي دعاهم الى هذا مع جهلهم
بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم

الفاسا ه ويدل على ان الهوم كانوا فى نعد من الذهن انهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا (أجعل لنا آلهة كما لهم آلهه) فلما زجرهم موسى عن ذلك بق فى نفوسهم فظهر المستور نعبادتهم العجل والذى حملهم على هذا شيئان ، أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما تسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترأوا عليه بالكلمات القبيحه كقولهم (أن الله فقير ونحن أغنيا) وقولهم (يد الله مغلوله) تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا لا يجوز نسخ الشرائع وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الاخوات ، وذوات المحارم ، والعمل فى يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا امر الله عز وجل بشىء كان حكمة فلايجوز تغييره قلت قد يكون التغيير فى بعض الاوقات حكمة فان نقل الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض الى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد ، وهذا من جنس ما أنكرتم ، وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا «لن تمسنا النار إلا أياماً معدوده» وهى الأيام التى عبدوا فيها العجل وقبائحهم كثيره ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة [illegible] عاندوا وجهالهم [illegible] أنهم [illegible] ما أمروا به وحرفوا [illegible] فإن [illegible] [illegible] أنهم كانوا [illegible] داود

[illegible]

[illegible] ابن حباه [illegible] محمد عن على بن [illegible]

---

(١) الآدر [illegible] الخصية وهو عيب بالفحولة

مجاهد عن محمد بن إسحاق عن مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس(١) فقال أخرجوا إليّ أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أني رسول الله ؟ قال اللهم نعم وأن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك أنت قال أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الاشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيهم سناً عليّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له حظه من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا ومتى نراه ، قال فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا وآمنا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به

(٢) المدارس كنيسة اليهود وجمعه مدارس

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الاقنومية فأحد الاقانيم عندهم الأب والآخر الابن والآخر روح القدس فبعضهم يقول الاقانيم خواص وبعضهم يقول صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الاله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والالوان ثم سول لبعضهم ان المسيح هو الله قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الاله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جحدوه بعد ذكره فى الانجيل [illegible] وفيهم من يقول إنه نبى إلا أنه مبعوث الى العرب خاصة وهذا [illegible] فانه متى ثبت أنه نبى فالنبى لا يكذب وقد قال [illegible] بعثت الى الناس كافة وقد كتب الى قيصر وكسرى وسائر ملوك الاعاجم

﴿ ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى ﴾

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا فينا الاولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك [illegible] أى دائماً أنه عزيز وعندى وكشف هذا التلبيس ان كان [illegible] مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدت الشفقة حصلاً الى غيره لوصح الشراء لتعدى التعصب وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذا لو كانت كذلك لكان الأمر محتمل

﴿ دكر بلىسه على الصاىس ﴾

قال المصىف أصل هده الكلمه أعى الصاىس من فولهم صىأ إدا حرحب من شى إلى شى وصىأت النحوم اذا طهرب وصىأ ىه إدا حرح والصاىىون الخارحون من دىن الى دىن وللعلما فى مداهبهم عسر أقوال أحدها أىهم قوم ىس النصارى والمحوس رواه سالم عن سعىد ىن حىىر ولىب عن محاهد ، والىانى أىهم ىىن الىهــود والمحوس رواه اىن اى نحىح عن محاهد ، والىالب أىهم ىىن الىهود والنصارى رواه الفاسم ىن أبى ىره عن محاهد ، والرابع أىهم صىف من النصارى ألىن فــولا مىهم رواه أىو صالح عن اىن عىاس والخامس أىهم قوم من المشركىن لا كىاب لهم رواه الفاسم أىصاً عن محاهد والسادس أىهم كالمحوس قاله الحسن والسابع أىهم فرقه من أهل الكىاب ىقروون الزىور قاله أىو العالىه والىامن أىهم قوم ىصلون إلى القىلة وىعىدون الملائكه وىقروون الزىور قاله قىاده ومقاىل والىاسع أىهم طائفة من أهل الكىاب قاله السدى والعاسر أىهم كانوا ىقولون لا إله إلا الله ولىس لهم عمل ولا كىاب ولا ىبى إلا قول لا إله الا الله قاله اىن زىد قال المصىف هده أقوال المفسرىن مىل اىن عىاس والقاسم والحسن وعىرهم فأما المىكلمون فقالوا مدهب الصاىىن مخىلف ىىه فمىهم من ىقول أن هىاك هىولى كان لم ىزل ولم ىزل ىصىع العالم من دلك الهىولى وقال أكىر العالم لىس ىمحدب وسموا الكواكب ملائكه وسماها قوم مىهم آلهه وعىدوها وىىوا لها ىىوب عىادات وهم ىدعون أن ىىب الله الحرام واحد مىها وهو ىىب زحل وزعم ىعضهم أىه لا ىوصف الله عز وحل إلا بالنفى دون الاىىات وىقال لىس ىمحدب ولا مىوب ولا حاهل ولا عاحز قالوا لا ىلا ىقع ىسىىه ولهم ىعىدات فى سرائع مىها أىهم زعموا ان علىهم ىلاب صلوات فى كل ىوم أولها ىمان ركعات وىلاب سحدات فى كل ركعه وانقصا وقىها عىد طلوع الشمس والىانى خمس ركعات والىالىه كدلك وعلىهم صىام شهر أوله الىمان لىال ىمصىن من آدار وسىعه أىام أولها التسع ىىقىن من كانون الاول وسىعه أىام أولها الىمان لىال ىمصىن من سىاط وىخىمون صىامهم بالصدقه والدىاىح وحرموا لحم الحرور فى حرافات

تصنع الزمان بذكرها وزعموا أن الارواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الصفا وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاو بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والارشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الاجساد

﴿ذكر تلبيس ابليس على المجوس﴾

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت منه الاشياء روحانية تامة فقال لا ينبغى لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتدعها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فهامت الظلمة نعالته وكان بمانسبه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحيى النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيما لها ويقولون أنها تنبو الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا الان به حياة كل شئ إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الامهات قالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فالابن أولى بالمرأة فان لم يكن له ابن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع ويطهرها

نسائه وأظهر هذا الأمر مردك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ ليقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنو شروان قال لقباذ أخرجها إلى، فإنك إن منعتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنو شروان يبكى بين يدى مردك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمردك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى أنو شروان أفنى المردكية ومن أقوال المجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (وسع للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أن كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشراً فيقول لهم إن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية

قال المصنف وقد بنى ذكر مذهبهم وجوابها وقال بعضهم النارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة ردية فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته ردية فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شيء فكان الشيطان من ذلك الشك قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان معتزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلهم وتقدس عن قولهم فاتبعه إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس

وجوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بــــلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أسباب رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فسكتنا لذلك ونذكر ما انتهى بلبس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شىء من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن يحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يبنى الشيطان بما يصنع فإن قالوا لا قيل لهم فلا يأتى بالحكمة استغفاوه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافساد على الاله وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى

{ ذكر تلبيس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك }

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم إلى ان الفلك قديم لا صانع له حكى جالينوس عن قوم انهم قالوا زحل وحده قديم وزعم قوم أن الفلك طبيعة خامسة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه وقال بعضهم الكواكب من جسم شبيه الحجارة وقال بعضهم هى من غيم يطفأ كل يوم ويستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفى وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشترى فى نحو من اثنى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوما وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة واختلفوا فى مقادير أجرام

الكواكب فقال أكثر الفلاسفه أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مره مثل الأرض والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مره مثل الارض والمشترى نحو من اثنين وثمانين مره مثل الأرض والمريخ نحو من مره ونصف مثل الأرض قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن نعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربع وستون فرسخاً وقال بعضهم الفلك حي والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفه النجوم تفعل الخير والشر وتعطي وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وأنها حية فعالة

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الاعاده بعد البلا البلا وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف الماده والثانيه اختلاط الاجزا المتفرقه فى أعماق الارض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف تتهيأ إعادته وقد حكى القرآن شبههم فقال تعالى فى الاولى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاما إنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون)

وقال فى الثانية (أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد) وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم

يخبرنا الرسول بأن سنحيى وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر (هو أبو العلا المعرى)

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الاولى أن ضعف الماده فى الثانى يرفعه أن الجواب يدفعه تكون الدابة من نطفه ومضغة وعلقه ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه تعالى لم يأت بشئ مستحسن إلا من مادة ضعيفة ولذا خرج هذا الآدمي من نطفه، والطاووس من البيضه المدره والطرفه الخضراء من الحبة العفنة فالنظر ينبغي أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد وبالنظر إلى قدرته

يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أريناك كالأنموذج في جمع المتفرق فإن سحالة [1] الذهب
المتفرقة في التراب الكثير إذا ألقي عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف
بالقدرة الإلهية التي من تأثيرها خلق كل شيء لا من شيء على أنا لو قدرنا أن يحمل هذا
التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يضر نفسه لأن الآدمي بنفسه لا ببدنه فإنه ينحل
ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو ومن أعجب الأدلة على البعث أن
الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبيائه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية
حيوانا وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه
عليه قال المصنف وقد ردنا هذا شرحا في الرد على الفلاسفة

(فصل) وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم
اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم (ولئن رددت إلى
ربي لأجدن خيراً منها منقلبا) وقال العاص بن وائل (لأوتين مالا وولداً) وإنما
قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم في ذلك فقالوا إن كان بعث فنحن
على خير لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعناه في الآخرة

قال المصنف وهذا غلط منهم لأنه لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجا أو عقوبة
والإنسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده

﴿ ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ ﴾

قال المصنف وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير
إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في
أبدان شريرة فتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى (وذكر
أبو القاسم البلخي) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال
عندهم أن يكون ألمها لمحض نفع به غيرها أو لتعوض أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح
عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي)
أن الهند تقول إن الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة فالمركبة

(١) السحالة بالضم كالبرادة ما سقط من الذهب والفضة

هى الرب الاصغر والنفس هى الهيولى الاصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضا أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الاصغر وهو الهيولى المركبة فان كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيخلصه إلى الهيولى المركب الاكبر فان كان محسناً تام الاحسان اقام عنده فى العالم البسيط وان كان محسنا غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الاصغر ثم يعيده الهيولى الاصغر إلى إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجا لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة حسنة تأكلها الانسان فيحول إنساناً ويولد ثانية فى العـــالم وهكذا يكون حاله فى كل مرة ينتهيها (وأما المسيئون) فانهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فيصير الروح فى بهيمة ثم ينسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخا مردداً فى العلل ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس فان أحسن فى صورة الانس لحق بالمحسنين

قال المصنف قلت فانظر إلى هذه التلبيسات التى زينها لهم ابليس على ما لا يستند إلى شيء أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزاز قال أنبأنا على بن المحسن عن ابيه قال حدثنى أبو الحسن على بن لطيف المتكلم قال كان بحضرتنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأسها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاءً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها هذه أمى لا شك وإنما تبكى من رؤيتها إلى حسرة قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهى تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهى الانسان

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أمتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف دخل ابليس على هـــذه الامة فى عقائدها من طريقين أحدهما التقليد للآباء والاسلاف والثانى الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول

قال إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم
وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا
آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها
ذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع في ضلال
وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل
قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قل أو لو جئتكم بأهدى مما
وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم
على آثارهم يهرعون)

قال المصنف اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفي التقليد إبطال منفعة
العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها
ويمشي في الظلمة واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون
قوله من غير تدبر بما قال وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول
لا إلى القائل كما قال علي رضي الله عنه للحارث بن حوط وقد قال له أتظن أنا نظن أن
طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف
بالرجال اعرف الحق تعرف أهله، وكان أحمد بن حنبل يقول من ضيق علم الرجل
أن يقلد في اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيد في الجد وترك قول
أبي بكر الصديق رضي الله عنه «فإن قال قائل» فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف
لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية
ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامي
عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر
إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده

قال المصنف وأما الطريق الثاني فإن إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم في
في التقليد وساقهم سوق البهائم ثم رأى خلقا فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على
قدر تمكنه منهم، فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا
من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز فساقهم إلى مذهب

الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتمد إلا ما أدركته حواسه فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فان قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس ناقضوا قولهم ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض فى علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وبعضهم إلى الالحاد ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الامة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه حتى قال الشافعى رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام قال وإذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له قال وحكمى فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة

قال المصنف قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الاشياء ولا يعلم تفاصيلها وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة وقال أبو محمد النوبختى عن جهم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشيء وقال ابو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتا ولا لعرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا يصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لانه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر قال وبقى أهل الجنة خموداً سكوتاً لا ينطقون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك لأن الحوادث كلها

لابد لها من آخر تنتهي إليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

قال المصنف قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي في كتاب المقالات إن أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضي حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هي الله وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فانه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر وقال هشام الفوطي أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه وقالت المجبرة لا قدرة للآدمي بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النـــار أصلا وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقاً فإن صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الاثبات وهي الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الاسلام

قال المصنف قلت ونبغ أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الاحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه أجاز حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى وقال إن الله لا يقدر على إعادة الاجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شيء في معناه فيراه الآدمي آدمياً والجني جنياً وقالوا لله سر لو أظهره لبطل التدبير

قال المصنف قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة . وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الايمان إلا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطأ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالايمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة

الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا اليه . وقد نقل الينا أقلاع منطقي المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح عواقبه

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أبو منصور محمد ابن عيسى بن عبد العزيز البزاز ثنا صالح الوفاه بن أحمد بن محمد الحافظ ننا أحمد بن عبيد ابن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا ، لا ، قال فتتهموني قالوا لا قال فاني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فاني رأيت الحق معهم . وكان أبو المعالى الجوينى يقول لقد جلت أهل الاسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركنى الحق بلطيف بره بتطمن بأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجوينى وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه انا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت . قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الالحاد تشم روائح الالحاد من فلتاب كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الامور قال وقد بالغت فى الاول طول عمري ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لانهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم وبيان هذا أن نقول أحب أن نعرف أراد أن ذكر فقول قائل هل شغف بالنصال

النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الاحسان ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل مالم يكن لها وهي إليه محتاجة فاذا وجد الغرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى معروفا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزاده أو عارض ثم إذا نظرنا في إنعامه رأينا مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل ان يعلل بالانعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفا وراه مبرهناً بأدلة العقل عن الحل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى وإنما دخل الفساد من أن اخلوا [illegible] الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته ولو فرجوا [illegible] الحكم [illegible] يوسعهم له التسليم بحسب حكمه فعاشوا [illegible]

(فصل) [illegible]

[illegible]

قال المصنف وهذا يلزمه أن يكون له كيفية [illegible] وذلك [illegible] الأول بالوحدة

وقد استقر أن المماسة لا تكون إلا لمن كان ذا حس وله نظائر فيحتاج أن نفرد منها وبان عنها والحق سبحانه ليس بذي حس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أوادته ومباهته لا على معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية قال النوبختي وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الجوارى يقولون إن الله صورة وأعضاء

قال المصنف أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عدمهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فبذلك يدلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسما محدثاً غير قديم ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضا والأجسام كلها فيه وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعيد العجلى يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول لم يكن البارى قادراً حياً عالماً فى الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك وقال داود الجوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فيه الى صدره ومصمت ما سوى ذلك ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فاذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى سماء الدنيا قالوا ولا ينزل الا من هو فوق وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول الى علم الأصول وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما رآه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن فتراه

يمعس من الدقوق اليه و يمثل الزياده مرداد بوقـــــه و يتصور رفع الحجاب فيعلق ويذكر الرؤية فعشى عليه ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المومن اليه فيتخايل القرب الذاتى كما بمجالس الحس وهذا كله جهل بالموصوف ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول ﷺ يضع السموات على أصبع وله قدم الى غير ذلك مما تضمنه الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يومن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه وما يومنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين إصبعين ان الأصبع لما كانت هى المقلبة للشيء وان ما بين الأصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة

قال المصنف والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز ان يكون ثم ذات يقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من أن أرواح المومنين يجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالمة لهولا ينبغى أن يكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فان المقاومة يفسدهم وإنما لبس إبليس على هولاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لادلة الشرع والعقل فانه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الاضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس فالجواب أنه ما كان عليه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق قال علي كرم الله وجهه والله ما حكمت مخلوقا إنما حكمت القرآن وهو المسموع قوله عز وجل (حتى يسمع كلام الله) وأنه في المصاحف لقوله عز وجل (في رق منشور) ولا يتعدى مضمون الآيات ولا يتكلم في ذلك برأينا وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث

والعجب ممن يدعي اتباع هذا الامام ثم يتكلم في المسائل المحدثة أخبرنا سعد الله ابن علي البزار نا أبو بكر الطريثيثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا أبو حامد أحمد ابن أبي طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ نا أحمد بن هرون الحضرمي ثنا القاسم بن العباس الشيباني ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثيثي نا هبة الله الطبري ثنا محمد بن أحمد القاسم نا أحمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل وسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبي في الكتاب والأعرابي واله عما سواهما قال ابن مهدي وثنا عبد الله ابن المبارك عن الأوزاعي قال قال عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن سفيان الثوري قال بلغني عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد كفوا مؤنته واعلم أن من

بين السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق وإن السابقين الماضين على علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا وفي رواية أخرى عن عمر وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فجفوه وطمح عنهم آخرون فغلوه

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثوري يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الاقرار والعمل

قال المصنف فإن قال قائل هذا مقام مخر لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفي العمل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين في البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم

﴿ذكر تلبيس إبليس على الخوارج﴾

قال المصنف أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ني أبي نا محمد بن فضيل ثنا عمارة بن القعقاع عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي رضي الله عنه من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة في أديم مقروظ[1] لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في السما يأتيني خبر السما صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللحية مشمر الإزار محلوق الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك ألست أحق الناس أن يتقي الله أنا ثم أدبر فقال خالد

(١) المقروظ المدبوغ بالقرظ ، وفي نسخة لم تحصل أي تميز

فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دمائهم أفضل
أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل قالوا بل هذه قلت خرجت
من هذه قالوا نعم قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم
عائشة رضى الله تعالى عنها فوالله لئن قلتم لسيت بأمنا لقد خرجتم من الاسلام
ووالله لئن لتسبنها وتستحلن منها ما تستحلون من غيرها لقد خرجتم من الاسلام فأنتم
بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)
أخرجت من هذه قالوا نعم قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا
آتيكم بمن ترضون أن النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان
ابن حرب وسهيل بن عمرو فقال لعلى رضى الله عنه اكتب لهم كتاباً فكتب
لهم على هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم إنك
رسول الله لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم انى رسول الله امح يا على اكتب هذا ما اصطلح عليه
محمد ابن عبد الله فو الله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه قال فرجع منهم ألفان
وخرج سائرهم فقتلوا أخبرنا أبو منصور القزاز نا ابو بكر أحمد بن على بن ثابت نا
ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا احمد بن حازم نا أحمد بن
عبد الرحمن يعنى ابن ابى ليلى نا محمد بن ... الصباح بن عمارة عن أبى الجليل
عن أبى الشاعثة عن جندب الأزدى قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على بن
أبى طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من
قراءة القرآن

قال المصنف وفى رواية اخرى أن عليا رضى الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج
زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم
إلا لله فقال على لا حكم الا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن
قضيتنا واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى
كتاب الله عز وجل لاقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل
عبد الله بن وهب الراسبى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن

ويسسه ن الى حكم القرآن أن يكون هده الدنيا الى إمام ها عاء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا فكتب إليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أما بعد فان هدين الرجلين اللذين ارتضينا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فتبرأ الله منهما ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول فكتبوا إليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام ، ولقى الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا له هل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه قال نعم سمعت أبى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فان أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول قالوا أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال نعم فقدموه على شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذفها فى فيه فقال أحدهم أخذتها بغير حلها وبغير ثمنها فلفظها من فيه واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه فقالوا هذا فساد فى الأرض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه قال فبعث إليهم على رضى الله عنه أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم فما لبثوا أن قتلوهم وكان قبل القتال يقول بعضهم لبعض تهيأوا للقاء الرب الرواح الى الجنة ! وخرج على علىّ رضى الله عنه بعدهم جماعة فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا والله ما نصنع بالبقاء فى الدنيا شيء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فلو أنا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غرة هؤلاء الائمة الضلال فثأرنا بهم اخواننا وأرحنا منهم العباد

أخبرنا محمد بن أبى طاهر البزار نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حيويه نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له فقالوا انتدب ثلاثة نفر من

الخوارج عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا الميعاد بينهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو فتواثقوا لا ينقص رجل منهم رجلاً عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التي عزم على قتل علي رضي الله عنه فيها خرج علي رضي الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه فقال علي رضي الله عنه لا يفوتنكم الرجل فأخذ فقالت أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين بأس قال فتبكين إذن ثم قال والله لقد سممته شهراً فإن أخلفني فأبعده الله وأسحقه فلما مات علي رضي الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبد الله ابن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم فكحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه فجزع فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله وكان رجلاً أسمر في جبهته أثر السجود لعنة الله عليه

قال المصنف قلت ، ولما أراد الحسن رضي الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه في أصل فخذه ومازالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون مادمنا في دار الشرك فإذا خرجنا فنحن مسلمون قالوا ومخالفونا في المذهب مشركون ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة وأباحوا قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان نجدة بن عامر الثقفي من القوم فخالف نافع بن الأزرق وقال يحرم دماء المسلمين وأموالهم وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم وإن جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه في مذهبه وقال إبراهيم الخوارج قوم كفار ويحل لنا نكاحهم ومواريثهم كما كان الناس في بدء الإسلام وكان بعضهم يقول لو أن رجلاً أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار

قال المصنف ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لم أر التطويل بذكرها وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا

أن على بن أبى طالب كرم وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا فى العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر واستحل قتل على كرم الله وجهه ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت وما كان إبليس ليهتدى إلى هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن إبراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقراون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية (١) أخرجاه فى الصحيحين

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطرثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد ابن عبيد نا على بن عبد الله بن مبشر نا أحمد بن سنان نا اسحاق بن يوسف الأزرق عن الاعمش عن عبد الله بن أبى أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار

(فصل) قال المصنف ومن رأى الخوارج انه لا تختص الامامة بشخص إلا ان يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان إماما نبطياً (٢) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل وان العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى وأصل ابن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

(١) الرمية الصيد الذى يرميه فينفذ فيه السهم

(٢) النبطى نسبة إلى النبط بفتحتين أخلاط الناس وأوباشهم

ثم طالعت المعتزلة مثل أبي الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة في زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن وحينئذ سمي هذا الفن علم الكلام وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر فقال قوم هي معاني زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته وكان أبو الحسن الأشعري على مذهب الجبائي ثم انفرد عنه إلى مثبتي الصفات ثم أخذ بعض مثبتي الصفات في اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال في النزول والله الهادي لما يشاء

﴿ذكر تلبيسه على الرافضة﴾

قال المصنف وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب حمل آخرين على الغلو [illegible] فمنهم من [illegible] ومنهم من حمله على سب أبي بكر وعمر [illegible] فمنهم [illegible] الزمان [illegible]

[illegible]

[illegible]

إسحق بن محمد [illegible] عن عبد الله بن محمد بن عائشة [illegible]

عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي [illegible]

إن عليا هو الله تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في عصرنا إسحق بن محمد [illegible] كان يزعم أن عليا هو الله عز وجل وأنه يظهر في كل وقت فهو الحسن في وقت وكذلك هو الحسين، وهو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم

قال المصنف قلت وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول بالتبرى من غير علي وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبري ممن خالف عليا في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة ومنهم أقوام قالوا الإمامة في موسى ابن جعفر ثم في ابنه علي ثم إلى محمد بن علي ثم الى علي بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكري ثم الى ابنه محمد وهو الامام الثاني عشر الامام المنتظر الذي يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع في آخر الزمان فيملأ الارض عدلا وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن علي الباقر ويدعي أنه خليفته وانه عرج به الى السماء فمسح الرب بيده على رأسه ٠ وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذي الجناحين يقولون إن روح الاله دارت في أصلاب الانبياء والاولياء الى ان انتهى الى عبد الله وأنه لم يمت وهو الذي ينتظر ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يقولون بشركة علي في النبوة وطائفة يقال لها المفوضة يقولون ان الله عز وجل خلق محمدا ثم فوض خلق العالم اليه وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأمورا بالنزول على علي فنزل على محمد ومنهم من يقول انأبا بكر ظلم فاطمة ميراثها وقد روينا على السفاح انه خطب يوما فقام رجل من آل علي رضي الله عنه قال انا من أولاد علي رضي الله عنه فقال يا أمير المومنين أعدني على من ظلمني قال ومن ظلمك قال أنا من اولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم قال ومن قام بعده قال عمر رضي الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم قال ومن قام بعده قال عثمان رضي الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب اليه

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في اصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر غائب عنا وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين الى ذلك منهم فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة

وانتبه فى إرشاء وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى الموتى فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهلهم وذريتهم فاذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خانت آمالنا فى الشرع لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم بالثقة بهم فاذا كان هـــذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول وزال ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ماوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله فطاحت الاعتقادات وضعفت النفوس عن قبول الروايات فى الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة

قال المصنف وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاة العصر فردت له الشمس وهذا من حيث النقل موضوع لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكفى بذلك الغسل وهذا من حيث النقل كذب ومن حيث المعنى قلة فهم لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها إلى مستند ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض فأما الصوف والجلود والوبر فلا وأن الاستجمار لا يجزى فى البول بل فى الغائط خاصة ولا يجزى مســـح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم يحل للزانى بها نكاح أبداً وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين وأن من نام عن صلاة العشاء إلى ان مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضا وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط ، وأن المرأة إذا جزت

شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ وأن من شق ثوبه فى موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم وأن شارب الخمر إذا حد تائبه قتل فى الثالثة ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر، وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى فان سرق الثالثة خلد فى الحبس إلى أن يموت وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الاجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس بل إلى الواقعات ومفاتيح الرافضة أكثر من أن تحصى وقد خرقوا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا أخبرنا محمد بن أحمد ابن المسلمة نا أبو طاهر المخلص نا البغوى نا محمد بن عباد المكى نا محمد ابن طلحة المدنى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا

قال المصنف والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة، أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا عبدالله بن محمد بن أحمد نا على بن محمد [illegible] بن أحمد بن زيد [illegible] بن اسماعيل بن عمرو عن سويد بن [illegible] قال [illegible] أن أبا بكر وعمر رضى الله [illegible]

[illegible] من أصحابك [illegible] يذكرون أبا بكر وعمر [illegible] الذى [illegible] أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا [illegible] على ذلك قال على أعوذ بالله أعوذ

بالله أن أضمر لها إلا الذي أضمر النبي عليه. لعن الله من أضمر لها إلا الحسن الجميل أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكي قابضاً على يدي حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكنا قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء حتى اجتمع لنا الناس ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه منزه ومما قالوه بريء وعلى ما قالوا معاقب أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلا فاجر شقي صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفا يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما ومضيا والمؤمنون عنهما راضون أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده ولاه المؤمنون ذلك وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين وأنا أول من سن له ذلك من بني عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك وكان والله خير من بقي أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأيسه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه ثم ولي الأمر بعده عمر رضي الله عنه وكنت فيمن رضي فأقام الأمر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيما بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين لا تأخذه في الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواما وألقى له في قلوب المنافقين الرهبة وفي قلوب المؤمنين المحبة شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظاً غليظا على الأعداء فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضي في سبيلهما فمن أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت في هذا أشد العقوبة

لا فى أوست به بقول بعد هذا اليوم فان عليه ماعلى المفترى إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو أقول قولى واستغفر الله لى ولكم

أخبرنا سعد الله بن على بن الطرنشى نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى جناب الكلبى عن أبى سليمان الهمدانى عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبابكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الباطنية ﴾

قال المصنف الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين الصحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسما

﴿ الاسم الاول الباطنية ﴾ سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والاحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورها توهم الجهال صوراً جلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على أبطال الشرائع

﴿ الاسم الثانى الاسماعيلية ﴾ نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه لانه سابع واحتجوا بأن السموات

سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة وعلى
هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه على ثم ابنه محمد بن
على ثم إبراهيم ثم السفاح ثم المنصور وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال
على بن محمد عن أبيه أن رجلا من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص فتكلم
بالغلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى
على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم فى الائمة واحداً بعد واحد إلى أن صارت إلى
ابراهيم ابن محمد واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله
فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم
فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضرا وألقوا نفوسهم
كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى
السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت

﴿ الاسم الثالث السبعية ﴾ لقبوا بذلك لامرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة
سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتها إلى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة
وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له والثانى لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط
بالكواكب السبعة زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد
ثم القمر

﴿ الاسم الرابع البابكية ﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال
له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنا فظهر فى بعض الجبال ناحية
أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات
وكان إذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة او أختاً جميلة طلبها فان بعثها اليه وإلا قتله وأخذها
ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقتل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة
إنسان[1] وحاربه السلطان وهزم خلقا من الجيوش حتى بعث المعتصم أفشين لحاربه
فجاء بابك وأخذه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه

(١) وفى نسخة فقتل مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان

ما بالك قد عملت مالم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد فقال ستري صبري فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت في الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعا من الموت فقال لا ولكني لما قطعت أطرافي نزف الدم فخفت أن يقال عني إنه أصفر وجهه جزعا من الموت فلما فعلت ذلك في فسترت وجهي بالدم كيلا يرى ذلك مني ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعا لعنهما الله وقد بقي من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يدهمون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح

﴿الاسم الخامس المحمرة﴾ قال المصنف سموا بذلك لانهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها

﴿الاسم السادس القرامطة﴾ قال المصنف وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان أحدهما أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمي كرميتة باسم الذي كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده والثاني أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لتلا تتعب فقال أني لم أؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة فقال ذلك إذن هو الله رب العالمين فقال صدقت قال له فما غرضك و

هده القريه التى نقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلاله إلى الهدى ومن الشقا إلى السعاده وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد فقال له حمدان انقذنى أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقه به والعهد اليه فقال اذكر عهدك فانى ملتزم به فقال له أن تجعل لى وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الامام الذى ألقيه إليك ولا تفش سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه الدعوه فسمى أتباعه القرامطه والقرمطية ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأسا رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل مالا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف وفتك بالحاج وسبى لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم محالات وكان إذا قائل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرسا وخلعة وثيابا وسلاحا وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وإن لم يكن له فرس حشر ماشيا وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه اذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سمعوا من يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أتأكل رزق أبى سعيد وتصلى على أبى القاسم وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبه فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الاسود فحمله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم[1] لفظ أعجمى ينبئ عن الشئ المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب

---

(١) خرم بضم الخا وتشديد الرا مفتوحه بوزن سكر صفه مشبهه بالفارسى بمعنى جذلان ومسرور

السهوات وكيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين نبغوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم فى نهاية المذهب وإن خالفوهم فى مقدماته

﴿ الاسم التاسع التعليمية ﴾ لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم أبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعلم من الامام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعلم

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة قال المصنف أعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الانبياء ممخرقون ومنمسون[1] ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الاقطار وأنهم عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركهم عقلا وأسخفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالاكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ماجرى على آل محمد من الظلم والاذلال لنتمكن بذلك من شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فاذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما ينقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين فان بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والاخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وانما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فاذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ونزعم أنه من أهل البيت وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل ثم لا نظهر هذه الدعوة على

---

(١) ممخرقون أى مكذبون مموهون ومنمسون أى ملبسون على الناس الحق بالباطل

القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسماه بالعصمة فإن قرب الدار يهتك الأستار وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وللقوم حيل فى استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه فإن كان مائلا إلى الزهد دعوه إلى الامانة والصدق وترك الشهوات وإن كان مائلا إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله وأن الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هـــذه الدنيا الفانية ويثبتون عند أكل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدونه فيستجيب لهم إما رجل أبله أو رجل من أبناء الاكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الاسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله أو شخص يحب الترفع عن معتقد العوام ويروم برغمه الاطلاع على الحقائق أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم، أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات وثقل عليه التكليف

﴿ فصل ﴾ فى ذكر نبذة من مذاهبهم قال أبو حامد الطوسى الباطنية قـــوم يدعون الاسلام ويميلون إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام فمن مذهبهم القول بالهين قديمين لا اول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى قالوا والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى، وهو أول مبدع ثم حدث النفس الكلية وعندهم أن النبى عليه السلام عبارة عن شخص[1] فاضت عليه من السابق بواسطة التالى قوة قدسية صافية

---

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل الهاشميون مذهبهم فضلوا وأضلوا

وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر مساوٍ للنبى عليه السلام فى العصمة وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد هو عود الشيء إلى أصله وعود النفس الى أصلها وأما التكليف فالمنقول عنهم الاباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لا بد للانسان من التكليف فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا عن الجانبة من دره المستجيب بافشاء السر ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم بالباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد والصيام الامساك عن كشف السر والكعبة هى النبى والباب على والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى تحصن به من استجاب لدعوته ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الارواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس عمر بن الخطاب فى خرافات يعنى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فيكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لاحدهم فليقل له أعرفتم هذه الاشياء التى تذكرونها عن ضرورة أو عن نظر أو عن نقل عن الامام المعصوم فان قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذوو العقول السليمة ولو ساغ للانسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل لانه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وإن قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد صلى الله عليه وسلم مع المعجزات ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الامام المعصوم له باطن غير ظاهر ثم يقال لهم

هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها فإن قالوا يجب إظهارها فلما فلم يكتمها محمد صلى الله عليه وسلم وإن قالوا يجب إخفاؤها فلما ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه قال ابن عقيل هلك الاسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الوجب والنهي عن المنهي وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله فحملوا الأسما والصفات على ما عقلوه والحق بين المنزلتين وهو أن يأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ويرفض كل باطن لا تشهد به دليل من أدلة الشرع

قال المصنف ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم بل التوبيخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه بأن أقول إن للآمال طرقا تسلك ووجوها توصل ووضع الأمل في جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التي طبقت الأرض أقواها شريعة الاسلام التي يتظاهرون بها ويطمعون في إفسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع في محوها فضلا عن إزالتها حمقا [illegible] يجمع كل سنة بعرفة ويجمع كل أسبوع في الجوامع ويجمع كل يوم في المساجد [illegible] يحدثكم نفوسكم بكدر هذا البحر الزاخر ومحو هذا الأمر الظاهر [illegible] كل يوم [illegible] بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وغاية ما أتم عليه حديث في خلوة أو مقدم في قلعة أن يستر [illegible] فهل هل الكاذب في بحث العاقل يحكم نفسه بطهر ما أتم عليه على هذا الأمر الكلي الذي طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجيء إلى باب المبادرة بالبراهين العقلية

(فصل) قال المصنف [illegible] الباطنية المتأخرين [illegible] وأربعمائة قتل السلطان جلال الدولة بركيارق خلقا منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفا وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتا من اللآلي المحصور

وكسب بذلك كتاب إلى الخليفة فقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يجاسر أحد أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصده وينتهب ماله وأول ماعرف من أحوال الباطنية في أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد في ساوه ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوه فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم بقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك وكانوا يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الامر إلى أنهم كانوا يسرقون الانسان ويقتلونه ويلقونه في البئر وكان الانسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذي فيه هذه الدار ، فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون في طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً [illegible]

[illegible]

وما بين دينار وسلم إليهم القلعة في سنة ثلاث وثمانين في أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرزاق ابن بهرام إذ كان صبيا ثم الى مصر وتلقى من دعاتهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته في دعايته ألا يدعو إلا غبيا لا يعرف بين يمينه وشماله مثلا ومن لايعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له جديد ماتم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك في نفسه ، ثم يقول إذا كانت الازارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في قتال بني أمية فما سبب تخلفك بنفسك في نصرة إمامك فتتركه بهذه المقالة

طعمه للسيف ، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة
ويهدده إن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والامراء ، فقال في
جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد
أن أنفذكم إلى مولاكم في حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك ، فظن رسول
السلطان أنها رسالة يحملها إليه ، فأومأ إلى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينة
وضرب بها غلصمته(١) فخر ميتاً وقال لآخر ارم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق،
ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد
طاعتهم لي وهذا هو الجواب ، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى
فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الامراء
والوزراء قال المصنف وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالاً عجيبة فلم
نر التطويل بها هنا

(فصل) وكم من زنديق في قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد وزخرف
دعاوى يلبس بها من صحبه ، وكان غاية مقصوده الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين
وفي العمل نيل اللذات واستباحة المحظورات فمنهم بابك الخرمي حصل له مقصوده
من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ في الأذى ثم المرامطة وصاحب الزنج
الذي خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت
عواقبهم في الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما سلف منهم ومنهم من لم يخرج على
غيره ففاته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندي والمعري أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن
أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال كان ابن الراوندي ملازم الرافضة وأهل
الالحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر

قال المصنف من تأمل حال(٢) ابن الراوندي وجده من كبار الملحدة وصنف

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق والجمع غلاصم

(٢) ومن تتبع شعر أبي العلاء المعري ، ونثر ابن الراوندي ، علم أنهما على جانب عظيم
من الالحاد والزندقة إلا أن المعري يستر كفره ، خلافاً لابن الراوندي وقد ظهر في زماننا

كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذه وهو في شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً في تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بحسراته وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المتسترين قد خبت بحمد الله فليس إلا باطني مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً وأرذلهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق

﴿ الباب السادس في ذكر تلبيس إبليس على العلماء في فنون العلم ﴾

قال المصنف إعلم أن إبليس يدخل على الناس في التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر ولكن يغلب الإنسان في إيثار هواه فيغمض على علمه بذلك ومنها غامض وهو الذي يخفى على كثير من العلماء ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم

﴿ذكر تلبيسه على القراء﴾ فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفني أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها والإقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم

= فمن من يتمذهب بمذهبهما وأورد المعمى المتفلسف، وقد فسره أبي العلاء المعري، ويرغب الناس في مذهبه وبعده، ويروج وإفادته ونشرها بين الناس للإضلال، وقد سرى هذا المذهب إليهم من رحلتهم إلى مدارس أوروبا، وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كلا والله، إنهم لفي سكرتهم يعمهون، وفي سفاهتهم يتيهون، والخذلان أعماهم يقولون ولا يعلمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون

(١) وفي نسخة وربما حمله حب التصدر حتى أخرى بعين الجهل على أن يجلس في موضع بما يقع له وإن لم يجر في مذهبه

العمل به ثم الاقبال على ما يصلح النفس و يطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الاهم ، قال الحسن البصري أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملا يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به ومن ذلك أن أحدهم في محرابه بالشاذ و يترك المتواتر المشهور والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب [illegible] الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه مشاغل بالقرآن ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لانه إخراج للقرآن عن نظمه ومنهم من يجمع السجدات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك مكروه وقد صارت [illegible] [illegible] كثير للحديث فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع [illegible] الرجال للفساد ويريهم إبليس أن في هذا إعزازا للاسلام وهذا [illegible] [illegible] [illegible] الشرع باستعمال المشروع ومن ذلك أن منهم من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه فقال أخبرنا [illegible] هو يرى أن الامر في ذلك [illegible] لكونه يروي القرآن وإنما فعل خير و نسي أن هذا كذب يلزمه اثم الكذب ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويحدث مع من يدخل عليه والطبع لا يطيق جمع هذه الاشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان وقد كان بعض المحققين يقول ينبغي أن يجمع اثنين أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات فإن قصر عيب وإن أتم مدح ويجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السعاة ويريهم إبليس أن في كثرة التلاوة ثوابا وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغي أن تكون على تمهل وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت الى حد قريب وعلى ذلك فقد كرهها أحمد ابن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي أنبأنا محمد بن ناصر نا ابو علي الحسين بن سعد الهمداني نا أبو بكر أحمد بن علي بن لال نا الفضل ابن الفضل ثنا الساجي نا الربيع ابن سليمان قال قال الشافعي اما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الالحان وتحسين الصوت .

قال المصنف وقلت إنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته فإن أخرج القرآن عن وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتمدوا أن حفظ القرآن يدفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام لو جعل القرآن في إهاب ما احترق وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوي الحجة وكون القارىء لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر قال الله عز وجل (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقال في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن ابن رزقويه نا إسماعيل الصفار نا زكريا بن يحيى نا معروف الكرخي قال قال بكر بن حنيش إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وإن في الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون أي رب بدأ بنا قبل عبدة الأوثان فقيل لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم قال المصنف فليقتصر على هذا الأنموذج فيما يتعلق بالقراء

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ﴾

من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم في أداء اللازم والتفقه في الحديث (فإن قال قائل) فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الأسانيد وقلة الحديث

فاتسع زمانهم للامرين فأما فى هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والصانيف فيه اتسعت وماتى هذا الكتاب فى تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه وهولاء يمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا زوامل أسفار لايدرون ما معهم فان أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ما فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا قال الخطابى وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام قال وأخبرنى أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنما هو الحلق جمع حلقة إنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة فقال قد فرجت على وكان من الصالحين وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور القزاز نا ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال سمعت البرقانى يقول قال أبو بكر الابهرى الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت ايها الشيخ ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر او نجس فقال [illegible] ويحك كيف سقطت الدجاجة إلى البئر قالت لم يكن [illegible] يحيى ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شئ قال الابهرى فقلت [illegible] فهو نجس وإلا فهو طاهر

قال المصنف وكان ابن [illegible] وأكثرها تفسير وهو [illegible] من الفقه [illegible] تقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين [illegible] فكان فيهم من يصنف [illegible]

فسُئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى نقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى

وأنبأنا محمد بن أبي منصور نا أحمد بن الحسن بن خيرون نا أحمد بن محمد العتيقي نا أبو عمر بن حياه سليمان بن إسحاق الجلاب ثنا إبراهيم الحربي قال بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له حلفت بصدقة إزاري فقال لها بكم اشتريته قالت باثنين وعشرين درهماً قال إذهبي فصومي اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار

قال المصنف قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى المحكم وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس

القسم الثاني قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولي من الأسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري وقد كان دخل إلينا بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطئ دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته حدثني فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث وكان يقعد الشيخ بين نهري عيسى والصراة ويقول حدثني فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث وكان يقول حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمان الطلب

قال المصنف وهذا كله من الاخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب

ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل خبث مقصد هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه نا بكر بن أحمد الحيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سألت حارثاً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشئ يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة بأخذ من حسناتك أو بأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشتفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه ليحذره الناس ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن يسأل عنه وإنما جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للامانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب تبدى عوار الأخ ثم تتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب فتمكن من لحم أخيه المسلم ثم تتزين بالدعاء له وأما منبع الغيبة

من الرؤساء والأساتذه فى طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيصبح بابداء الرحمة والشفقة على أخيه ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه» وقد روى عن النبى ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فيعمى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكما بما لا يثبت به فأما إذا كان المروىّ عنه ثقة فنسبه إلى جده او اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الروايه عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهه والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهوره فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنه فكيف يستخرج من شئ لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب

ويحتاج الانسان إلى السهر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الاسلام

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلبا للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى

﴿ ذكر تلبيسه عليهم بادخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة ﴾ واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الادب تقديم الاستدلال بالحديث ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى يتمذهب له لم يمكنه سلوك طريقهم وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم فاذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض

السلف يقول حديث يرويه فلى أحب إلىّ من مائة قصة من قصاما شريح وإنما قال هذا لأن رفه الفلسف مقصوده ولها أسباب ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظره وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقى علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل عن آيه أو حديث فلا يدرى وهذا عين قاس الأئمة من المقصر ومن ذلك أن المجادله إنما وضعت لتبيين الصواب ، وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفى على أحدهم شئ نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعله يظنها فقيل له ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمنى ذكر ذلك ولقد صدق فى أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل ، بل فى باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه الحق ، وهذا من أقبح القبح لان المناظره إنما وضعت لبيان الحق ، وقد قال الشافعى رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجه إلا سقط من عينى ، ولا قبلها إلا هبته وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت اليه ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظره يثير الكامن فى النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابره فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادله مجادله ومن رخصهم فى الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم تكلمت مع فلان فما قال شيئاً ، ويتكلم بما يوجب التشفى من عرض خصمه بتلك الحجة ، ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم أن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئا وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك اقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا فى المشكلات كان أولى

فصل أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد بن

الحسن بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان نا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى يرجع الى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضاً يقول أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثاً الا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا

قال المصنف وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال ما وجدت من تسأله غيرى وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل يرون لى أن أفتى فقالوا نعم فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت وقال رجل لأحمد بن حنبل إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك

قال المصنف وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عزوجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرهم تأدب

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الامير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شىء وإن كانت من شبهة فتركها

أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إعانته فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء يقطعون على السلطان اقبالا على التعبد والدين فزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس ، وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم ، وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول ما أخاف من إهانتهم لى انما أخاف من اكرامهم فيميل قلبى اليهم ، وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمرا لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم وبذلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديما يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لانه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم ، ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحتال على المكس وأخذه إلى غير ذلك من المعاصى وسبب انبساط هؤلاء مختلف فمنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة يحرك إلى الكبر والعجب وإنما يقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما نعتى

الطبع على سموحه فخبند بسرح الهوى بلا راد ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء وقد قال الحسن البصرى إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل قال ابن عقيل رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الاعداء بك إن كنت مسلماً لأن ابليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين خلع عليك السلطان فانخلعت به من الايمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بحربه حيث هو تتم أمره هكذا لبسك قلت هذه رعونات الطبع الآن بمت بحسك لان عدوانك دليل على فساد باطنك

ومن تلبيسه عليهم أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال « نحن نقص عليك أحسن القصص » وقال « فاقصص القصص » وإنما ذم القصاص لان الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظاً فهو ممدوح وقد كان أحمد بن حنبل يقول وما أحوج الناس الى قاص صدوق

﴿ ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء وقد حضر مجلس عبيد ابن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنسا فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن ذلك أنهم يلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الاشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكا وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الالحان والالحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغنا فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنسا وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى مالا يجوز ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلا ويذكر الغربة ومن مات غريباً فيبكى بها النسا ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لاما يوجب الجزع ، ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه إبليس إنك من جملة الموصوفين بذلك لانك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ماتصف وسلكت الطريق وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد وكم منهم من يروق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا

ويستعمل الزنا ويعرف المرأة حتى زوجها ويحفظ صلاتها فهيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعتهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصى ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله

(فصل) وقد يكون الواعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرياسة فى قلبه مع الزمان فيحب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلاص الخلق

(فصل) ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان ، ومنهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر

(فصل) وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول إنك تلتذ بما توردة وتجد لذلك راحة فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم ومقصوده بذلك سد باب الخير وعن ثابت قال كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أو هناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤونته وتبعته قال ثابت فأعجبنى قال ثم تكلم الحسن وإنما هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر

﴿ ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب ﴾

قال المصنف قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الانسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذهي مرادة لغيرها فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنكم من علماء الاسلام لأن النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز ولعمرى أن هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لاصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن ، ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل

(فصل) وبما ظنوه صوابا وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال نعم قال والاشهاد أن يمذي الرجل

قال المصنف وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول المستفتى ما تقول فى وطء الرجل زوجته فى قرئها فان القرء يقع عند الفقهاء على الاطهار وعلى الحيض ، فيقول الفقيه يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ ، وكذلك لو قال السائل هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر ، لم يجز إطلاق الجواب فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل

{ فصل } ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع الى هوة الهوى فاتبعت شرع البطالة بعث فقل أن ترى منهم متشاغلاً بالنحو أو ناظراً في مطعم فان النحو يعلق طالبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو علي الفارسي يطفل على عضد الدولة وغيره وقد يطلبون جوائز الشيء وهو غير جائز لفضله فمنهم كما جرى للزجاج أبي إسحاق ابراهيم بن السري ، قال كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له ان بلغك الله مبلغ أبيك وولّيت الوزارة ماذا تصنع بي فيقول ما أحببت فأقول له أن تعطيني عشرين ألف دينار ، وكانت غاية أمنيتي فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له ، وقد صرت نديمه فدعتني نفسي الى إذكاره بالوعد ثم هبته فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر ، فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج الى إذكار لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق ، فقال لي انه المعتضد ، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك اليك في مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمع بأخذه متفرقاً فقلت له افعل ، فقال اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسألتي شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لي كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوي كذا وكذا فاسترد فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدونني حتى أبلغ الحد الذي رسمه قال فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مدة مديدة فقال لي بعد شهور يا أبا إسحاق حصل مال النذر فقلت لا ، فسكت وكنت أعرض ثم يسألني في كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندي ضعف المال ، وسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل ، فقلت قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عني فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك ، قال ثم أخذ الدواة ووقع لي الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمي

فأومأ إلىّ مات ما معك لتستدعي مني الرقاع على الرسم فقلت ما أحدث من أحد رقعه لأن الندر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال ياسبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وعدو ورواح لي بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رسمك أعرض على رسمك وخذ بلا حساب، فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت مالي هذا

قال المصنف انظروا ما يصنع به الفقه فإن هذا الرجل الكبير القدر في معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به فإن إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الشعراء ﴾

قال المصنف وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والاقرار بالفواحش وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة وترى خلقاً من الشعراء وأهل الادب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب في المدح خارجا عن الحد ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك ويقول أحدهم اجتمعت أنا وجماعة من الادباء ففعلنا كذا وكذا - هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له ولا قدر للفطن في أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله اذا لم يتقه وجمهور الادباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم

لئن سمت همتي في الفضل عالية ... فإن حظي ببطن الارض ملتصق

كم يفعل الدهر بي ما لا أسر به ... وكم يسيء زمان جائر حنق

وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم

مستوحشين السلامة من البلاء ولم يلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة

{ ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء }

قال المصنف إن أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك فأتاهم إبليس يخفى التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظمة لما نالوا وأفادوا غيرهم فمنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك فى مشتهاها فإن وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة وأورد عليه فضل العلماء فإن خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس هلك وإن وفق فينبغى له أن يقول جوابك من ثلاثة أوجه أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به وصرت مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجائع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته صلى الله عليه وسلم عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وقول أبى الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات والثالث أن يذكر له عقاب من هالك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعام ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

{ فصل } وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ — وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة طريفة فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من خاشع منكم وبكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه أو قال حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم. وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس وقد كان أيوب السختياني إذا حدث فحدث برق ومسح وجهه وقال: ما أشد الزكام، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه: أحدها الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب. والثاني لسروره بثلب المسلمين. والثالث: أنه لا ينكر

(فصل) وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلي ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وما هذه صفة المخلص في التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر. وقد ذكرنا آنفاً حديث ابن أبي ليلى وبعده بإسناد[1] آخر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب

(١) كذا في الأصول بدون ذكر السند

النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شىء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد تخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة بأنهم يخفى من يلبسه بأن يقول له ما لقيت مثلك ما أعرفك بمداخلى ومخارجى فإن سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسالمة له سلم وقد قال السرى السقطى لو أن رجلا دخل بستانا فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً والله الهادى لا إله إلا هو

﴿ الباب السابع فى تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها فالوجه الأول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ماولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه فى عباده ويكشف هذا التلبيس بأنهم إن كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه فحينئذ يحبهم لطاعته فأما صورة الملك والسلطنة فإنه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه وبسط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فجاروا أعلالهم عليهم لا لهم ودخل ذلك فى قوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً والثانى أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم ويتلفون الدين والمعلوم أن الطبع دنيء من حصال المحال فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا أهمال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما نهاه بها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك والثالث أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبى ﷺ قال من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره والرابع أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى فيجلب الدعاء عليهم بظلمه الناس

ويطعمهم الحرام بالسوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد، ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل بما حملوه فى عنق الوالى ـ هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق يفرقها خانوا وضمن والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يحل قتله ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع فى سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل «ما فرطنا فى الكتاب من شيء» وقال «لا معقب لحكمه» فمدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة وهذا يزاحم الكفر وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا تشغل قلبه عن تدبير الملك وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل واعتقاده أن هذا جائز كفر وإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم

وهذا تلبيس تكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمسامح فى حفظ مال غيره وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين وقد زين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد يمنع عنكم العقاب وجواب هذا أن يقال إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل وهذا واجب عليهم وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد قال رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور المطبخ رجلا يرون يطوف على باعة الخبز فإذا اشترى أحد سلة خبز حوارى لم

يعرض له وإن اشترى سلبى فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يمكن من عليها خبزاً .
قال وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو
العمل بالنجوم وأدركنا الحدث ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر
إلى أن يدى بحكم الحكم والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها
بالضرب العسف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق إقامة البينة
على الخائن وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : أن قوماً خانوا
فى مال الله ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب فكتب إليه
لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم والعاشر أنه يحسن لهم
التصدق بعد الغصب ويريهم أن هذا يمحو ذلك ويقول إن درهما من الصدقة
يمحو إثم عشرة من الغصب وهذا محال لأن إثم الغصب باق ودرهم الصدقة إن
كان من الغصب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضا إثم الغصب لأن
إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر والحادى عشر أنه يحسن لهم مع الاصرار
على المعاصى زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم وهذا
الخير لا يدفع ذلك الشر وفى الحديث عن الحسن بن زياد قال سمعت مسعراً يقول مر
تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك فقام مالك
فمشى معه إلى العشار فلما رأوه قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا فى حاجتك قال حاجتى
أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون
ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه فقالوا ادع لنا يا أبا يحيى قال قولوا
للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أترى يستجاب لواحد
ولا يستجاب لألف والثانى عشر أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فأمره بالظلم
فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك وهذا باطل لأنه معين
على المعاصى عاص قال رسول الله ﷺ لعن فى الخمر عشرة ولعن آكل الربا
وموكله وكاتبه وشاهديه ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه
يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضا وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر
ابن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا
للخونة والله الهادى إلى الصواب

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات ﴾

قال المصنف اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل فهو يدخل منه على الجهال بأمان وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم وقد قال الربيع بن خثيم تفقه ثم اعتزل

فأول تلبيســـه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبد الله فضل العلم خير من فضل العبادة وقال يوسف بن أسباط باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة ، وقال المعافى بن عمران كتابة حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة

قال المصنف فلما تم عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم في فنون التعبد

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الاستنجاء والحدث ﴾

من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء وذلك يؤذي الكبد وإنما ينبغي أن يكون بمقدار ومنهم من يقوم فيمشي و يتنحنح ويرفع قدماً ويحط أخرى ويعتقد أنه يستنقي بهذا وكلما زاد في هذا نزل البول ـ وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجتمع فيها فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء ومنهم من يحبس له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فان استعمل الأحجار فما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الوضوء ﴾

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول أرفع الحدث ثم يقول أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول أرفع الحدث وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ ومنهم من يلبس

عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به فيقول من أين لك أنه طاهر وقدر له فيه كل احتمال بعد وفتوى الشرع تكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا تترك الأصل بالاحتمال ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة الإسراف فى الماء، وتضييع العمر المهم فيما ليس بواجب ولا مندوب، والتعالى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة

وتلبيس إبليس على هذا بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط، وقد رأينا من يحتاط فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر، وفى الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف ياسعد، قال أفى الوضوء سرف، قال نعم وإن كنت على نهر جار، وفى الحديث عن أبى عن النبى ﷺ، قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه، أو قال فاحذروه، وعن الحسن رضى الله عنه قال شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء، وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك، فقال عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإنى سمعت النبى ﷺ يقول سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور، وعن ابن شوذب، قال كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً، ودلكا دلكا، تعذيباً لأنفسهم وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول، أجل محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبد به الماء وقد قال صلى الله عليه وسلم، صبوا على بول الأعرابى ذنوباً من ماء، وقال فى المنى أمطه عنك بإذخرة، قال وفى الحذاء طهوره بأن تدلك بالأرض، وفى ذيل المرأة يطهره ما بعده، وقال يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام وكان يحمل بنت أبى العاص بن الربيع فى الصلاة ونهى الراعى عن إعلام السائل له عن الماء وما رده وقال ما أنبئت لنا طهور وقال يا صاحب الماء لا تخبره وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب وركب الحمار معروريا وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء، وتوضأ من سقاية المسجد ومعلوم حال

الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك ليعلمنا ويعلمنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ من غدير كان ماؤه نقاعة الحناء ، فأما قوله استنزهوا البول فإن للتنزه حداً معلوماً وهو أن لا يعمل عن عمل قد أصابه حتى يتبعه الماء ، فأما الاستنثار فإنه إذا علق بما وانقطع الوقت بما لا يقضي بمثله الشرع

قال المصنف وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماء كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال بت ليلة فإذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا يحيى بن سعيد الأنصاري حدثني عن سعيد بن المسيب قال إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء قال قلت لا أعود ، فأنا اليوم يكفيني كف من ماء

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الأذان ﴾

ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهة شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالذكر والتسبيح والمواعظ [illegible] وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان وقد رأينا من [illegible] المنارة فيعظ ويذكر ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الصلاة ﴾

فمن ذلك تلبيسه عليهم في الثياب التي يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى غسلها في البيت يجزىء ، ومنهم من يدليها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا في ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن يتسخ عليه ـ ولا يظن ظان أني أمنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هي التي نهى عنها ، ومن ذلك تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من

يقول أصلي صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه . فليت شعري ما الذي أحضر النية حينئذ وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة وفي الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة ومنهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه شيء من هذا وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلي بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الاعادة أتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض

قال المصنف وقد حكى لي بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال إني أغسل العضو وأقول ما غسلته وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل دع الصلاة فإنها ما تجب عليك فقال قوم لابن عقيل كيف تقول هذا فقال لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة

قال المصنف واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله فإن هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم ، فقيام الانسان إلى الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفريضة في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها فما وجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير

على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد انعقدت بالتكبير وعن مسور قال أخرج إلى معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله والذى لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبى بكر وإنى لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم

(فصل) ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط وهذا تلبيس نكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة فكيف يهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب

(فصل) ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الإمام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الامام . وهذا تلبيس أيضاً لان الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن تقدم عليه سنة

قال المصنف وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم يزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى — وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين وهذا أمر أوجبه قلة العلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبوداود فى سننه أن ابن الزبير قال وضع اليد على اليد من السنة وإن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على اليسرى

قال المصنف ولا يكونن عليك انكارنا على من قال أراد قرب القلوب ولا أضع

بدأ على يد - وإن كان من الأكابر فإن الشرع هو المسكر لا نحن وقد قيل لأحمد ابن حنبل رحمة الله عليه أن ابن المبارك يقول كذا وكذا فقال إن ابن المبارك ينزل من السماء وقيل له قال إبراهيم بن أدهم فقال جئتمونى بنبات الطريق عليكم بالأصل فلا ينبغى أن نترك الشرع لقول معظم فى النفس فإن الشرع أعظم والخطأ فى التأويل على الناس يجرى ومن الجائز أن يكون الأحاديث لم تبلغه

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد وتارة فى إخراج صاد المغضوب ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب وإبليس يخرج هولاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من إبليس وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل ابن أبى أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء تنفله قال إنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات «رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله ثلاثاً واتفل عن يسارك ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا أن العبادة هى القيام والقعود فحسب وهم يتأنون فى ذلك ويخلون فى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الإمام عنهم ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون

القراءة ويتركون المسنون فى الصلاة ويسكنون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لى أنا أطرد النوم عنى بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فإن لنفسك عليك حقا وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته ولقد رأيت شيخا من المتعبدين يقال له حسين القزويني يمشي كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لئلا ينام فقلت هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل أما الشرع فإن النبي ﷺ قال إن لنفسك عليك حقا فقم ونم وكان يقول عليكم هديا قصداً فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا لزينب تصلى فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال حلوه ثم قال ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو نعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه

قال المصنف هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فهى دفعه الانسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل (فإن قال قائل) فقد روينا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل فالجواب أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هى المتبوعة

يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة الى الكسب ، ثم ان منهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشفت دماغه وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز

(فصل) وقد شيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وان أفطر أخفى افطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء ولو أراد الاخلاص وستر الحال لافطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم علم أنه يصوم ثمّ عاد الى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بأنك انما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه ، ان العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومنهم من عادته صوم الاثنين والخميس فاذا دعى الى طعام ، قال اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، ومن هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولاعن نظرة ولاعن فضول كلمة وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك ، وكل هذا من التلبيس

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف قد يسقط الانسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لاعن رضا الوالدين وهذا خطأ ، وربما خرج وعليه ديون او مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بما حج بمال فيه شبهة ومنهم من يحب أن يلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همه عدد حجاته فيقول

لى عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم تشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته معلقة بفتوح تصل إليه ممن كان وربما قال أن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق

وقد لبس إبليس على جماعـــة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون إذا باعوا ويظنون أن الحج يدفعهم عنهم وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يضيعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتسفح رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك وفى أفراد البخارى من حديث بن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه وفى لفظ آخر رأى رجلا يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده

قال المصنف وهـذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة

(فصل) وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد فقال له أحمد فاخرج فى غير القافلة قال لا إلا معهم قال فعلى جراب الناس توكلت ؟ فنسأل الله أن يوفقنا

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الغزاة ﴾

قال المصنف قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربمـا كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمـة وإنمـا الأعمال بالنيات وعن أبى موسى قال جا رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجاه فى الصحيحين وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال إياكم

أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فان الرجل لىقاتل لىغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه وبالاسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار انفرد بإخراجه مسلم وبإسناد مرفوع عن أبى حاتم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان يقول كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص كيف خاف على إخلاصه رؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه وقد كان ابراهيم بن أدهم يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر

(فصل) وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم وربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فاما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزل قام عبد رسول الله

ﷺ على رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فلما قلنا له هنيئا له الشهادة يا رسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم فقال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراكان من نار

(فصل) وقد يكون العارى عالما بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل وها هنا يتبين أثر الايمان والعلم روينا باسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى قال لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئا فقال أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا فقالوا من أنت ، فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولا أغيركم لتقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى ثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد القيس

﴿ ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول ابليس على العالم من طريقين

الطريق الاول التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن أحمد بن أبى الحوارى ، قال سمعت أبا سليمان يقول سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم الى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير تصحيح فجلست وسكت

والطريق الثانى الغضب للنفس وربما كان ابتداء وربما عرض فى حالة الأمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الاهانة فيصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل ، لولا أنى غضبان لعاقبتك وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن يمزج العقوبة من غضب الله ولى

(فصل) فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه لأنه ربما نهى عن شىء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال إذا كان مغطى فلا تكسره وقال فى رواية أخرى إكسره وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشىء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه

(فصل) ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيرا منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن وسمعت عن بعض الجهلة بالانكار أنه يهجم على قوم ما تيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأوانى وكل هذا يوجبه الجهل فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة فقال إن الله يراكما سترنا الله وإياكما وكان عمر يقوم يلعبون فيقول يا إخوانى ما تقولون فمن أراد سفر فتام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره فانتبه رجل منهم فقال يا قوم إنما يعنينا هذا فتاب وصحبه

(فصل) وأولى الناس بالتلطف فى الانكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكرا فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا لست بصالح فكيف آمر غيرى وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه إلا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر

أثر إنكاره وإذا لم يكن مبرهناً لم يكد يحمل إنكاره فينبغي للمنكر أن يريه نفسه ليؤثر إنكاره قال ابن عقيل رأينا في زماننا أبا بكر الاقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أصير من اطلاعه في السور وتبعه وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بمنولة عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش

﴿ الباب التاسع ﴾

في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدري ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس بانك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد في جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها وإنما تمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف تذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلي فيه وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع وأن الخروج إلى الجبال المنفرده منهي عنه فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لترك الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل وفراق الوالد والوالدة في مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج الى جبل فا حوالهم أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه مجتمعين ومن لم يحتمل حالهم نبهنا

صحيحاً فيهم على الخطأ من كانوا ، وقد قال بعض السلف خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد وكم قد رد إلى الصواب من متعبد

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير ومنهم من لا يذوق الفاكهة ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا فإذا وجدوا أكلوا وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى وقد كان رجل يقول أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره فقال الحسن البصرى هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج وينبغى للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والافراط فى تناول الشهوات فإن ذلك يؤذى البدن والدين

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم يلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضا ولا نعول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه فإن تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤذى من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل وقد حمل فى الطبع ميل

إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لابد فى قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره ومايخاف عاقبته فان ذلك يفسدها فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى وكان ابن عقيل يقول ما أعجب أموركم فى التدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب وبين ... الهوى وإطراح العيال واللحوق برؤوس المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى وإنما نشير إلى خفى الرياء وقد قال النبى ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل قال مالك ابن دينار قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلتبس الامر فنجاته منه صعبة وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط تعلموا صحة العمل من سقمه فانى تعلمته فى اثنين وعشرين سنة وفى الحديث مرفوعا عن إبراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت إبراهيم

ابن أدهم يقول تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له يا سمعان منذ كم أنت فى صومعتك هذه قال منذ سبعين سنة قلت ما طعامك قال يا حنيفى وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الذين بحذائك قلت نعم قال إنهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ، فلما ذلك وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر فى قلبى المعرفة فقال أزيدك قلت نعم قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت : من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق ساوم قلت عشرين دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك ، هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفى ، أقبل على ربك

قلت ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليهم ويفرحوا بصدها ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول ، وكان ابن أدهم إذا مرض ترى عنده ما يأكله الأصحاء وبالاسناد عن عبد الله ابن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الاموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن يقضى له حاجته ، وإن اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وإن لقى حيى ووقر لمكان دينه فشاع الكلام حتى بلغ الملك به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك وما يصنع قال للكلام الذى وعظت به ، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه ، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم

عليه فأجابه بإجابة حسنة وأقبل على طعامه يأكله فقال الملك أين الرجل فقيل له هو هـــذا قال هذا الذي يأكل قالوا نعم، قال فما عند هذا من خير فأدبر فقال الرجل الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به وفي رواية أخرى عن وهب، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة ويغمسها في الزيت فيأكل أكلا عنيفاً فقال له الملك كيف أنت يا فلان فقال كالناس فرد الملك عنان دابته وقال ما في هذا من خير فقال الحمد لله الذي أذهبه عني وهو لائم لي وبإسناد عن عطاء قال أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشي في الأسواق يأكل فقيل للوليد إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً، ولكنه قد علم أنه لابد أن يحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته فيهون عليه الصبر كما جاء على الراهب الذي ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الإخلاص في زهده لأكل مع أهله قدر ما يستحي به جاه النفس ويقطع [illegible] داود بن أبي هند، صام [illegible] سنة ولم يعلم به أهله [illegible] غداه [illegible] السوق فيتصدق به في [illegible] فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل [illegible] السوق هكذا كان الناس

([illegible]) المتزهدين من فوته الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل فلا تعرفه علم الناس [illegible]، وربما احتج لانقطاعه بأني أخاف أن أرى في خروجي المنكرات . وله في ذلك مقاصد منها الكبر واحتقار الناس، ومنها أنه يخاف أن يبصروا في خدمته ومنها حفظ ناموسه ورياسته فإن مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هـــذا ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجيء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول له أصحابه أعذروا الشيخ فهذه عادته لا كانت عادة تخالف الشريعة، ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه

له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن في باطنه حفظ الناموس وقدكان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه وكان أبو بكر رضي الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري ، والحديث بإسناد عن محمد بن القاسم قال روى عن عبد الله بن حنظلة قال مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس ما يحملك على هذا وقد أغناك الله قال أردت أن أدفع به الكبر وذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لايدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر

(فصل) قال المصنف وهذا الذي ذكرناه من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع ومراعاة قلوبهم في مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لايمنع منه وليس كل ما كان في السلف مما لا تتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم قال الاوزاعي كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا الله تعلمنا الرياء فقال إني أكره أن يعصى الله فيكم

قال المصنف وإنما خاف قول الجهلة ، انظروا إلى هولاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لايحملون مثل هذا للمتعبدين

(فصل) ومن هولاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا ينكسر جاهه في الزهد ولو خرج روحه لايأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه في التبسم فضلا عن الضحك ويوهمه إبليس أن هذا لاصلاح الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطأطيء الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأسه ليث شرى

(فصل) وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الاشارة إليهم ويهربون من المكان الذي يشار إليهم فيه والحديث بإسناد عبد الله بن خفيف قال قال يوسف

ابن أسباط خرجت من سبع راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابى على عنقى فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحدقوا بى واطلع رجل فى وجهى فقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا فأخذت جرابى ورجعت بعرقى وعناتى إلى سبع فما رجعت الى قلبى سنتين

(فصل) ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى ألا تسرح لحيتك فقال إنى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم ، فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت اليه

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبى ﷺ إن لأهلك عليك حقاً وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه ويسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل لزوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة ، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التخشف فترك مباضعة الزوجة فيصنع فرضاً نافلته غير ممدوحة

(فصل) ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقا ، ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه ، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله ، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه ، وقد كان ينبغى أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول أستغفر الله من

فلة صدقى فى قولى وقيل لها هل عملت عملا ترى أنه يقبل منك فقالت إذا كان فحالفى أن يرد على

(فصل) ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه، قال ابن عقيل كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقنى كتاب الله وكان من عادته الامساك عن الكلام فى شهر رمضان فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول فى أذنه «أدخلوا عليهم الباب» ويقول لابنه فى عشية الصوم «من بقلها وقثائها» آمراً له ان يشترى البقل فقلت له هذا الذى يعتقده عبادة هو معصية فصعب عليه فقلت أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة

قال المصنف قلت وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه، أن رجلا استفتاه فقال ما تقول فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل يحل لزوجها قال فقلت لا وكان عندى الشريف الدخالى[1] وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام فقال لى بل يحل فقلت ما قال بهذا أحد، فقال والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة

قال المصنف فانظر ما يصنع الجهل بأهله وينضاف إليه حفظ الجاه خوفا أن يرى الزاهد بعين الجهل وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد ابن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم قلت من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا فقال لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا

---

(١) وفى النسخة الثانية الرحالى

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم وسليم هؤلاء يمشى وحده وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه والله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم

(فصل) ومما يعيبون به العلماء تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم وكذلك يعيبون جامع الأموال ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لايذم فاعله وغاية الأمر أن غيره أولى منه فاستحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى ، قال حدثنى أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه شراب ولا طعام فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كثير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجىء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فاذا البواب فبقى حاتم متفكراً يقول يارب دار عالم على هذه الحال ، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور ، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد ابن مقاتل ، وإذا بفراش حسن وطىء وهو عليه راقد وعند رأسه غلام بيده مذبة وناس وقوف ، فقعد الرازى وبقى حاتم قائما فأومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس فقال حاتم ، لا أجلس ، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم ، قال وما هى قال مسألة أسألك عنها قال فاسألنى قال حاتم قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم علمك هذا من أين جئت به فقال حدثنى الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله

ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ . قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم ، هل سمعت في هذا العلم من كانت داره في الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال ، لا قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ، قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبالنبي ﷺ وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمرود فإنهما أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم إن محمد بن عبد الطنافسي بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمي جئتك لتعلمني مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة فقال نعم وكرامة ، يا غلام إناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسي ، أسرفت قال حاتم فبماذا أسرف قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين أربعين يوما وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال يا قوم أي مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلي فيه ركعتين قالوا ما كان لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاطئ ، قال فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة فقال حاتم فهذه مدينة فرعون قال فسبوه وذهبوا به إلى الوالي وقالوا

هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالى لم قلت ذلك قال حاتم ، لا تعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ ، وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا إنما كانت لهم بيوت لاطئة ، وسمعت الله عز وجل يقول « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ، فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون

قال المصنف قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً فإن الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شىء ثم يعاتب عليه فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم لو قصرتم فيما أنتم فيه ليقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بابن عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وعبد الله ابن مسعود رضوان الله عليهم وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل فمرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز وباسناد عن حبيب الفارسى يقول والله ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز

قال المصنف قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

﴿ الباب العاشر ﴾

فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلابد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب

(فصل) قال المصنف كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام . فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ قال سألت وليد بن القاسم إلى أى شىء ينسب الصوفى فقال كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر وبالإسناد إلى الزبير بن بكار قال كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة وكان إذا جاءت الإجازة قالت العرب أجز صوفة قال الزبير قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشىء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال إنما سمى الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده قال وحدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على إن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى فقالت ما صار ابنى إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج وإجازة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة

فلم تزل الإجازة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش

(فصل) قال المصنف وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع

إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة . والحديث بإسناد عن الحسن قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول السلام عليكم يا أهل الصفة فيقولون وعليك السلام يا رسول الله فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير يا رسول الله وبإسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه أبى ذر قال كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبى ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله صلى ﷺ ناموا فى المسجد

قال المصنف وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى ، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل صوفانى وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق وقال آخرون بل هو منسوب إلى الصوف وهذا يحتمل والصحيح الأول

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها الرد له أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الأخرى والحديث بإسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف فقال الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول فى كل خلق سنى وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول قال رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق .

وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبـــوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق

قال المصنف . وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدرى

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ثم ما زال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لابل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال :

كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف لهم أبو طالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد وردد فيه قول - قال بعض المكاشفين - وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف قال: دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين(١) بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك. قال الخطيب: وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات

قال المصنف. وجاء أبو نعيم الأصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ماسيأتى ذكره وصنف لهم عبد الكريم ابن هوازن

---

(١) فى نسخة أبى الحسن

القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء . والبقاء والقبض . والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو . والسكر والذوق والشرب والمحو والاثبات والتجلى والمحاضره والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشيء وتفسيره أعجب منه ، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة قال وصنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية عن يحيى ابن معين قال رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح قال شيخنا ابن ناصر وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الاحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية وقال فى كتابه المفصح بالأحوال إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق

قال المصنف وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم وفى سير السلف نوع خشونة ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والامرا فصاروا أصدقاء

﴿ فصل ﴾ وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات فقال ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون

قال المصنف وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له لا أرى لك أن تجالسهم وعن سعيد بن عمرو البردعي، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال أول من تكلم في بلدته في ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة قال السلمي وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق، وقالوا انه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري أنه يفضل الأولياء على الانبياء فهرب من دمشق الى مكة، وأنكر اهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى، ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام وأقام بمكة سنين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع الى بسطام، قال السلمي

وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التسترى أنه يقول إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبى فى شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات

قال المصنف وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال حذروا من الحارث أشد التحذير أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس

(فصل) قال المصنف وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم وبإسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما يقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع وبإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول سمعت سريا يقول من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى وعن أبى بكر الدقاق من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه من رأيته يدعى

مع الله عز وجل حاله تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربه ، ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريري قال أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً وعن أبي جعفر قال من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال

(فصل) قال المصنف وإذ قد بينت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة في الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصــــداً لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، قد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن نظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الامور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية ، ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه ، وقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي باسناد إلى يحيى بن سعيد قال سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في الحديث فقالوا جميعاً بين أمره ، وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه وقال عن سري السقطي الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنه قال ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال نفروا الناس عنه

﴿ سياق ما روى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزه فى جامع طرسوس فقبلوه فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزه وقال لبيك لبيك فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا الزنديق ، وبالاسناد إلى أبى بكر الفرغانى أنه قال كان أبو حمزه إذا سمع شيئا يقول لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى ثم قال أبو على وإنما جعله داعيا من الحق أيقظه للذكر ، وعن أبى الروذبارى قال أطلق على أبى حمزه أنه حلولى وذلك انه كان إذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول قال السراج وبلغنى عن أبى حمزه أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاة ماع فشهق أبو حمزه شهقه وقال لبيك ياسيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك قال أبو حمزه إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخاله بالرماد

وقال السراج وأنكر جماعه من العلماء على أبى سعيد أحمد بن عيسى الخـــــراز ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقه قال وكم من مره قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم وقال السراج ذكر عن ابى بكر محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظه الحق سبيلا فقيل له أولا أصلى عليهم فقال صل عليهم بلا وقار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار قال السراج وبلغنى أن جماعه من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى اجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات قال وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤيه بالقلوب

فى الدنيا كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى سمعت الله يقول «يحبهم ويحبونه» وليس العشق بأكثر من المحبة قال القاضى أبو يعلى وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق

قال المصنف وهذا جهل من ثلاثة أوجه أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبى ﷺ من قال إنى فى الجنة فهو فى النار

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته وعن محمد بن يحيى الرازى قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول لو قدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شئ وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به وبإسناد عن أبى القاسم الرازى يقول أبو بكر بن ممشاد قال حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه فقال هذا خطى وأنا كتبته فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية فقال ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة فقيل له هل معك أحد فقال نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى وأبو محمد الجريرى يستتر والشبلى يستتر فان كان فابن عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطا عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله وبإسناد عن ابن باكويه قال أسمعت عيسى بن بزدل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ على قائله لعنة الله قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين ابن منصور قال إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون مقولا عليه وبإسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير فسألها عن الحلاج فقالت حملنى أبى إليه فقال قد زوجتك من ابنى سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تكرهينه من جهته فصومى يومك واصعدى فى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلينى بوجهك واذكرى لى ما أنكرتيه منه فإنى أسمع وأرى قالت وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة فلما نزلنا قالت ابنته اسجدى له ، فقلت أو يسجد أحد لغير الله فسمع كلامى فقال نعم إله فى السماء وإله فى الأرض ،

قال المصنف اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء ، وإنما سكت عنه أبو العباس بن سريج قال وقال لا أدرى ما يقول والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله أجاركم أن تجمعوا على ضلالة كلكم وبإسناد عن أبى القاسم يوسف بن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه

قال المصنف وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذى كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل وقد

جمعت في أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال

وبإسناد عن أبي نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكي أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النوري في جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النوري مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه فقال له السياف ما دعاك إلى البدار قال آثرت حياة أصحابي على حياتي هذه اللحظة فوقف السياف ورفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق فأمر بتخليتهم وبإسناد إلى أبي العباس أحمد بن عطا قال كان سعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النوري، وأبو حمزة الصوفي وأبو بكر الدقاق، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النوري فقال له السياف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع قال أحببت أن أوثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضي فأطلقوا

قال المصنف ومن أسباب هذه القصة قول النوري أنا أعشق الله والله يعشقني فشهد عليه بهذا ثم تقدم النوري إلى السياف ليعين على نفسه فهو خطأ أيضاً وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو بن سعيد الرقي قال سمعت الرقي يقول كان لنا بيت صبابة فأخرج علينا حرمان بكى أبي سليمان فقال الصابة فقلت لأبي [illegible] إلى البيت فأقام عندنا بضعة أيام فأكل في كل ثلاثة أيام أكلة فسمته المقام فقال الضيافة ثلاثة أيام فقلت له لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتي عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين فقال رأيت شيخاً قال له أبو شعيب المقنع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع في نفسي أن أسأله أي شيء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأني فقال أن أ أله [illegible] ال وما [illegible] والله [illegible] ل ثلاثة [illegible] فقال في الثالثة لا بد لك فقلت له أن [illegible] دح لي من المحراب نور فقلت إخسأ [illegible] ماعون قال [illegible] للحاق ثلاث مرات قال

ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على ما مضى لك أو نسليك بلاء نرفعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنى عشرة سنة فقال يوماً من الأيام ادن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه تخاطب بعضها بعضاً أبرز حتى برزت أعضاؤه كلها بذنبه وهو يسبح ويقدس ثم مات

قال المصنف وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلذا أنكرت عوقب وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالابصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون ان يكون بعض من يلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات

قال المصنف وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة ﴾

قال المصنف وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى بلغنى ان ابن عقيل دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير من أين توضأ فقال من النهر فى وسوسة فى الطهارة قال كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن يسخر بهم الشيطان ، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى إلى من يقتدى به فظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب ممن بالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد مقصداً ينظف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق

﴿ ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة ﴾

قال المصنف وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى إن من سنتهم التى ينفردون بها وينسبون اليه

صلاه ركعتين بعد لبس المرقعه والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل

قال المصنف وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامه كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعه من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل وأما صلاه ركعتين فما أمر بها أحد من العلما لمن أسلم وليس في حديث ثمامه ذكر صلاه فيقاس عليه ، وهل هذا إلا ابتداع في الواقع سموه سنة ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبه إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سوا والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفيه بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفيه في المساكن ﴾

قال المصنف أما بناء الاربطه فان قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد وهولاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من سته أوجه أحدها أنهم ابتدعوا هذا البنا وإنما بنيان أهل الاسلام المساجد والثاني أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها والثالث أنهم أفاتوا انفسهم نقل الخطا إلى المساجد والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديره والخامس أنهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح والسادس أنهم جعلوا لانفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكديه(١) ومناخا للبطاله وأعلاماً لاظهار الزهد وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطه من كد المعاش متشاغلين بالاكل والشرب والغنا والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطا ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمه ووقفوا عليها الاموال الخبيثة وقد لبس عليهم ابليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع فهمهم دوران المطبخ والطعام والما المبرد فأين جوع بشر وأين ورع سري ، وأين جد الجنيد وهولاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة

---

(١) الـكديه البرد وقيل الطفل

أما الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زرمانقه فغلب عليه السوداء فيقول
حدثنى قلبى عن ربى ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وأن قوماً
قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد عنها ﴾

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال
ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم
صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤونة فإن
أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث بإسناد عن محمد بن الحسين
السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى قال سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون
ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن
ذلك كله وأنفقه على الفقراء

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع
إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال
عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس
وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب
الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه ولست أتعجب من المتزهدين الذين
فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما التعجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا
وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع فقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلاً
وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد
كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال
الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمداً ﷺ والمرسلين [illegible] أن محمداً
ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم [illegible] أن الله
لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن [illegible] أن
الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن [illegible]

الاحتجاج بمال الصحابة ود ابن عوف فى القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً

قال ولقد بلغني أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ، ثم قال يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا أنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج

قال الحارث فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً وقد كان الصحابة رضى الله عنهم اذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاته قرب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر فقال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل فقال بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها

قال المصنف فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل قال المصنف وهذا كله خلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال

(فصل) فى رد هذا الكلام أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف فقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال « فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وقال ما نفعنى مال كمال أبى بكر والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص قال بعث إلى رسول الله ﷺ فقال خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته فقال أنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الاسلام فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح والحديث بإسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير ، وكان فى آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وبإسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال فقلت يارسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال أمسك بعض مالك فهو خير لك

قال المصنف فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل ولا ننكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر

ولهذا خفف فيه فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لابد منه وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده ، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المـــال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته ، وبإسناد عن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر[1] فرسه بأرض يقال لها ثرثر فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول اللهم وسع على

قال المصنف وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه « ونزداد كيل بعير » مال إلى هـــذا وأرسل ابنه بنيامين معهم وأن شعيبا طمع فى زيادة ما سأله فقال « فان أتممت عشراً فمن عندك » وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل[2] جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له أما شبعت فقال يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال ، وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أوعن جمعه من غير حله وما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم وقدروى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت ، وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه

(١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس

(٢) هو الجراد الكبير

فصرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل منى أذر خلفى ست أواق أنشدك الله ياعثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم

قال المصنف وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه ، قال يحيى لا يحتج بحديثه ، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين ، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين ثم لفظ ماذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع ، ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم ، إنا نخاف على عبد الرحمن ، أوليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الاباحة ، أو يأذن الشرع فى شئ ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة ، فإنه قد خلف طلحة ثلثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف ، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا ، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد

وأما قوله أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة ، فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، او كان هذا مناما وليس فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة افترى من سبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى ، ثم الحديث يرويه عمارة ابن زاذان ، وقال البخارى وربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى لا يحتج به ، وقال الدارقطنى ضعيف ، أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة ، فقالت ما هذا؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء ، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال إن استطعت لادخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل

وقوله ترك المال الحلال أفضل من جمعه ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاته الخ محال ما قاله رسول الله ﷺ قط وقوله هل تجد فى دهرك حلالا فقال له وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول الحلال بين والحرام بين أترى يريد بالحلال وجود حبة قد خرجت من المعدن ما تعلقت فى شبهة ، هذا بعد وما طولبنا به بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلاشك هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ماحكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فقهه وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إنى فى كفاية فقال الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله وقد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه وإلا فلا وجه لذلك ، وأما تعليمه فما صيره المال إنما صيره البخل بالواجب

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاه والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ماخلفت الصحابه وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقرا وإنما تحاماه قوم منهم ايثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل ان التقليل منه اولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم

(فصل) واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر اثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وان تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل بزاوية وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهة أن يخلف الفقير

شيأ فذكر حديث الذي مات من أهل الصفة وخلف دينارين فقال رسول الله ﷺ كيتان

قال المصنف وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى فقال رسول الله ﷺ وما أبقيت لأهلك فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبري وفي هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شيء في يومه لغده ، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله قال ابن جرير وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك ألا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة

(فصل) وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الانسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم في إخراج المال عند بداية زهدهم مثل من روى في طريق مكة فبدد الماء الذي معه والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو الحصين السلمي بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها لو أصابه لعقره ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وقد رواه أبو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب

فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فخذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته فقال رسول الله ﷺ يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يستكف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وفي رواية أخرى خذ عنا مالك لا حاجة لنا به وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به خذ ثوبك

قال المصنف ونقلت من خط أبي الوفا بن عقيل قال قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول يا أبا بكر أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول إرجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك وأطلب الحق من الحق فبعث إليه بمائة دينار قال ابن عقيل إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام الفسيح وأمثاله فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أصحابه منه

(فصل) وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها وقال ما أريد أن يكون ثقتي إلا بالله وهذا فقه قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا فقال ما كان لكم شغل في الله عز وجل تشغلكم عن المجيء إلي، فقلت له إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم ينقطع عنه فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابني وأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت من الله أن أجيبك وعندي شيء

قال المصنف لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج

صور المال ما قال هؤلاء هذا الكلام ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالي وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرني وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقال لي كل فقلت لا آكله فإنه يضرني فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت اللهم إنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين، فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول ولا يوم اللبن

قال المصنف وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها — واعلم أن من يقول هذا يضرني لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه «رب إنهن أضللن كثيراً من الناس» وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعني مال كمال أبي بكر وقوله ما نفعني مقابل لقول القائل ما ضرني وصح عنه أنه قال مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري[1] وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشي عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا نلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا

(فصل) قال المصنف وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب

---

(١) الأبهر عرق في الظهر، فإذا انقطع لم تبق معه حياة ويعادني بالدال المشددة تأتي المرة بعد المرة

ومعلوم أن الصدقه لا تحل لغنى ولا لذى مره[1] سوى ولا يبالون من بعث إليهم فربما بعث الظالم الماكس فلم يردوه وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسميه ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل الينا ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه وهذا كله خلاف الشريعه وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه فان النبى ﷺ قال الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة وكان الصالحون لا يقبلون عطا ظالم ولا من فى ماله شبهة وكثير من السلف لم يقبل صله الاخوان عفافا وتنزها وعن أبى بكر المروزى قال ذكرت لابى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خله واحده ثم سكت ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنه فقال لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خله واحده كان لا يبالى ممن أخذ

قال المصنف ولقد بلغنا أن بعض الصوفيه دخل على بعض الامرا الظلمه فوعظه فأعطاه شيئا فقبله فقال الامير كلنا صادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلا من الائمة من الميل للدنيا فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى. واليد العليا هى المعطيه هكذا فسره العلما وهو الحقيقه وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذه قال ابن قتيبه ولا ارى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال

(فصل) قال المصنف ولقد كان اوائل الصوفيه ينظرون فى تحصيل الاموال من أى وجه ويفتشون مطاعمهم وسئل أحمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعه إلى الغزو فاكترينا دارا فنصبت فيها تنورا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأماهن ترى ماقد تجدد من صوفيه زماننا من كونهم لا يبالون من اين أخذوا فانه يعجب ولقد دخل بعض امرا طه فسأل عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الامير فلان تهنيه بخلعه قد خلعت عليه وكان ذلك الامير من كبار الظلمه فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على

(١) المره بكسر الميم القوه

رءوسكم بالسلع فقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ومنهم عشوس لا يحل ولا يعدل فيها والله انكم أضر على الاسلام من كل مضر

(فصل) قال المصنف وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يصعبون على الفقراء يأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المحبان[1] يلبس الصوف صيفاً وشتاء ويقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال صلى الله عليه وسلم كيتان

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرقع ثوبه وأنه قال لعائشة رضى الله عنها لا تخلعى ثوبا حتى ترقعيه وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وإن أويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبدالعزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة إغسلى قميص أمير المؤمنين فقالت والله ما له قميص غيره فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى

(فصل) قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلونها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها

(١) وفى النسخة الثانية الخلبان ، وفى نسخة أخرى الملحبان

أنه من الزهاد أقرانهم يصيرون بصورة الزهاد كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنهم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنهم كذلك أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جددا مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن الترقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما، فقالوا، ليس هذا المصور عندنا، ألكم أمير أولا، فقالوا، لنا أمير غير هؤلاء، فقالوا هو أمير هؤلاء، قالوا، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالوا أرسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة منها رقعة من ادم فلما رأوه الرهبانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد

(فصل) قال المصنف ومن هولاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه، وهذا لص ليلى، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا تتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم تمن خمسة أثواب من الحرير

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفس النفس وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا ومن علاماتهم مصادقة الامرا ومفارقة الفقراء كبراً وبطرا وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول يابنى إسرائيل

مالكم تأوبى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى إلبسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشيه

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال ان من الناس ناساإذا لقوا القرا ضربوا معهم بسهم ، وإذا لقوا الجبابره وأبناء الدنياأخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالى ثنا ابو حاتم ثنا هدبه ثنا حزم قال سمعت مالك بن دينار يقول إنكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير إنكم فى زمان كثير نفاجيهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم وطلبوا الدنيا بعمل الآخره فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا أخبرنا حمد بن نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن مهى السامى ثنا ضمره عن سعيد بن سبل قال نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه فقال له هل لك أن أكلم بعض العسارين يجرون عليك شيأ وتكون معهم ، قال ماشئت يا أبا يحيى فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا أحمد ثنا فاروق بن عبد الكبير الخطابى ثنا هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار قال كان فى قرى فكان يأتى قابلى فولى الجسر فبينا هو يصلى إذ مرت سفينه فيها بط فنادى بعض أعوانه قرب لنا أحد للعامل بطه فأشار بيده سبحان الله أى بطين قال فكان أبى إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلسا

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن حفيف يقول قلت لرويم اوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية أخبرنا بن ناصر أبو عبد الله الحميدى نا ابو بكر احمد بن محمد الاردستانى،

ثنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبي يقول بلغني أن رجلا قال للشبلي قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول

أما الخيام فإنها كخيامهم　　　وأرى نساء الحي غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة في تشبه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبي في العامه فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه سمسم بارد والأمر في ذلك على نحو قول الشاعر

تشبهت حور الظباء بهم　　　ان سكنت فلك ولا مثل سكن
أصابت ناطق وبافر　　　بأنس ودو حلا بذى شجن
مشبهه أعرفه وإنما　　　مغالطا قلت لضحى دار من

(فصل) قال المصنف وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعه أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضروره والثاني انه يتضمن إدعا الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن أبي نا أبو النضر نا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطيه عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم ، وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني أبي قال لما دخلت بغداد في رحلتي الثانيه قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكري لاقرأ عليه أحاديث ـ وكان من المنكرين على هذه الطائفه ـ فأخذت في القراءه فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلا الجهال الصوفية لعذرتك أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى في طلبه فقلت أيها الشيخ وأي شيء أنكرت علي حتى أعتذر فان كان له أصل في الشريعة لزمته ، وإن لم يكن له أصل في الشريعه تركته فقال ما هذه الشوارك[1] التي في مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

[1] نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ

بحير أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الإنكار لأن هذه الشوارك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا في الشرع يجوز مثله

قال المصنف قلت لقد أصاب السكري في إنكاره وقل فقه ابن طاهر في الرد عليه فإن الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة في لبسها فأما الشوارك فيجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد وقد أخبرناك إنهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوارك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهة وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول سمعت الحسن ابن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وزينتها يعني بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط قال سمعت الثوري يقول كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه أخبرني أبو الحسن الحنظلي قال نظر محمد بن محمد ابن علي الكتاني إلى أصحاب المرقعات فقال إخواني إن كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف نبا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينوري لبعض أصحابه لا يعجبنك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن وقال ابن عقيل دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أولاد المسلمين جبة مشبوكة مرقعة بفوط فقلت للحمامي أرى سلخ الجبة من داخل فذكر لي بعض من يصحب للبلاء خوفاً للاموال

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كبة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت نا القاضي

أبو محمد الحسن بن رامين الأسدآبادي نا أبو محمد عبد الله بن محمد السراري نا جعفر الخالدي نا بن حنان أبو الحسن صاحب ابن الكرني قال أوصى لى ابن الكرنى بمرقعته فورثت فرده كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكمل[1]

(فصل) وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها اسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بثياب فيها خميصة[2] سودا فقال من ترون أن نكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بأم خالد ، قالت فأتى بى فألبسنيها بيده وقال أبلى واخلقى

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صغيرة وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص وأمها همينة بنت خلف قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة ، وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلباس الناس ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سودا بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فيما يشرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة واحتج بحديث عبادة ، بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، قال المصنف فانظر الى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة

---

(١) فى النسخة الثانية ـ الكمل بالباء الموحدة

(٢) كذا فى النسختين

(فصل) وأما لبسهم المصبغات فإنها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وإن كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن التميمي نا أحمد بن جعفر نا عبدالله ابن أحمد بن حنبل ثنى أبي نا علي بن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البيض فإنها خير من ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم قال عبد الله، وحدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم قال الترمذي هذان حديثان صحيحان، وفي الباب عن ابن عمر، قال وهذا الذي يستحبه أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل وإسحاق، أحب الثياب إلينا أن يكفن فيها البياض، وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال، باب السنة في لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه، لبس حلة حمراء، وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء

قال المصنف قلت ولا ننكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز، وقد روي أنه كان يعجبه الخضرة، وإنما المسنون الذي يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر، فأما الفوط المرقع فإنه لبس شهرة

(فصل) وأما النهي عن لباس الشهرة وكراهته فأخبرنا أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن رزقويه نا جعفر بن محمد الخلدي نا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمي نا روح بن عبد المؤمن نا وكيع بن محرز الشامي نا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسن بن علي التميمي قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين نا خيثمة بن سليمان بن حيدرة نا محمد بن الهيثم نا أحمد ابن أبي شعيب الحراني نا مخلد بن يزيد عن أبي نعيم

عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان قال ؟ رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها ، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد أخبرنا محمد بن ناصر بن محمد علي بن ميمون نا عبدالوهاب ابن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل نا محمد بن إسماعيل البخاري قال قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهورا أذله الله يوم القيامة قال المصنف وقد روي لنا مرفوعا قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن أبي نا حجاج نا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو إسحاق البرامكي نا أبو بكر بن نجيب نا أبو جعفر بن دريح نا هناد أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه قال من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً

قال المصنف وقد روينا أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل ابن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدي نا أحمد بن محمد بن الهيثم الدوري نا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم نا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكاني وأنت وعلي ثوب أحمر فما علمت اني ركبت في الاسلام ذنبا أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل ، وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره

ابن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصبهانى ثنا ابو محمد بن حيان
ثنا أحمد بن الحسين الحذاء ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ثنا الفيض بن إسحاق قال
سمعت الفضيل يقول تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون لك رأساً ، تزينت لهم
بالقرآن فلم ترهم يرفعون لك رأسا ، تزينت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك إنما هو لحب
الدنيا أنبأنا ابن الحصين قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين
قال ثنا إسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا احمد بن أبى الحوارى
قال قال أبو سليمان يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف وشهوته فى قلبه بخمسة
دراهم أما يستحى أن تجاوز شهوته لباسه ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار
الناس كان أسلم له قال أحمد بن أبى الحوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان ـ وكان يعدل
بأبيه أى شيء أرادوا بلباس الصوف قلت التواضع قال لا يتكبر أحدهم إلا
إذا لبس الصوف أخبرنا المبارك بن أحمد الانصارى نا عبدالله بن أحمد السمرقندى
ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين النعالى [1] نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح
ثنا زنجويه بن محمد بن عبد المحب ثنا أحمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفيا
فقال له الثورى هذا بدعة أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ
ثنا عبدالمنعم بن عمر ثنا أحمد بن محمد بن زياد قال سمعت أبا داود يقول قال سفيان
الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر
أحمد بن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر
نا محمد بن المنذر قال سمعت أحمد بن سيار يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت
عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً أكره هذا أخبرنا أبو بكر
ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا عبد الواحد بن بكر نا على
ابن أبى عثمان بن زهير نا عثمان بن احمد نا الحسين بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث
يقول دخل على الموصلى إلى المعافى وعليه جبة صوف فقال له ما هذه الشهرة
يا أبا مسعود أخرج أبا وائل فانظر أيما أشهر فقال له المعافى لبس هذه المدن
كشهرة الأمارة أخبرنا إسماعيل بن أبى بكر المقرى نا طاهر بن أحمد نا على بن محمد

---

[1] كذا بالمهملة

ابن بشران نا عثمان ابن أحمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية [١] حمراء يدفع التراب فقال بديل ما هذا فقال أيوب هذا خير من الصوف الذى عليك أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه نا علان بن أحمد ثنا حبيب بن الحسن نا الفضل بن أحمد نا محمد بن بشار قال سمعت بشر بن الحارث ـ وسئل عن لبس الصوف فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال لبس الخز والمعصفر أحب إلى من لبس الصوف فى الأمصار أخبرنا يحيى ابن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبى نا الحسين بن على الطناجيرى نا أحمد بن منصور الزيسرى ثنا محمد بن مخلد نا أحمد بن منصور بن يزيد السماريقى محمد بن إدريس الانبارى قال رأيت فى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء من فعل هذا من العلماء ، قال قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر على قال يزيد فذهبت إلى بشر فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال قد رآنى أبو نصر فلم ينكر على قال فقال لى بشر ـ لم يستشرنى يا أبا خالد لو قلت له لقال لى لبس فلان ، ولبس فلان أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد ابن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن إسماعيل الصوفى نا ابن زوربه نا عبد الله ابن أحمد بن نصر القنطرى نا إبراهيم بن محمد الامام نا هشام بن خالد ، قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف ، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين ، فماذا أورثك هذا الصوف ، فسكت الرجل ، فقال له يكون ظاهرك قطنياً وباطنك صوفياً أخبرنا يحيى بن على المدير نا أبو بكر محمد ابن على الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول سمعت أبا بكر بن الرباب البغدادى يقول سمعت ابن شيرويه يقول دخل أبو محمد بن أخى معروف الكرخى على أبى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال أبو الحسن يا أبا محمد صوفت قلبك أو

---

(١) فى النسخة البائنة سبنية حمرا يدفع الريا والسبنية ازر للنسا

حسمك ، صوف فلبك والبس القوهي على القوهي (١) أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن أحمد بن السواج نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال حدثنا أبي نا أحمد بن مروان نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا أحمد بن سعيد قال سمعت النضر بن شميل يقول قلت لبعض الصوفية ، تبيع جبتك الصوف ، فقال إذا باع الصياد شبكته فأي شيء يصطاد

قال أبو جعفر بن جرير الطبري ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل إليه من حله ، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر ، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الاخوان ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد ، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك ، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً

قال المصنف رحمه الله وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أنبأنا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياه نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد قال كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الداري حلة بألف ، وكان يصلي بها قال ابن سعد وأخبرنا عفان نا حماد بن زيد نا أيوب عن محمد بن سيرين أن تميما الداري اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت ، أن تميما الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر وأخبرنا الفضل بن دكين نا همام عن قتادة أن ابن سيرين

(١) القوهي الثياب البيض

أخبره أن تميما الداري اشترى رداء بألف فكان يصلي بأصحابه فيه

قال المصنف رحمه الله قلت وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبا وأطيبهم ريحا، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنة ورداء يمني فنظر إليه فرقد، فقال يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشهرون به من الدون ولا من الاعلى أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد علي العجلي نا أبو نابت هجير بن منصور بن علي الصوفي اجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن الصوفي نا ابن رزويه نا أبو سليمان محمد بن الحسن بن علي بن ابراهيم الحراني نا محمد بن الحسين بن قتيبة نا محمد بن خلف نا عيسى بن حازم، قال كان لباس إبراهيم ابن أدهم كساءا قطنا فروه لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول رأى علي ذو النون خفا احمر فقال انزع هذا يا بني فانه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن علي بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملي نا علي بن عمر الدارقطني نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني نبي الزبير عن أبي غزية الانصاري عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال، قال أبو جعفر المنصور العري الفادح خير من الزي الفاضح

﴿فصل﴾ قال المصنف واعلم أن اللباس الذي يزري بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر كأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهي عنه أخبرنا محمد بن ناصر نا علي بن الحسين ابن ايوب نا أبو علي بن شاذان نا أبو بكر بن سلمان النجاد نا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشي نا عبد الله بن عمر القواريري نا هشام بن عبد الملك نا شعبة عن ابن اسحاق

عن الاحوص عن أبيه ، قال أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، فقال هل لك مال ، قلت نعم قال من أى المال ، قلت من كل المال قد آتانى الله عز وجل من الابل والخيل والرقيق والغنم ، قال فاذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا مسكين بن بكير نا الاوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر ، قال أتانا رسول الله ﷺ زائراً فى منزلنا فرأى رجلا شعثاً ، فقال أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه نا أبو بكر بن الانبارى نا أبى نا أبو عكرمة الضبى نا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال مضى على بن أبى طالب إلى الربيع ابن زياد يعوده فقال له يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى ، قال ما شأنه ، قال ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال على عاصما ، فلما حضر بش فى وجهه وقال أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها ، أنت والله أهون على الله من ذلك فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالك المقال ، فقال يا أمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء ثم قال ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره قال أبو بكر الانبارى المعنى لئلا يزيد ويعلو ، يقال — تبيغ به الدم — إذا زاد وجاوز الحد

(فصل) قال المصنف فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس وقد أمرنا بمجاهدتها وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق فالجواب أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه او كان على وجه الرياء فى باب الدين فان الانسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ للنفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل وظهارته الحسنة إلى خارج وليس فى شيء من هذا

ما يكره ولا يذم أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي نا علي بن محمد بن العلاف نا عبد الملك ابن محمد بن بشران نا أحمد بن إبراهيم الكندي نا محمد بن جعفر الخرائطي نا سنان بن سليمان نا عبد الرحمن بن هانئ عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم ، وفي الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر في الماء ويسوي شعره ولحيته ، فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال نعم ، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن علي نا مسعود بن ناصر انا أبي زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان نا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمي عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يا رسول الله تفعل هذا ؟ قال وأي شيء فعلت ؟ نظرت في ظل الماء فهيأت من لحيتي ورأسي إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيئ من نفسه

قال المصنف رحمه الله فإن قيل ، فما وجه ما رويتم عن سري السقطي أنه قال لو أحسست بإنسان يدخل علي فعلت كذا بلحيتي — وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يشوهها من أجل دخول الداخل عليه — لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار فالجواب أن هذا محمول منه على أنه كان قصد بذلك الرياء في باب الدين من إظهار التخشع وغيره فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فإن ذلك غير مذموم فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم أخبرنا سعد الخير ابن محمد الانصاري نا علي بن عبد الله بن محمد النيسابوري نا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسي نا محمد بن عيسى بن عمرويه نا ابراهيم بن محمد بن سفيان نا مسلم ابن الحجاج نا محمد بن المثنى نا يحيى بن حماد قال أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق وغمط معنى ازدرى واحتقر

(فصل) وقال المصنف رحمه الله وقد كان فى الصوفيه من يلبس الثياب المرقعة أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبى الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرقع من الخز كالدبسى ، وسبح تسبيح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن يكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء من طرفى نقيض

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقد كان فى الصوفيه من إذا لبس ثوبا خرق بعضه وربما أفسد الثوب الرفيع القدر أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر أحمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال سمعت عيسى بن على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبى ، فقيل له الشبلى ، فقال ، يدخل فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلى اذا لبس شيئا خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين فى العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلى أين فى العلم « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » قال فسكت ابن مجاهد فقال له ابى أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبى قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد ، كأنى ما سمعتها قط

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية انا مرتاب بصحتها لان الحسن ابن غالب كان لايوثق به اخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب ، قال ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه ، فان كانت صحيحه فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك ان قوله « فطفق مسحاً بالسوق والاعناق » لانه لا يجوز أن ينسب إلى نبى معصوم انه فعل الفساد والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآيه ، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها ، وقال انت فى سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيأ فيه جناح ، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز أن يكون

فى شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون فى شرعنا أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أبى الصقر ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقى ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروذبارى يخرق أكمامه ويفسخ قميصه ، قال فكان يخرق الثوب الثمين فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به ، فقطعه على عددهم فأتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى ، قال ابن عطا قال لى أبو سعيد الكازرونى كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه بينهم يسوى بثلاثين ديناراً

قال المصنف رحمه الله ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى يقول كانت لى قنجة (١) طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة عريان فقلت للوالدة عندك شئ أصنع قالت لا إلا الخبز فذبحت القنجة وقدمتها إليهما

قال المصنف رحمه الله قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت جدى يقول دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى وكان يحتاج إلى لفافة لرجله فدفع إليه رجل منديلا ديبقيا فشقه بنصفين ولفف به ، فقيل له لو بعته واشتريت بثمنه لفافة وأنفقت الباقى ، فقال رحمه الله أنا لا أخون المذهب

قال المصنف وقد كان أحمد الغزالى ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تئن فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان قال المصنف رحمه الله قلت فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فانه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد

(١) القنجة واحدة القنج الذكر والانثى ، وهو الحجل طائر معروف

على ما سيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولا حجر فى حالة على الشرع أفتراهم عند نفوسهم أمروا أن يعملوا بآرائهم ، فإن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع يفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعناد وإن كانوا لا يعرفوا فلعمرى إنه لجهل شديد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه ففتح أبو عثمان عينيه وقال يا بنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب

(فصل) قال المصنف وفى الصوفية من بالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد نا أبى نا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه أنه سمع أبا سعيد سئل عن الإزار فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إزار المسلم إلى أنصاف الساقين لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك فهو النار أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله نا أبو حامد ابن جبلة نا محمد بن إسحاق نا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال كتب إلى عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص أيوب بعض التذييل فقيل له فقال الشهرة اليوم فى التشمير وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانى قال دخلت يوماً على أبى عبد الله أحمد بن حنبل وعلى قميص أسفل من الركبة وفوق الساق فقال أى شيء هذا وأنكره وقال هذا بالمرة لا ينبغى

(فصل) قال المصنف وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضا شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبى الحسين بن على الطناجيرى نا أحمد بن منصور اليوشرى نا محمد بن مخلد نا محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبرى قال بشر بن الحارث ، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه

(فصل) قال المصنف وقد كان فى الصوفية من استكثر من الثياب فسوّيت

فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه يبغي خشية أو يجد سنة أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبدالله ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن إسماعيل ثني جعفر عن أبيه أن علي ابن الحسين قال يا بني لو اتخذت ثوباً للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم انتبه ، فقال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه إلا ثوب فرفضه

(فصل) قال المصنف وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً في الدنيا ، وهذا احسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح وأحسن أخبرنا عبد الاول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبدالله بن أحمد بن حماه نا إبراهيم بن خريم بن حمدويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم جمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى مهنته أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد الجوهري نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد ابن معروف الخشاب نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال محمد بن عمرو حدثني عمر محمد بن عبد الرحمن أيضاً بعض ذلك قالوا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد يمنة وإزار من نسج عمان فكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم [١] ﴾

قال المصنف رحمه الله قد بالغ إبليس في تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهة عيشهم

(١) في الأصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله كان في القوم من بقي الأيام لا يأكل إلا أن يضعف قوته وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبدالله أنه كان في بدايته يشتري بدرهم دبساً وبدرهم سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة وحكى عنه أبو حامد الطوسي قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات ثلاث دراهم في ثلاث سنين أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثني أبو الفرج بن حمزة التكريتي ثني أبو عبدالله الحصري قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول أشرف علي أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولي ستة عشر يوماً لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال ما جلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا بن أبي صادق نا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل نا علي بن عبد الله العمري نا محمد بن فليح ثني إبراهيم بن البنا البغدادي قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحاً كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق قلت نعم قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فاذا فيه قليل سويق شعير يسف منه أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن علي الازجي نا ابن جهضم نا محمد ابن عيسى بن هارون الدقاق نا احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصري قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول بلغ أبا عبد الله الزبيري وزكريا الساجي وابن ابي أوفى ان سهل بن عبد الله يقول انا حجة الله على الخلق فاجتمعوا عنده وأقبل عليه الزبيري فقال له بلغنا أنك قلت أنا حجة الله على الخلق . فبماذا . أنبي انت؟ أصديق انت قال سهل ، لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لاستقصائي الحلال فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال قالوا فأنت ، قد صححته قال نعم ، قال وكيف ، قال سهل قسمت عقلي ومعرفتي وقوتي على سبعة أجزاء فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتلفت نفسي خفت أن أكون قد أعنت عليها وقاتلها دفعة ، إلتها من البلغة ما يرد الستة الاجزاء

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال أبو عبدالله ابن مفلح قال أخبرني أبي أخبرني أبو عبد الله بن زيد (١) قال لي منذ أربعين سنة ما طعمت نفسي طعاما إلا في وقت ما أحل الله لها الميتة أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي ابن أحمد السهلكي نبي أبو الحسن علي بن محمد القوهي نبا عيسى بن محمد عن أبيه محمد ابن عيسى نبا موسى بن عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد ، قال جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس في مسجدك الذي أنت فيه قال لا تطيق ذلك فقال إن رأيت أن توسع لي في ذلك ، فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان في اليوم الثاني قال له يا أستاذ لابد مما لابد منه فقال يا غلام لابد من الله قال يا أستاذ نريد القوت قال يا غلام القوت عندنا إطاعة الله فقال يا أستاذ اريد شيئاً أقيم جسدي في طاعة عز وجل فقال يا غلام أن الاجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول حدثني أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف إلزم السوق أخبرنا محمد ابن أبي القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا الهيثم المروزي يقول سمعت نصر أباذي يقول أقام أبو الحسين الصائغ بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء به فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك مع هذا الرفق وخرج من الحرم وهم أصحابه دونه الرجل فقال ألم أقل لك كن مع جنايتك فقال الرجل أنا تائب إلى الله فقال الشيخ لا كلام بعد التوبة

---

(١) في الأصل غير واضحة

أخبرنا عمر بن ظفر أنا ابن السراج أنا أبو القاسم الأزجي أنا أبو الحسن بن جهضم ثنا إبراهيم بن محمد الشنوري قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها إبراهيم الخواص وأتى علي أيام لم يفتح علي بشيء وكان بمكة مزين يحب الفقرا وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحماً وأمر بإصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة ثم استفقت وقلت يا نفس إنما جئت تحتجمين لتطعمي عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط فقلت لم نعقد فسكت وخرجت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لي شيء آكله ، فلما كان من الغد نمت إلى آخر النهار ولم يبق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشي علي واجتمع حولي ناس وحسبوا أني مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندي يحدثني ثم قال تأكل شيئاً قلت قرب الليل فقال أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قال فلما صلينا العشا الآخرة اذا هو قد جاءني ومعه قصعة فيها عدس ورغفان ودورق ماء فوضعه بين يدي وقال كان ذلك فأكلت الرغفان والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم ، فمضى وجاء بقطعة عدس ورغفان فأكلتهما وبات قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتي ونمت الى الصباح ما صليت ولا طفت

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصفهاني يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب

أنبأنا عبد المنعم ثنا أبي قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت ابا أحمد الصغير يقول أمرني أبو عبد الله بن خفيف ان أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت إليه [illegible] فطار إلي وقال من امرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا علي بن [illegible] أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن خفيف يقول كنت في ابتدائي ربما أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف

يأكلا فصنت يوماً فاقتصدت لخرج من عرقي شبه ماء اللحم وعشي على فحضر الصياد وقال ما رأيت جسداً لآدمي فيه إلا هذا

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحا وكان فيهم من يمنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الدينوري نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات نا ابن ماجه نا أزهر بن جميل نا بزيع عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أذيبوا أنفسكم طيب الطعام فإنما يقوى الشيطان أن يجري في العروق بها وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار ومنهم من كان يجعل ما فيه دن مدفون في الارض فيصير حاراً يعاف نفسه برك الماء مدة وأخبرنا محمد بن ناصر انبأنا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي قال سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول سمعت محمد بن سعدان يقول سمعت عيسى بن موسى البسطامي قال سمعت أبي يقول قال سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة قال وأسهل ما لاقت نفسي مني أني سألتها أمراً من الامور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة وحكى أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد أنه قال دعوت نفسي إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات في المطاعم فقال استحب للمريد الا يزيد على رغيفين في يوم وليلة قال ومن الناس من كان يعمل في الاقوات فعلها وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهي تجف كل يوم فلا ينقص من قوته بمقدار ذلك، قال ومنهم من كان يعمل في الاوقات فيأكل كل يوم [illegible] الى [illegible] ليلا [illegible] النوع [illegible] المراد [illegible] وفي ناصية نوره، وقد يبت [illegible] وفي درنابه [illegible] وفي رقبه ممساح الكآبه

قال المصنف رحمه الله تعالى وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي كتابا سماه رياضة النفوس قال فيه، فينبغي للمبتدي في هذا الامر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم الشيء ويأكل كسرة كسرة، يقطع الادام

والفواكه واللذة ، ومجالسة الأحداث ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها أفراح للنفس فمنع النفس لذتها حتى تملىء غما

قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينيه يعنى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها

﴿ فصل ﴾ فى بيان تلبيس إبليس عليهم فى هذه الافعال وإيضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ومثل هذه الاشياء أشهر من أن يحتاج إلى رد وقد حكى ابو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الاكل

قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لانه يعين على العبادة وإذا جوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان المتناول ميتة لجاز فكيف وهو حلال ، ثم أى فضيلة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة واما قول ا ا ا ر ا ا نظر ان اـ ا ا أم ا ىدن فانه جهل محض لان اس ىم العلم والدين اد ىه ا الصاں ا ى مرامه اا أ ں اا والنفس ترك ما يحتاج اليه النفس ں الدا م والسير . وإنما أشار بالعلم الى ما أمر به الشرع ، وأشار بالنفس إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح وهؤلاء قوم سمعوا فما ابتدعوا ىكا ا كىر اس فى سىدىم حتى سم ا ىاطىر فجحدوا الاصل ومدوا فى الفرع وقول الآخر ساحك ىده ں ا ا ں اں الا ا كمں ه ل ه ں اسعما ما ادح لدا ـ ساح وأما ر ق السىر دا ر ـ الفواكه وقول الاحر الزبد العسل اسـ اف ه ل مردول لان الاسراف ممنوع منه شرعاً وهذا أد ر ه ه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب ، وكان يحب الحلوا والعسل وأما ا ره ىا عن سهل أنه قال ه ىں قوى ىىدا ، ه اـ ا ه ل د ىه ولا يقدح عليه إذا لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب لانه الزم النفس ترك حقها

وكدلك قول الذى قال ما أكلت إلى وقت أن ساح لى أكل الميتة فانه فعل برأيه المردول وحمل على النفس مع وجود الحلال وقول أبى يزيد القوت عندنا لله كلام ركيك فان الذى قد بنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام وأما التمسح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حتى احتجم حتى وقع فى الضعف فانه فعل مالا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم يا مسديون خطأ أيضا فانه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الازهرى نا على ابن عمر نا ابو حامد الحضرمى نا عبدالرحمن بن يونس السراج نا بقية بن الوليد عن عبدالله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار

قال المصنف رحمه الله قلت ، بل رجاله ثقات وقد اخبرنا به عاليا محمد ابن عبدالباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى نا احمد بن محمد الاسدى نا عبدالرحمن ابن يونس فذكره وقال من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار

قال المصنف رحمه الله وأما تقليل ابن خفيف فعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الاخبار عنهم إيراد مستحسن لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فاما العالم المتمكن فانه لا يهوله قول عظيم فكيف بفعل جاهل برسم وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل اعلم بمصالح الابدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسئ الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوما فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال لم أر البرمة تفور وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما ، وعلى هذا كان السلف إلا ان يكون فيهم فقير فيقعد جهده باللحم لا لأجل الزهد ، فاما من جعله الزهد فان هذا على الاطلاق لا يصلح لان الله عز وجل لما خلق بدن آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل

الاخلاط الدم والبلغم والمرة الصفرا والمرة السودا فتارة تزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفرا فتميل الطبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما يميل إليه النفس ويوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها شعث فقد فوتت حكمة البارى سبحانه وتعالى يردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم ترفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت لقوم هؤلاء وكلموا آراءهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو تكون فهمهم منه رديئا ، ولقد عجبت لابى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه الى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه

قال المصنف رحمه الله وهذا قبيح فى الجهالة فان الادام شهوة فوق الطعام وينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى أوليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة أوليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان أوما أكل عند أبى الهيثم بن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً ، أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى أو ما يعلف الفرس الشعير والتبن والقت ويطعم الناقة الخبط والحمص وهل البدن الا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا تجد عادة فتحوج إلى كلفة وإنما يجتنب فضول الشهوات لئلا تكون سببا لكثرة الاكل وجلب النوم ولئلا تعود فمتى عدمت فقد احتاج الانسان إلى استدعاء العمر فى كسبها وربما بالغ فى حبها وهذا خطر والسلف فى ترك فضول الشهوات والحديث الذى احتج به احرموا انفسكم طيب الطعام حديث موضوع عمله بعض الجهال ، واما اذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه [illegible] [illegible] [illegible]

المطعم [illegible] الهمدانى [illegible]

الجوفى انه كان [illegible] وكان اصحابه يسألونه أن يأكل شيئا [illegible]

الدهن والدسومات فلا يفعل

قال المصنف رحمه الله وهذا يورث القولنج الشديد واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارع ﷺ أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمدان نا عبد الله بن احمد ثنى أبي نا أبو المغيرة نا سليمان بن سليم الكناني ثنا يحيى بن جابر الطائي قال سمعت المقدام بن معدي كرب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لابد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه

قال المصنف رحمه الله قلت فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً في مصلحتها ولو سمع أبقراط هذه القسمة في قوله ثلث وثلث وثلث لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان في المعدة فيقارب ملؤها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فإن نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وصير الحاري على الطعام

(فصل) قال المصنف رحمه الله واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبابهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك تجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الحديد إلى كثرة الزيت وإذا صابر الشاب الجوع وسده في أول النشو قمع نشو نفسه وكان كمن يخرب أصول الحيطان ثم تمد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة في البدن فتغذيه بالأخلاط فيفسد الذهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقد ذكر العلماء التقلل الذي يضعف البدن أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا إبراهيم بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن إبراهيم بن يعقوب الجبلي قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل وقال له عبد الله بن مكرم هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم فقال

ما نعجبني سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول قعد قوم هذا مقعدهم عن الفرض قال الخلال وأخبرني أبو بكر احمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق داود بن صبيح قال قلت لعبد الرحمن بن مهدي يا أبا سعيد إن ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية فقال لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً اخرجهم الأمر إلى الجنون وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة ثم قال خرج سفيان الثوري في سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل قال الخلال وأخبرني المروزي قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل وقال له رجل أبي منذ خمس عشرة سنة قد ولع في إبليس وربما وجدت وسوسة أتفكر في الله عز وجل فقال لعلك كنت تدمن الصوم افطر وكل دسما وجالس القصاص

قال المصنف رحمه الله وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فتجتمع في معدته أخلاط نيئة فتحدي المعدة منها مدة لأن المعدة لابد لها من شيء تهضمه فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء وذلك الغذاء الردي يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الاخلاق وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فيكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط ويبقى لهم بعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً وبعضهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة وإنما السبب ما عرفتك وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثني أبي قال كانت امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها فقالت كنت في حال الشباب أجد من نفسي احوالا اظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عني فعلمت ان ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا قال سمعت ابا علي الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة

وقال المصنف وإن قال قائل كيف تمنعون من التقلل وقد روينا أن عمر رضي الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن ابراهيم التيمي بقي شهرين قلنا قد يجري للانسان من هذا الفن في بعض الاوقات غير انه لا يدوم عليه ولا يقصد الترقي اليه وقد كان في السلف من يجوع

عوراً وفهم من كان الصبر له عادة لا يصبر بدنه . وفي العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن وبحن لا نأمر بالشبع إنما نهى عن جوع يضعف القوة ويؤدي البدن وإذا ضعف البدن قلت العبادة فإن حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأودع بالراكب وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكي ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائي نا حدي الحسن بن سفيان نا حرملة ابن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه قال كان يطرح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم أنه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى فقيل له هذا كله تأكله فقال إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله وأما الشرب من الماء الصافي فقد تخيره رسول الله ﷺ أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أتى قوما من الانصار يعود مريضا فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال إن كان عندكم ماء بات في شن وإلا كرعنا ، أخرجه البخاري وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمرو بن مهدي نا الحسين بن اسماعيل المحاملي نا محمد بن عمرو بن أبي مذعور نا عبدالعزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا

قال المصنف وينبغي أن نعلم أن الماء الكدر يولد الحصا في الكلى والسدد في الكبد ، وأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة ، ويقوي الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى إلى الاستسقاء والذي قد سخن بالشمس خيف منه البرص ، وقد كان بعض الزهاد يقول إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد

الغزالي إذا أكل الانسان ما يستلذه فسا قلبه وكره الموت وإذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت

قال المصنف رحمه الله واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو نقلت النفس فى أى فن كان، من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل « ولا تقتلوا أنفسكم » ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاً بها وقال « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » أو ليست مطيتنا الى عليها وصولنا

وكيف لا نأوى لها وهى التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا فى الثلج فى الشتاء والماء يحفظ الرطوبات الاصلية فى البدن وينفذ الاغذية وقوام النفس بالاغذية فاذا منعها اغذيته الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ وكذلك منعه إياها النوم ، قال ابن عقيل ، ولذى للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم ، يدل عليه أن إقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الاموال لم يطلق لارباب إلا على وجوه مخصوصة

قال المصنف رحمه الله وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً وأن أبابكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك فى الرفق بالنفس وأما ما رويه ابو طالب المكى فحمل على النفس بما [illegible] وإنما يمدح الجوع إذا كان بمقدار وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما حكيناه عن الذى قال إذا شرع رأيه الفاسد وما وجه صيام [illegible] [illegible] عند التوبة [illegible] [illegible] [illegible] ولا أدرى من أين نقله [illegible] الاحاديث [illegible] فارغ [illegible] على [illegible] لا [illegible] من أخلص لله أربعين صباحاً لم [illegible] الاخلاص (١) انه أنما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك

(١) [illegible] النبى إذا قطع

فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال صحح الصوفية أظهر من صحح كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب لان الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم ان يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج

قال المصنف رحمه الله قلت من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق الا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والا ... والله الموفق

(فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم)

ا... يحيى بن ... ما ابو بكر محمد بن على ... ثنا الحسن بن الحسين ابن حسكان ثنا عبدان بن يزيد ال... واخبر ... احمد بن أبى منصور انبأنا الحسن ابن أحمد الفقيه ثنا محمد بن احمد الحافظ ثنا ابو عبد الله محمد ابن عيسى البروجردى ثنا عمر بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكر الحضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمرى عن عبد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال جاء عثمان بن مظعون إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب ان أحدث شيئا حتى أذكر ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك ياعثمان قال تحدثنى نفسى بأن أختصى فقال مهلا ياعثمان فان خصى امتى الصيام قال يا رسول الله فان نفسى تحدثنى ان أترهب فى الجبال قال مهلا ياعثمان فان ترهب امتى الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الارض قال مهلا ياعثمان فان سياحة امتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة قال يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن اخرج من مالى كله قال مهلا يا عثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك

وعالك وترحم المسكين والدم وتطعمه أفضل من ذلك ، قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي ، قال مهلا يا عثمان فان هجرة أمتي من هجر ما حرم الله عليه ، أو هاجر إلي في حياتي ، أو زار قبري بعد موتي ، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع قال يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لا أغشاها قال مهلا ياعثمان فان الرجل المسلم إذا غشي اهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيفا في الجنة وإن كان له ولد فمات قبله كان له فرطاً وشفيعا يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم قال مهلا يا عثمان فاني احب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمني إياه كل يوم لاطعمني ، قال يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لا أمس طيبا ، قال مهلا ياعثمان فان جبريل أمرني بالطيب غبا وقال يوم الجمعة لا مترك له ياعثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي قال المصنف رحمه الله هذا حديث عمير بن مرداس

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين نا إسرائيل نا أبو إسحاق عن أبي بردة ، قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة فقلن لها مالك ما في قريش رجل أغنى من بعلك ، قالت مالنا منه شيء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم ، فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال يا عثمان أما لك بي أسوة فقال بأبي وأمي أنت وما ذاك قال تصوم النهار وتقوم الليل قال إني لافعل قال لا تفعل ان لعينك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا ، فصل ونم وصم وافطر قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل نا حماد بن زيد نا معاوية بن عياش الجرمي عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال يا عثمان إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين أو ثلاثا وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة

أخبرنا أحمد بن ناصر نا محمد بن علي بن الفتح نا علي بن محمد العتيقي نا ابو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل نا البخاري قال قال موسى بن إسماعيل بن حماد

اس ريد س مسلم ثنا أبو معاويه س فره عن كهمس الهلالى قال أسلمت وأتت النبى ﷺ فاحبرته باسلامى فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمى فخفض فى البصر ثم صعده ، قلت أما تعرفنى ، قال ومن أنت ، قلت أنا كهمس الهلالى ، قال فما بلغ بك ما أرى ، قلت ما أفطرت بعدك نهاراً ، ولا نمت ليلا قال ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما ، قلت زدنى قال صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت زدنى قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد بن عبد الملك بن حيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا أبو حازم عمر ابن أحمد العبدوري نا أبو أحمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبى نا حميد بن الربيع ثنا عبده بن حميد عن الاعمش عن حرير بن حازم عن أيوب عن ابى قلابة بلغ به ﷺ أن ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً ، وقال لو كنت تقدمت فيه لفعلت ثم قال إنى لم أرســل بالرهبانية ، إن خير الدين الحنيفية السمحة

قال المصنف رحمه الله وقد روينا فى حديث آخر عن النبى ﷺ أنه قال ان الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه ، وقال بكر بن عبد الله من أعطى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثا بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معاديا لنعمة الله عز وجل

(فصل) قال المصنف رحمه الله وهذا الذى نهانا عنه من التقلل الزائد فى الحد قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا بساط البطالة فلا همة لاكثرهم إلا الاكل واللعب فإن أحسن منهم قالوا [illegible] ... قالوا [illegible] ... إياه [illegible] السرع واحماً [illegible] أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد [illegible] أحمد [illegible] على بن ثابت نا محمد ابن أحمد [illegible] عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري نا ابو زكريا يحيى بن محمد العنبرى [illegible] أحمد بن [illegible] أحمد بن عبدوس السراج البغدادي [illegible] قال أبو [illegible] العاصى

بالبصره يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزه فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس رحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال اجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لاصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلا فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسي وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن وخمسة أمنان سكر ، وخمسه أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجىء بها كلها ، فقال أبو مرحوم لأصحابه يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، منقبضة شمسها ، قال احرفوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، منقبضة شمسها ، مجراة فيها أنهارها فقال يا إخوانى اغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، منقبض شمسها ، مجرى فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد بدات لنا ثمارها ، قال يا إخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها منقبضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها فقال يا إخوانى ما لنا وللدنيا اضربوا فيها بجناحها ، قال فجعل الرجل يضرب فيها راحته ويدوخه ... قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لابى حاتم الرازى فقال لى ... على فأملاه ... فقال هذا شأن الصوفية

قال المصنف رحمه الله قلت وقد رأيت منهم من اذا حضر دعوة بالغ فى الاكل ثم اختار من الطعام فربما ... إذن ... الدار ... بالاجماع ولقد رأيت ... منهم قد اخذ شيئا من الطعام ... معه ... صاحب الدار وأخذه ...

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما ... اللهى ... الله سبحانه والقيام ... اللذات ...

العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس
تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث
على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات
النفس ولهذا جاء في الحديث « الغناء رقية الزنا » وقد ذكر أبو جعفر الطبري أن
الذي اتخذ الملاهي رجل من ولد قابيل يقال له توبال اتخذ في زمان مهلائيل بن
قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل في اللهو
وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم ففشت الفاحشة
وشرب الخمور

قال المصنف رحمه الله وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى الالتذاذ بغيره
خصوصاً ما يناسبه ولما تبين إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات
المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه
لهم وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج وتأمل
المقاصد فإن النظر إلى الأمرد مباح إن أمن ثوران الشهوة فإن لم يؤمن لم يجز
ونفس الصبية التي لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع غالباً في الأغلب
فإن وجد شهوة حرم ذلك ، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فإن خيف من ذلك حرم
فتأمل هذه القاعدة

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه
ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة ، وفصل الخطاب أن نقول
ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء
اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج في الطرقات فإن أقواماً من الأعاجم يقدمون
للحج فينشدون في الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم وربما ضربوا مع
إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن
الاعتدال وفي معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو وفي
معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للأشعار تفاخراً عند النزال وفي معنى هذا أشعار
الحداة في طريق مكة كقول قائلهم

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا تحرك الابل والآدمى إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ني إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البخترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم أن رسول الله ﷺ قال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حادينا نام[1] فسمعنا حاديكم فملت إليكم فهل تدرون انى كان الحدا قالوا لا والله قال ان أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يا يداه يا يداه[2] فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحدا

قال المصنف رحمه الله وقد كان لرسول الله ﷺ حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنق[3] الابل فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير، وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا

قال رسول الله ﷺ من هذا السائق قالوا عامر بن الاكوع فقال يرحمه الله

قال المصنف رحمه الله وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به

قال المصنف رحمه الله ومن إنشاد العرب قول اهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

---

(١) فى النسخة الناسخة ان حادينا وقع أى تعب

(٢) فى النسخة الناسخة وايداه مرة فقط

(٣) العنق ضرب من السير سريع فسيح

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد نا أبي ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثنى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد أخرجاه في الصحيحين

قال المصنف رحمه الله والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب(١) إليها الجواري فيلعبن معها وقد أخبرنا محمد ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي أنبأنا عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد بن جعفر بن محمد حدثهم قال قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين أي شيء هذا الغناء قال غناء الركب أتيناكم أتيناكم قال الخلال وحدثنا أحمد بن فرج الحمصي ثنا يحيى بن سعيد نا أبو عقيل عن بهية عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل فما قلت قالت دعونا بالبركة قال أفلا قلتم

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمراء لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحسين [illegible] نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد [illegible] أبي [illegible] نا أبو [illegible] عن أبي الزبير [illegible] ابن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها أهديتم الجارية إلى بيتها

---

(١) [illegible]

قالت نعم قال فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل

قال المصنف رحمه الله فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهم على ما يعرف اليوم ومن ذلك أشعار ينشدها المزهدون بطريب وتلحين يزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم

يا غادياً في غفلة ورائحاً إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لا تخاف موقفاً يستنطق الله به الجوارحا

يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المطهر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لال نا الفضل بن الفضل الكندي قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلقاني يقول لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال مثل أي شيء قلت يقولون

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فقال أعد علي فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

ومن الأشعار أشعار ينشدها الحجاج يشوقون بها إلى الحج والكعبة ويصفونها لما في ضمنها[1]

فأما الأشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون لذلك ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو

(١) كذا في الأصل وقد سقط ذكر العلة

وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر

دهبى اللون تحسب من وجنته النار تقدح
حوفوفى من فضحته لسـه وافى واه صبح

وقد أخرجوا لهذه الاغانى ألحاناً مختلفة كلها يخرج سامعها عن حيز الاعتدال ،
ويثير حب الهوى ، ولهم شئ يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد
بعده فيزعزع القلوب وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القصب والايقاع به على وفق
الانشاد والدف بالجلاجل والشبابة النايية عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقبل أن نتكلم فى إباحته ، أو تحريمه ،
او كراهته نقول ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه ويحذر تلبيس إبليس فى
إجراء هذا الغناء مجرى الاقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء فلا يحمل الكل
محملا واحدا فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان ، فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس
والاخوان فنقول

اعلموا أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن
الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه
لما نعلم من استواء الطباع فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال
فان تعال فقال إنما انظر إلى هذه المستحسنات معتبرا فأتعجب من حسن الصنعة فى
دعج العينين ورقة الانف ونقاء البياض ، قلنا له فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة
وهيهات ... عن الفكرة ولا تدع لموع شهوتك وجود فكره فان مثل
الطباع ... دلك وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها
إلى العشق ... الدنيا الموصوفة ... فاما
... الهوى
... وأوضح
... ثم ان كان الانسان ... كما
... هذا ... ان لا ... والقوم قد أباحوه على
الاطلاق ... الى ان الشيخ

بوصف الخدود والأصداغ ، وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء الصحيح أنه لا يحرم

قال المصنف رحمه الله فأما من قال إني لا أسمع الغناء الدنيا وإنما آخذ منه إشارات فهو مخطئ من وجهين أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال إني أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لأتفكر في الصنعة . والثاني أنه يقل فيه وجود شيء يشار به إلى الخالق ، بل يدخل الخالق تبارك وتعالى أن يقال في حقه أنه يعشق ويقع الهيمان به وإنما يصدر من معرفة الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فلنذكر ما قيل في الغناء

(فصل) أما مذهب أحمد رحمه الله فإنه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفي أنه سئل عن استماع القصائد فقال أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون وروى عنه أبو الحارث أنه قال التغبير بدعة فقيل له أنه يرقق القلب فقال هو بدعة وروى عنه يعقوب الهاشمي التغبير بدعة محدث وروى عنه يعقوب بن غياث(١) أكره التغبير وأنه نهى عن استماعه

قال المصنف فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له إنهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها قال المروزي سألت أبا عبد الله عن القصائد فقال بدعة فقلت له إنهم يهجرون فقال لا يبلغ بهم هذا كله

قال المصنف [illegible] أن أحمد [illegible] الا [illegible] لم ينكر [illegible]
له صالح [illegible]
فأما [illegible] قال [illegible] رحمه الله [illegible]

---

(١) [illegible]
[illegible]

الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء وإنما أشار إلى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد ويدل على ما قلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية فاحتاج الصبي إلى بيعها فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوي عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة

قال المصنف وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغني بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة الطبع إلى العشق، وهذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم صار هذا كقول أبي طلحة للنبي ﷺ عندي خمر لأيتام، فقال أرقها فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى وروى المروزي عن أحمد حنبل أنه قال كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغني بالقصائد الزهدية إنما يغني بالغزل والنوح فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد في الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات

(فصل) قال المصنف وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد بن ناصر أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي نا عبد العزيز ابن جعفر نا أبو بكر الخلال أخبرنا غالب بن سعيد بن الحسين بن البناء نا أبو نصر محمد بن محمد الدبني نا أبو بكر محمد بن جعفر الوراق نا محمد بن السري ابن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن إسحاق بن عيسى الطباع[1] قال سألت مالك ابن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال إنما يفعله الفساق أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري قال أنبأنا أبو الطيب الطبري قال أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجي أنه كان لا يرى به بأساً

---

(١) في نسخة الطباع

(فصل) وأما مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه فأخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب الطبري قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب قال وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة إبراهيم والشعبي وحماد، وسفيان الثوري وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك قال ولا نعرف بين أهل البصرة خلافاً في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأساً

(فصل) وأما مذهب الشافعي رحمة الله عليه فحدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد ابن أحمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني نا محمد بن عبد الرحمن نا أحمد بن محمد بن الحارث نا محمد بن إبراهيم بن حماد نا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال سمعت محمد ابن إدريس الشافعي يقول خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن

قال المصنف رحمه الله وقد ذكر أبو منصور الأزهري المغبرة قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغبيراً كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة بهذا المعنى. وقال الزجاج سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة وحدثنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال قال الشافعي الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته قال وكان الشافعي يكره التغبير قال الطبري فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد[1] وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ عليكم بالسواد الأعظم ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية

قال المصنف رحمه الله وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضي الله عنهم ينكرون السماع وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الإنكار ومنهم أبو الطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع منه كتاب مصنف [illegible]

(١) [illegible]

الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطى عنه قال لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب قال ومن أضاف إلى الشافعى هذا فقد كذب عليه وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء على أن الرجل إذا دام على الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته

قال المصنف رحمه الله قلت فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق

﴿ فصل فى ذكر الادلة على كراهة الغناء والنوح والمنع منهما ﴾

قال المصنف وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات الآية الأولى قوله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن ابى معاوية عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا أبى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو الغناء وأشباهه أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى ابن على المدير قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حبابة ثنا البغوى ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال الغناء أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا ابو بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعى

الآيه الثانيه قوله عز وجل « وأنتم سامدون » أخبرنا عبد الله بن علي نا داراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان نا ابو بكر القرشي نا عبد الله ابن عمر نا يحيى ابن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال هو الغناء بالحميرية سمد لنا غنى لنا وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى

الآية الثالثه قوله عز وجل « واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك » أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهري نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسي نا الحسين بن الكميت نا محمد بن نعيم بن الهيثم الحرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » قال هو الغناء والمزامير

اما السنه اخبرنا ابن الحصين نا المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن احمد نبي أبي نا الوليد بن مسلم نا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع صوت زمارة راع فوضع اصبعه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع اسمع فاقول نعم فيمضي حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا

قال المصنف رحمه الله إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لايخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد الصابي نا إسماعيل بن سعيد بن سويد نا أبو بكر بن الانباري نا عبد بن عبد الواحد بن شريك البزار نا ابن أبي مريم نا يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن شرائهن وقال ثمنهن حرام وقرأ « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين »

أخبرنا عبد الله [illegible] الى [illegible] نا ابو [illegible] عبد [illegible] المقرى نا أبو الما[illegible] عبد الملك بن [illegible]

ابن أبي الاسود عن أبي المهلب عن عبد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامه قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء وقال ثمنهن حرام وقال في هذا أو نحوه أو وقال شبهه نزلت علي «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء إلا بعث الله له شيطانين يرتدفانه أعني هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ثم قرأ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث»

وروى عبد الرحمن ابن عوف عن النبي ﷺ أنه قال إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة

أخبرنا ظفر بن علي نا أبو علي الحسن بن أحمد المقدي نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن علي بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا جدي ابو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد ابن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير ابن نفير عن مالك بن يخامر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعثت بهدم المزمار والطبل

أخبرنا ابن الحصين نا ابو طالب بن غيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن علي قال قال رسول الله ﷺ بعثت بكسر المزامير أخبرنا ابو الفتح

الكروحي نا أبو عامر الازدي وأبو بكر العورحي قالا نا الجراحي ثنا المحبوبي نا الترمذي نا صالح بن عبد الله نا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن عمر بن علي بن ابي طالب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها إذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذي وحدثنا علي بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامي عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا اتخذ الفيء دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه واقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ قيل يا رسول الله متى قال إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصاري في كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الاسداباذي نا ابو منصور المقومي نا ابو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان نا محمد بن يزيد بن ماجه نا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني نا عبد الرزاق أخبرني يحيى بن العلا أنه سمع مكحولا يقول أنه سمع يزيد ابن عبد الله يقول انه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو ابن قرة فقال يا رسول الله ان الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أراني أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء في غير فاحشة فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت قم عني وتب إلى الله عز وجل اما انك ان قلت بعد التقدمة إليك شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك، وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة فقام عمرو وبه من الشر والخزي ما لا يعلمه إلا الله

عزوجل فلما ولى قال رسول الله ﷺ هولاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عزوجل عريان لا يستتر بهدبة كلما قام صرع

وأما الآثار فقال ابن مسعود الغنا ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان وقال تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى قال ألا لا سمع الله لكم ومر بجارية صغيرة تغنى فقال لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغنا فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو؟ قال انظر يا ابن اخى اذا ميز الله الحق من الباطل فى أيهما يجعل الغنا وعن الشعبى قال لعن المغنى والمغنى له اخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد ابن محمد نا ابو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر القرشى نى الحسين ابن عبد الرحمن نى عبد الله بن عبد الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبد الله الارموى قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى مودب ولده ليكن أول ما يعتقدون من ادبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل وعز فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضـــور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه وقال فضيل بن عياض الغنا رقية الزنا وقال الضحاك الغنا مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال يزيد بن الوليد يا بنى أمية إياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغنا داعية الزنا

قال المصنف رحمه الله قلت وكم قد فتنت الاصوات بالغنا من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى واخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى نى محمد بن يحيى عن مصعب بن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن أبيه قال كان سليمان بن عبد الملك فى باديته فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدها بيده ، وأشار إليها

فاذا هى ساهيه مصغيه نسمعها مائله بيدها كله إلى صوت غناء فى ناحية العسكر فأمرها فسحب واستمع هو الصوت فاذا صوت رجل يغنى وأنصت له يفهم ما يغنى به من الشعر ثم دعا جارية من جواريه غيرها فوضعها فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل فقال هل بقى أحد يسمع منه فقام رجل من القوم فقال يا أمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايله حاذقان، قال وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحيه التى كان الغنا منها فقال سليمان يبعث إليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له ما اسمك؟ قال سمير، فسأله عن الغناء كيف هو فيه فقال حاذق محكم قال ومتى عهدك به قال فى ليلتى هذه الماضيه قال وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحيه التى سمع منها الصوت قال فما غنيت فذكر له الشعر الذى سمعه سليمان فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقه، ونب التيس فسكرت الشاه، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأه ثم أمر به فخصى وسأل عن الغنا أين أصله واكثر ما يكون قالوا بالمدينه وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائمه فيه فكتب إلى عامله على المدينه، وهو أبو بكر بن محمد بن حزم أن أخصى من قبلك من المخنثين المغنين

قال المصنف رحمه الله وأما المعنى فقد بينا أن الغنا يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الارض برجليه إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفه، والغنا يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فى تغطيه العقل فينبغى أن يقع المنع منه أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الازجى نا ابن جهضم نا يحيى ابن المؤمل نا أبو بكر السقاف نا أبو سعيد الخراز قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال هولاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقى أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على الصادى قال

قال أبو عبد الله بن بطة العكبري سألني سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكره العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتماوتون ويتغاشون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا

﴿ فصل في ذكر الشبه التي يتعلق بها من أجاز سماع الغناء ﴾

فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفي بعض ألفاظه دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث فقال أبو بكر أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فقال رسول الله دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا وقد سبق ذكر الحديث ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ يا عائشة ما كان معهم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو وقد سبق ومنها حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته قال ابن طاهر ووجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن ومنها حديث حاطب عن النبي ﷺ أنه قال فصل ما بين الحلال والحرام والضرب بالدف

والجواب أما حديثا عائشة رضي الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمي بذلك غناء لنوع تثبت في الإنشاد وترجيع ، ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك في الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة في زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ماهذا إلا مغالطة للفهم أو ليس قد صح في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد وإنما ينبغي للمفتي أن يزن

الاحوال كما ينبغي للطبيب أن يزن الرمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأن الغنا بما تناولته الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تحث إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هناك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعي أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل في حقه مالا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبري عن هذا الحديث بجواب آخر فأخبرنا أبو القاسم الحريري عنه أنه قال هذا الحديث حجتنا لان أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر قوله وإنما منعه من التغليظ في الانكار لحسن رفقه لا سيما في يوم العيد وقد كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغنا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغنا ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها

قال المصنف رحمه الله وأما اللهو المذكور في الحديث الآخر فليس بصريح في الغنا فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التسمية بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن تكون القينة حراماً فان الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاما صحيحاً وإنما وقع التسمية بالاصغاء في الحالين فيكون أحدهما حلالا او حراماً لا يمنع من التشبيه وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بالرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر في جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون في ما الوضوء لا يشبه الاعضاء منه لانه أثر عبادة فلا يشبه مسحه كدم الشهيد فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما في كونهما عبادة وان افترقا في الطهارة والنجاسة واستدلال ابن طاهر أن التشبيه لا يكون إلا على مباح فيه الصورة لا علم الفقها وأما قوله بتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغني به وفسره الشافعي فقال معناه يحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غنا الركبان إذا ساروا وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا فكيف لو رأوا هذه وكان الحسن البصري يقول ليس

الدف من سنة المرسلين فى شىء وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله ﷺ وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر فى الناس

قال المصنف رحمه الله قلت ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا نصر بن أحمد بن البطر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب نا الحسين بن إسماعيل المحاملى نا عبد الله بن جرير بن جبلة نا عمر بن مرزوق نا زهير عن أبى إسحق عن عامر بن سعد البجلى قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بدريا فوجدته فى عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا إن رسول الله ﷺ رخص لنا فى هذا أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد ابن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران نا أبو على أحمد بن الفضل بن خزيمة نا أحمد القاسم الطائى نا ابن سهم نا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف

قال المصنف رحمه الله وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصبهانى فإنه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم

قال المصنف رحمه الله وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لأنه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فإن الإنسان لا يخلو أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشىء فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه قال استنشدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية فأنشدته فجعل يقول هي هي حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر [illegible] قال المحتاج

سألت أبا هريره رضي الله عنه طاف الحالات فهاجا سها فقال أبو هريره رضي الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله إلا كمثل من قال يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه في يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسي أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء

وقد انبأنا أبو زرعه بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا محمد التميمي قال سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال ما أدري ما أقول فيه غير إني حضرت دار شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنه سبعين وثلاثمائه في دعوه عملها لاصحابه حضرها أبو بكر الابهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر ابن الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابله فقال أبو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثه يسنه ومعهم أبو عبد الله غلام ، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئاً فقال وهم يسمعون

خطت أناملها في بطن قرطاس رساله بعبير لا بانقاس
أن زر وقدتك هب لي عير محتشم فإن حبك لي قد شاع في الناس
فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لي لامشي على العينين والراس

قال أبو علي فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسأله بحظر ولا إباحه

قال المصنف رحمه الله وهذه الحكايه ان صدق فيها ابن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقه حملت هذه الابيات على انه أنشدها لا أنه غنى بها بقصب ومخده إذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام يحتمل قوله لا يمكنني ان أقول فيها بحظر ولا إباحه لانه إن كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتي بالاباحه وإن كان ينظر في الدليل فلزمه مع حضورهم أن يفتي بالحظر ، فقدر صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب وقد ذكرنا عن أبي حنيفه ومالك ... ،

وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشددنا ذلك بالأدلة وقال ابن طاهر في كتابه باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له . واحتج بأن النبي ﷺ رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يصنع بمثل هذا التخليط وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد إسماعيل بن الحجاجي نبا أبو محمد ابن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني إبراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني قال مررنا مع الشافعي وإبراهيم بن إسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم

خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي ميلوا بنا نسمع فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم أيطربك هذا قال لا قال فما لك حس

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه ، وفي الرواة مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري قال أما سماع الغنا من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياثة

قال المصنف رحمه الله وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيها فاسقاً

قال المصنف رحمه الله قلت وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقرا وكانت تقول لهم القصائد

قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال أدركنا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكانت لعطا جاريتان يلحنان وكان إخوانه يستمعون التلحين منهما

قال المصنف رحمه الله قلت أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وإن صحت الحكاية عن مروان(١) فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الابريسمي للسماع من هزاره رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات

قال المصنف قلت وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير حياء عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قدحا في عدالته

قال المصنف رحمه الله فإن قيل ما تقول فيما أخبركم به إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل بن إسحاق نا هرون بن معروف نا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقص فإذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب قال المغيرة فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه إنك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحمق وإن صنيعك هذا صنيع أحمق فالجواب انا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب ان يسمعها منفرداً وهي ملكه فقال له مغيرة هذا القول وكره أن تطرب الجارية وتقصين وتطربين وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن جعفر كان يسمع الغنا

قال المصنف رحمه الله وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفا بحكاية عن أحمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمي قال حدثنا الحسين بن أحمد قال سمعت أبا القاسم بن المرغاني يقول سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول كنت أحب السماع وكان أبي أحمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندي إلى أن علمت ان أبي قد نام

---

(١) في النسخة الثانية أبي مروان

وأخذ يغني فسمعت حس أبي فوق السطح فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق وفي بعض الطرق عن صالح قال: كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان أبي في الزقاق يذهب ويجيء ويسمع إليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يسمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أحمد بن علي ابن الحسين التوزي نا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي أظنه عن عبد الله بن أحمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان أبي ينهاني عن التغني فكنت إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندي وكان يغني[1] فعرضت لأبي عندنا حاجة وكنا في زقاق فجاء فسمعه يغني فوقع في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبي ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد قال لي: يا بني إذا كان هذا نعم الكلام أو معناه

قال المصنف رحمه الله: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التي فيها ذكر الآخرة ولذلك استمع إليه أحمد، وقول من قال يزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالاً. وأما رواية ابن طاهر التي فيها فرأيته وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا نطوق به المعنى[2] تصحيحاً لمذهبهم في الرقص. وقد ذكرنا القدح في السلمي وفي ابن طاهر الراوين لهذه الألفاظ. وقد احتج لهم أبو طالب المكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفي لا أصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي طالب الطبري قال: قال بعضهم إنا لا نسمع الغناء

(١) في الأصل [illegible] وكان يقول أي يغني [illegible] بدل قوله ويغني في المكانين

(٢) كذا في الأصل [illegible] أو [illegible] التي [illegible]

بالطبع الذى نشترك فيه الخاص والعام قال وهذا يجاهل فيه عظم لأمرين أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس فان لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق والثانى أن هذا المدعى لايخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة فان قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة قلنا له فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك ، او يطرب لسماعه لغير ما عرفنا فى نفسك

اخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لانى قد وصلت إلى درجة لا يؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم قد وصل لعمرى ولكن إلى سقر

قال المصنف رحمه الله فان قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد بيتاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به قلنا لا ننكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فيزعجه معناها لا لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية يقول

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى الالحان وإنما قتله المعنى . . . ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعها كالاستلذاذ بسماع الابيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك . . . ذلك السامع لم يقصد السماع ولو سألنا هل يجوز لى أن اقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزلناها . . . عن القوم . . . أنه قال ما يدل على تحريم السماع . . . ولا قياس . . .

هذا ما قد أسلفناه وقال لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع فان أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به

قال المصنف رحمه الله قلت وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج ، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدث فيه شدة مطربة حرم وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك وقال ابن عقيل الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها ، نص الامام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك ويلحق به الجرافة(١) والجنك لان هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما تفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور لان النبي ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول(٢) نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن احمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل وقد قال أبو حامد من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى يؤكد لعشقه فى قول المغنى

---

(١) فى النسخة الجرافة وهذه كلها أسماء لآلات الملاهى وفى نسخة الجرانة

(٢) وفى [illegible] كالقول

دهى اللون يحسب من وحسبه النار يمدح

قال المصنف رحمه الله قلت وسمعت ابن عقيل بعض الصوفية يقول ان مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حسدا ها الحادى إلى الله بالاناشيد فقال ابن عقيل لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن و عهده وسنة الرسول [؟] لان الله سبحانه وتعالى قال (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وما قال وإذا أنشدت عليه القصائد طربت فأما تحريك الطباع بالالحان فقاطع عن الله السير يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنة ومن سولت له نفسه النظائر النظر بمحاسن البشر وحسن الصوت فمفتون بل ينبغى النظر إلى المحال التى أحالنا عليها الابل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها مسطورات لاتهيج طبعا بل تورث استنباطا للفاعل وإنما حدعكم السلطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حيث وقفت هذه الحكمة وأسرع زيادته فى زى عباد سرهم فى زى زهاد ونسبه بعضهم وتارة قالوا ان الله عز وجل يعشق ويهام فيه ويؤلف ويؤنس به ، وبئس الوهم لان الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لان أصولها مشاكلة فهى ، وانس وسائر بأصولها العنصرية وتراكيبها المائية فى الاشكال الحديثة فمن ههنا جاء التلاؤم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الانس والواحد منا يأنس بالماء لان فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوان بالقوة النامية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه اليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يتصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تنصب فى القلوب ، وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم حلبته الطبع والشيطان وليس لله وصف يميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الانفس وإنما مباينة الالهية للمحدث اوجب فى الانفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله محبة الله إنما هو وهم اعترض وصورة تشكلت فى نفوس تحسب من عادة الطبع تخيل تلك الصورة انس فاذا غاب تحكم اسم صفة العقل أقلقهم الشوق اليها فاقلقهم الوجد وحرك الطبع الهيمان بأمثال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديه والعوارض الطبعيه التى يجب بحكم الشرع محوها من القلوب كما يجب كسر الاصنام

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على الازجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبد الله المقرى ثنا عبد الله ابن صالح قال قال لى جنيد إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت أحمد بن محمد البردعى يقول سمعت ابا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره

قال المصنف رحمه الله هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لانهم يظنون أن الكل كانوا هكذا والثانى أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه الا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن فكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوازن وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من اسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئا فقلت نعم وقلت

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه

ثم قال لي يا بني لا تلوم أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول فأخرجت إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغني فداخلني من ذلك شيء فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال فقال لي يوما أي شيء يقول في الناس فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لمَ لم يفلح

قال المصنف رحمه الله هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم إليه حاله فإن الآدمي يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط

(فصل) وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذي ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخرين كراهيته مستحب في حق قوم وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا علي الدقاق يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا غلط من خمسة أوجه أحدها أنا قد ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه أباح سماعه لكل أحد وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل والثاني أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عاديتها فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال [illegible] عادت العادة والثالث أن الغناء [illegible] السامع لعلهم أن الطباع [illegible] عن طباع [illegible] والرابع أن الإطلاع [illegible] وإنما غاية [illegible] خروج [illegible] والخامس أنه [illegible] سماع [illegible] عنده لا [illegible] لأنه يورث في الطباع [illegible] إلى [illegible] ذلك فينبغي أن [illegible]

(فصل) قال المصنف رحمه الله وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل قال أبو طالب المكي حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم يتحاورون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً

قال المصنف رحمه الله قلت ، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فإنها توجب الرقة والبكاء ، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح احد الاشارة من ذلك كانت الاشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال أخبرني أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان ابن الوفا الفقيه وزبادى شيخ رباط الزوزني صديقاً لي فكان يقول لي والله انى لادعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول ، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم وقال ابن عقيل قد سمعنا منهم ان الدعا عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرا ، قال والناس بين تحريمه وكراهته أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت قال أخبرني على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني ابراهيم بن أعين قال قال صالح المرى اطلب الصرعى رقصة صريع هوى بدعة الى الله قربة ، أندب الناس يوم الديانة أنتم كتاب الله وسنة محمد ﷺ أخبرنا ابو القاسم عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا ابى قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت

محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر الهاوندي يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا فاستفزني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ثم قال لي يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئا أدخل به عليكم إلا هذا

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد)

قال المصنف رحمه الله هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وصفقت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني قال أنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي قال وقد قيل إنه لما نزلت وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام واحتجوا بما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو محمد الجوهري عن علي الساطي قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال أخبرنا علي بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار فنظر الربيع إليها فمال ليسقط ثم إن عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا إلى قوله ثبورا فصعق الربيع فاحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله حتى صلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق ورجع عبد الله إلى أهله قال المصنف قلت وهذا لا ينكر من الجماعة من السادات كانوا إذا سمعوا القرآن فمنهم من يبكي ومنهم من يصعق ومنهم من يغشى عليه ومنهم من يموت، وهذا كثير في كتب الزهد وإنما الإنكار على ما ذكر عن سلمان فمحال وكذب ليس له إسناد

والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا وأما حكاية الربيع بن خثيم فإن راويها عيسى بن سليم وفيه معمر أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن محمد العتيقي قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي قال قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه قال العقيلي وحدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني بن آدم قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان أنهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق قال ومن يروي هذا إنما يرويه ذاك القاص ـ يعني عيسى بن سليم ـ فلقيته فقلت عمن تروي أنت ذا ـ منكراً عليه

قال المصنف رحمه الله قلت فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول ، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين ثم نقول على تقدير الصحة أن الانسان قد يغشى عليه الخوف فتسكنه الخوف وتسكنه فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطا يقول كان للسنة لي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقته

قال المصنف رحمه الله واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكا والخشوع فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فالعم رسول الله ﷺ في الانكار عليه فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن خلف أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال أنبأنا أبو علي بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد

ابن عبدالله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبدالحميد الجعفي قال حدثنا عبدالمتعال بن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس بن مالك وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس لقد رأينا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حنين أحدهم الموعظة وما سقط منهم أحد

قال المصنف رحمه الله وهذا حديث العرباض بن سارية وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب قال أبو بكر الآجري ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان أخبرنا عبدالله بن علي المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن إبراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبدالله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبدالله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبدالله الواسطي قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن قال قلت لأسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم تغرورق أعينهم وتقشعر جلودهم فقلت لها إن هاهنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر ابن مالك نا عبد الله بن احمد بن حنبل نا الوليد بن شجاع نا اسحاق الحلبي نا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت لا ولكنهم كانوا يبكون

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي التميمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر ابن مالك نا عبد الله بن أحمد نا سريج بن يونس نا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن

أبي حازم قال مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من العراق فقال ما شأنه؟ فقالوا إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي نا أبو الحسين بن بشران نا إسماعيل بن محمد الصفار نا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله ابن أبي بردة عن ابن عباس أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن فقال إنهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم يضلون

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين نا محمد بن بكر ابن عبد الرازق نا إبراهيم بن فهد عن إبراهيم بن الحجاج الشامي نا سديد بن مهران عن قتادة قال قيل لأنس بن مالك إن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال ذاك فعل الخوارج

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر ابن علي ابن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب نا عبد الله بن المغيرة نا أحمد بن سعيد الدمشقي قال بلغ عبد الله بن الزبير أن ابنه عامراً صحب قوماً يصعقون عند قراءة القرآن فقال له يا عامر لا أعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لا أوسعك جلداً

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ نا سليمان بن أحمد نا محمد بن العباس نا الزبير بن بكار ني عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ني أبي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال جئت إلى أبي فقال لي أين كنت فقلت وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال لا تقعد معهم بعدها فرآني كأني لم يأخذ ذلك في فقال رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ولا يصيبهم هذا افتراهم أخشى لله من أبي بكر وعمر فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن أحمد في كتابه نا محمد بن أيوب نا حفص بن عمر النمري نا حماد بن زيد نا عمرو بن مالك قال بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء

نسمي قبله فقيل له يا أبا الجوزاء ، إنه رجل به الموتة فقال إنما كنت أراه من هولاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فأخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال (تفيض أعينهم من الدمع) أو قال (تقشعر جلودهم)

أخبرنا أبو محمد بن علي المقرى نا أحمد بن بندار بن إبراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا أحمد بن جعفر بن حمدان نبا إبراهيم بن عبد الله البصرى نبا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد بن عمر بن مالك النكرى قال قرأ قارى عند أبي الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم فقام إليه أبو الجوزاء فقيل له يا أبا الجوزاء انه رجل به شي فقال ظننت إنه من هولاء القفازين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم إنه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه فقال محمد بن سيرين يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن[1] من أوله إلى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو وكان محمد بن سيرين يذهب إلى هذا يصنع وليس يحكي من قلوبهم

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نبا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نبا أبو محمد ابن حيان ثنا محمد بن العباس نبا زياد عن يحيى عن عمران بن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يسمع القرآن فيصعق فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان نبا أبو بكر القرشي ثنا محمد بن علي عن إبراهيم بن الأشعث قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل في مجلسه فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت

أخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبي نبا روح نبا السري بن يحيى نبا عبد الكريم بن رشيد قال كنت

(١) في الثانية المصحف بدل القرآن ه

فى حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسن الباقلانى نا أبو العلا الواسطى نا محمد بن الحسن الأزدى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن إبراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط بأبى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن أحمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه فقال له يا بنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله

(فصل) قال المصنف رحمه الله فان قال قائل انما نعرض الكلام فى الصادقين لا فى أهل الرياء فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد انزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله نبس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام وإن أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن يحيى بن الجزار عن بن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطا فقال ما هذا الخيط قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقى والتمائم والتولة شرك قالت فقلت له لم تقول هذا وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها وكان اذا رقاها سكنت قال انما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى

كما قال رسول الله ﷺ اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافى لاشفا إلا شفاوك ، شفا لا يغادر سقما

قال المصنف رحمه الله الوله — ضرب من السحر بحب المرأة إلى زوجها

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا الحسن ابن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال نا أبو عمر بن حيويه نا أبو بكر بن داود نا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء نا أبى نا سفيان عن عكرمة بن عمار عن سعيد ابن أبى السبى عن أبى عيسى أو عيسى قال ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوما عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله قال كذبت قال بلى ورب هذه البنية قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم والله ماهكذا كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

(فصل) فان قال قائل فقد عرض أن الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الامر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق أنه لا يقدر على أن يدفع ، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل « وخر موسى صعقا »

وقد اخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد بن عبد الله نا إبراهيم بن عبد الله نا محمد بن اسحق الثقفى نى حاتم بن الليث الجوهرى نا خالد بن خداش قال قرئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة فخر مغشيا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام

قال المصنف رحمه الله قلت وقد مات خلق كثير فى سماع الموعظة وغشى عليهم فاما هذا الواجد الذى يصفق بعض حركات الواجد من وقوف صاحبه فتحنطهم فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه

قال المصنف رحمه الله فان قال قيل فى حق المخلص بعض هذه الحالة الطارئة عليه قيل نعم من جهتين أحدهما أنه لو قوى العلم أمسك والثانى أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السبى وأخبرنا سعيد بن

أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي قالا نا ابو الحسن بن بشران نا ابو علي إسماعيل بن محمد الصفار نا سعدان بن نصر نا سفيان ابن عيينه قال سمعت خلف بن حوشب يقول كان خوات يرعد عند الذكر فقال له ابراهيم إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعد لك وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك وفي روايه فقد خالفت من هو خير منك

قال المصنف رحمه الله قلت ابراهيم هو النخعي الفقيه ، وكان متمسكا بالسنه شديد الاتباع للاثر وقد كان خوات بن الصالحين العداد عن التصنع وهذا خطاب ابراهيم له فكيف بمن لا يخفي حاله من التصنع

(فصل) فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغنا صفقوا أخبرنا محمد بن عبدالباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له

قال المصنف رحمه الله قلت التصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصديه وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديه » — فالمكا الصفير — والتصدية التصفيق أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو علي بن شاذان نا أحمد بن كامل ثني محمد بن سعد ثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس « إلا مكاء » يعني الصفير « وتصديه » يقول التصفيق

قال المصنف رحمه الله قلت وفيه أيضا تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار الى أفعال الكفار والنسوه

(فصل) فاذا قوي طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب « اركض برجلك »

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا الاحتجاج بارد لانه لو كان أمر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهه وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الما قال ابن عقيل أين

(فصل) فإذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغني فمنهم من يرمي بها صحاحاً ومنهم
من يخرقها ثم يرمي بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء في غيبة فلا يلامون فإن
موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم
يدر ما صنع والجواب أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر والذي
ذكر في القرآن ألقاها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل تكسرت فمن أين
لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ
بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون
من بئر إن كانت عندهم، ثم كيف تقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء
ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشي في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو
ينشد ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلي الجمعة فسئلت عن صلاته فقلت
إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا
الرجل جلداً لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل في كل يوم ويجمع له ما يأكل هو وأصحابه
فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فإن تعرضهم
لما يغطي على العقول من سماع ما يطرب منهي عنه كالتعرض لكل ما غائلته الأذى وقد
سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل فإنهم لا يعقلون ما يفعلون قال
إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما
يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم
مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب
المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال ولم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا
الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا
فسد ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب واحتج
لهم ابن طاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت نصبت حجلة لي
فيها رقم فهدها النبي صلى الله عليه وسلم فشقها

قال المصنف رحمه الله فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من

يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر لحظ فاسق لا عن قصد او كان عن قصد لأن الصور الى كانت له وهذا من الاسرار حق الشارع المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فان ادعى محرق ثيابه أنه غاب فلما الشيطان عنك لانك لو كنت مع الحق لحفظك والحق لا يفسد

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن على ابن حبيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال أنا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوما فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه اشرح لى عن قلبه

(فصل) وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الانصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فاسهم لنا

قال المصنف رحمه الله لقد بلاغ هذا الرجل بما شريعته واستخرج بسوء فهمه ما يليق بوافق مذهب المتأخرين من الصوفية فانا ما عرفنا هذا فى اوائلهم وبيان فساد استخراجه ان هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جاز له تحريمه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لانه ولا تمليكا وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشئ الذى يقع من الانسان لا يدرى به فلا يجوز لاحد ان يملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لاعلى احد فلا وجه لتمليكه ولو رماه على المعنى لم يملكه لأن التمليك لا يكون إلى معين شرعى والرمى ليس بمعين ثم لو قلنا أنه ملك للمعنى فما وجه تصرف الناس فيه ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقا وذلك لا يجوز لوجهين احدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه والثانى أنه اضاعة للمال ثم ما جرت اسهام من لم يحضر وأما حديث ابى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون

رسول الله ﷺ أجازه عن رضي ممن شهد الواقعة أو من الجنس الذي هو جنسه وعلى مذهب الصوفية يعطى هذه الخرقة لمن جاء وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انقطع من الخرق الصحاح الموافقة لها أن ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه الشيخ واحتجوا بقول عمر رضي الله عنه الغنيمة لمن شهد الواقعة وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الانصاري فجعل الخرقة على ضربين ما كان مجروحا قسم على الجمع وما كان سليما دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل؟ قالوا سلمة ابن الاكوع قال له سلبه أجمع فالقتيل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له

قال المصنف رحمه الله أنظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة فان مشايخ الفقها أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سوا كان مخرقاً او سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغي أن يكون الامر على عكس ما قاله الانصاري لان المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح للمعنى دون الصحيح وكل أقوالهم في هذا محال وهذيان وقد حكى لي أبو عبد الله السكري الصوفي عن أبي الفتوح الاسفرايني وكتب انا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر في جمع كثير في رباط وهناك الجناد والقصاب ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقي مكشوف الراس قال السكري إنه رقص يوماً في جمع له ثم ذكر ان الرقص في الجمع خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لذلك الجناية فاقتسموه خرقا ، قال ابن طاهر والدليل على أن الذي يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن في صدقتك

قال المصنف انظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معاني الاحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج الى ان يشتريها

(فصل) وأما تقسيمهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريقها فقد بينا أنه إن كان

صاحب الثوب رماه إلى الفقير لم يملكه نفس الرمى حتى يملكه إياه فاذا ملكه إياه فما وجه تصرف الفرقة فيه ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق يصنع بها ولبس بمرقعة ، فقلت وهل المرقعة إلا هذا ، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقا في بلدنا فأصاب رجل منها خرقة فعملها كيسا فباعه بخمسة دنانير فقلت له إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فانه قال ساغ لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعا ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب فراطل[1] لا ينتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافا ولهذا نهى عن كسر الدرهم الصحيح لانه يذهب منه قيمة بالاضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس ابليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين

﴿ فصل ﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا وأقاموا لهم الأعذار من إلى هواهم مال ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه باب السنة في أخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته بخروجه من ماله ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها واستدل بحديث معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ انه قال في الزكاة « من منعها فانا آخذها وشطر ماله »

قال المصنف رحمه الله قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسميته ما يلزم بعضهم مما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الانسان ما ليس بواجب واجبا كفر ومن مذهبهم كشف الرؤوس

(١) الفراطل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها

عن الاستعفار وهاد بدعة سقط المروءة وينافي الوقار ولولا ورود الشرع بكشف الرأس في الاحرام ما كان ... قال فان قال قائل إن من الناس من يحتج بما روي عن رسول الله ﷺ ... إن الثلث لا على سبيل الالزام له وإنما نوع بذلك فاعده منه وأن الزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد بزامه لا يجب عليه فاذا امتنع صاحبوها ليس الهم الالزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقا

﴿ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية في صحبة الأحداث﴾

قال المصنف اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الاجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفق صحبة الاحداث لهم على وجه الارادة قصد الزهادة فأمالهم إبليس اليهم ، واعلم أن المتصوفة في صحبة الاحداث على سبعة اقسام القسم الاول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان نا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية ، ومنهم من قال هو حال في المستحسنات ، وذكر أبو عبد الله بن حامد من اصحابنا ان طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل في الدنيا وأجازوا أن يكون في صفة الآدمي ولم يأبوا كونه حالا في الصورة الحسنة حتى استشهدوا برؤية النبي ... القسم الثاني قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم ويقصدون الفسق ... وقد سوغوا النظر إلى المستحسن وقد صنف ابو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه سنن الصوفية وقال في أواخر الكتاب باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر الى وجه الحسن وذكر فيه ما روي عن النبي عليه السلام انه قال اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، وانه قال ثلاثة يجلون البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء والنظر إلى الوجه الحسن

قال المصنف رحمه الله وهذان الحديثان لا اصل لهما عن رسول الله ﷺ اما

الحديث الاول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن أحمد بن حمويه نا إبراهيم بن خزيم نا عبد بن حميد نا يزيد بن هرون نا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال اطلبوا الخير عند حسان الوجوه قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لا يثبت عن النبي عليه السلام في هذا شيء ، وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون نا أحمد بن علي بن ثابت نا أحمد بن محمد بن يعقوب نا ابن نعيم الضبي نا أبو بكر محمد بن أحمد ابن عمر بن عبد الرحمن قال سمعت أبا البختري وهب بن وهب يقول كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه فقال أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في وأما ادمان النظر إليه فإن جعفراً الصادق نا عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ثلاث يردن في قوة البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن

قال المصنف رحمه الله هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء في ان البختري انه كذاب وضاع ، وأحمد بن عمر بن عبد احد المجهولين ، ثم قد كان ينبغي لابي عبد الرحمن السلمي إذ ذكر النظر الى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فاما اطلاقه فنفسه سوء ظن وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسي قد صنف كتابا في جواز النظر إلى المرد

قال المصنف رحمه الله قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر الى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليه ومن ادعى الانسان أنه لا تثور شهوته عند النظر إلى الامرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج في كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الالحاح في النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى قال سعيد ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا حال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أنا جنسه في الطبع ادعى المحال

وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع أخبرنا شهدة بنت احمد الآبرى قالت أنبأنا جعفر بن احمد السراج قال أخبرنا عبد العزيز بن على حدثنا ابن جهضم حدثنا محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله ابن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبى النصر الغنوى وكان من المغترين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم يزل يرمقه بعينه واقبل عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت عليَّ أروى من النظر إليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم الواحد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الاحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة فنظر إليه طويلا ثم ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير ومن ليس له نظير الا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه إلى الارض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هذا بنظرى إليه وجها جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لاجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه وموالاتى لاوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظرى إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والارض ثم غشى عليه وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت جبرا النساج يقول كنت مع مخارق بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت مخارقا ينظر إليه نظراً أنكرته فقلت له بعد أن قام إنك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون فقال لى تقول هذا يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث خلال وما هى قال سر الايمان وعفة الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع عليَّ وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا

قال المصنف رحمه الله قلت انظروا إلى جهل الاحمق الاول ورمزه إلى التشبيه وان تلفظ بالتنزيه وإلى حماقة هذا الثانى الذى ظن ان المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة محرم ونفى عن نفسه أثر الطمع يدعواه التى يكذبها

شهوة النظر وقد حدثني بعض العلماء أن صبيا أمرد حكى له قال قال لي فلان الصوفي وهو يحيى يا بني لله فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتي إليك وحكي أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة وإلى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا فقال أي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد إليه فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة

قال المصنف رحمه الله قلت إني لا أعجب من فعل هذا الرجل وإماطته جلباب الحيا عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس وأخبرنا أبو القاسم الحريري أنبأنا أبو الطيب الطبري قال بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع إنها تضيف إليه النظر إلى وجه الامرد وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » وقال « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض » فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الالوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما تبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ولو انهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم في شعره عن أحوال المستمعين للغنا وما يحدونه حال السماع فقال

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا على طيب السماع إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الاغاني فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى سرورا والسرور هناك صاحي

إذا لى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حى على الفلاح
ولم يملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لألحاظ ملاح

قال فإذا كان السماع يأثره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائدة قال ابن عقيل وقول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشىء فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» وقال «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت» فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة ولا يقارنها لذة فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماما ولا مؤذناً كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه وكل من ميز نفسه بطبعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان المدعين القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم لشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقبل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروذبارى

أنزه فى روض المحاسن مقلتى ... وأمنع نفسى أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه ... على الجبل الصلد الأصم تهدما

قال المصنف رحمه الله وسئل حدثت يوسف بن الحسين وقوله عاهدت ربى أن لا أصحب حدثاً مائة مرة ففسخها على قوام القدود وغنج العيون أخبرتنا شهدة الكاتبة بإسناد عن أبى المختار الصبى قال حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميت الأندلسى وكان جوالاً فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلاً منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان

إذا جاء الليل قام فصلى ثم نام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً وتكراراً فإذا أسفر الصبح أوكاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى عليّ سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت عليّ الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره فيك لو حمله الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول بالليل إشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم ، قال هو الله يا أخى إنى لأدارى من قلبى مالو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك الى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله[1] وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغـــلام عليه حتى صار جلداً وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه منى طرفة عين أبداً وصانني عن مجانبه الفسوق فى خلوة صحبتى له وخلوانى معه فى الليل والنهار

قال المصنف رحمه الله هؤلاء قوم رآهم إبليس لا يحدثون نفوسهم إلى الفواحش فحسن لهم بدايتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى صدها عن الفاحشة فإن صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فإن الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب يخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل الى سباع فى غيضة مشتغلة عنه لا يراه فأثارها وحاربها وقاومها فما يبعد سلامته من جراحه ان لم يهلك

---

[1] هكذا الأصل ولعل الجواب محذوف

(فصل) في هولاء من قوبت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع خشية من فضيحة المرد أخبرنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلاني قال قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقي وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشي غلاما وصبيا مدة ثم فارقه ، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذي كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا وإليه مائلا فقال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل قلت ولم فعلت ذلك ؟ قال رأيت قلبي يدعوني إلى أمر إذا خلوت به وقرب مني لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسي من مصارع الفتن

(فصل) ومنهم من تاب وأطال البكا عن إطلاق نظره أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبد الله قال سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقول سمعت خيرا النساج يقول كنت مع أمية بن الصامت الصوفي إذ نظر إلى غلام فقرأ « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » ثم قال وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحنني به من نظري إلى هذا الغلام ما شبهت نظري اليه إلا بنار وقعت على قصب في يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال استغفر الله من بلاء جنته عيناي على قلبي لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أخلص من إثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا ثم بكى حتى كاد يقضي نحبه فسمعته يقول في بكائه باطرف لأشغلنك بالبكا عن النظر إلى البلاء

(فصل) ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي حمزة الصوفي قال كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلي به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبا وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلا وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوما لأعوده فقلت يا أبا محمد ماقصتك وماهذا الامر الذي بلغ بك ماأرى ، فقال أمور امتحنني الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم تكن لي بها طاقة ، ورب ذنب تستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت ما يبكيك ؟ قال أخاف أن تطول في النار شقائي فانصرفت عنه وأنه راحم له لما رأيت به من

سوء الحال ، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشي عليه ، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبر بقصته ولا بسبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوماً أن يصير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك ، فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل ، فقلت للشيخ ، وما الذي يكره من ذلك ، فقال لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين

(فصل) ومنهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه حدثني أبو عبد الله الحسين ابن محمد الدامغاني قال كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلي بحدث فلم يملك نفسه أن دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى « فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » فغرق في البحر

قال المصنف رحمه الله انظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر إليه إلى أن مكن المحبة من قلبه الى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه ، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم ، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها ، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى « فاقتلوا أنفسكم » ونحن نهينا عنه بقوله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » فلقد أتى بكبيرة عظيمة ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً

(فصل) ومنهم من فرق بينه وبين حدثه فقتل حدثه بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عبدنا بغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فسعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط

فرأوه فسألوه عن الحال فأمر بحمل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأمر بها والد الصبى يبكى ويقول له بالله عليك إلا ما أفديتنى به ، فقال الآن قد عفوت عنك فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثواب

(فصل) ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم ينفعه دعوى الصبر والمجاهدة ، والحديث بإسناد عن إدريس بن ادريس قال حضرت بمصر قوما من الصوفية ولهم غلام أمرد يغنيهم قال فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال يا هذا قل لا إله إلا الله ، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله

(القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبى ويزهد ويصحبهم على طريق الارادة فيلبس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة الى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه وربما وثقوا بدينهم فاستعرهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا

قال المصنف رحمه الله وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته

(القسم السابع) قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك والحديث بإسناد عن الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين كل ما رأيتمونى افعله فافعلوه الا صحبة الاحداث فانها أفتن الفتن ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة ان لا أصحب حدثا ففسخها على حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألنى الله معهم عن معصية وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً

إن ورد الخدود والحدق النجـ ـل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد وما فى الصـــدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شىء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى وثقة نقض التوبة فان عزائم الصوفى فى حمل النفس على المشاق ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية فانظر إلى الجهل كيف يصنع أربابه والحديث باسناد عن محمد بن عمر أنه

قال حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال ثم قال سبحان الله ما أهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالامر الذى قد حذر عنه لقد نظرت إلى هـــذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق وباسناد عن أبى بكر محمد بن عبد يقول سمعت أبا الحسن النورى يقول رأيت غلاماً جميلا ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له يلبسون النعال الصراره ، ويمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحسن بالعلم

(فصل) وكل من فاته العلم فحظ فان حصل له وفاته العمل فه كان أشد تحسطاً ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» سلم فى البداية مما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك والحديث باسناده عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فان النفوس تشتاق إليهم مالا تشتاق إلى الجوارى العواتق والحديث باسناد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فان لهم فتنة أشد من فتنة العذارى والحديث باسناد عن الشعبى قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة داود عليه السلام النظر وعن أبى هريرة قال نهى رسول الله ﷺ ان يحد الرجل النظر إلى الغلام الامرد وقال عمر بن الخطاب ما أنى على عالم من سبع صار أخوف عليه من غلام أمرد وباسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال لا تجالسوا أولاد الاغنيا فان لهم صوراً كصور النسا وهم أشد فتنة من العذارى

وباسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد وباسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذرا وعن أبى على الروذبارى قال سمعت جنيدا يقول جا رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا ، قال ابنى فقال أحمد لا تجئ به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى روايه

الخطيب فصل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وانه أفضل منه فقال أحمد الذي قصدنا الله من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم وباسناد عن أبي بكر المروزي قال جاء حسن البزار إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا علي لا تمش مع هذا الغلام في طريق فقال له إنه ابن أختي ، قال وإن كان لا يهلك الناس فيك وباسناد من سجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث وباسناد عن فتح الموصلي أنه قال صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي لهم اتق معاشرة الأحداث وباسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له يا هذا ابن علي جاهك عند الله فانك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما وباسناد عن أبي منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع في الأحداث وعن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال قال مظفر القرميسيني من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يبالغون في الإعراض عن المرد وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحدث باسناد عن عطاء ابن مسلم قال كان سنة ان لا يدع أمرداً يجالسه وروى إبراهيم بن هانئ عن يحيى ابن معين قال ما طمع أمرد يصحبني ولأحمد بن حنبل قال في طريق وباسناد عن أبي يعقوب قال كنا مع أبي نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت يا شيخ أين مكان باب حرب فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه فسأله فقال يا شيخ أين باب حرب فأطرق الشيخ رأسه فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعالى إلى أين تريد فقال باب حرب فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه فقال نعم يروى عن سفيان الثوري انه قال مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه وباسناد عن عبد الله بن المبارك يقول دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال

اخرجوه فانى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً وباسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم قال دخلنا على محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السما من منذ أربعين سنه وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه فقال له قم من حذاى فاجلسه من خلفه وباسناد عن أبى إمامة قال وكنا عند شيخ بعرى فى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأحدثونى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام وكره أن يخلو مع هذا الغلام وباسناد عن أبى الروذبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الانس بالاحداث فقلت له ياسيدى انت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلامة فى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى وإيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الاوقات التى تغلب الاحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط

﴿ فصل ﴾ وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتوا ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان وباسناد عن ابن الفرج الرسعنى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له ـ كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت ما استلبت به قلوبكم باسماع الغناء ومعاشرة الأحداث وباسناد عن ابن سعيد الخرازى يقول رأيت إبليس فى النوم يمر عنى ناحية فقلت تعال ، فقال إيش أعمل بكم ، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ما هو قال الدنيا ، فلما ولى التفت إلى فقال غير أن فيكم لطيفة قلت وما هى قال صحبة الأحداث قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفيه

(فصل) فى عقوبة النظر إلى المردان ، عن أبى عبد الله بن الجلا قال كنت أنظر إلى غلام نصرانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد الله البلخى فقال إيش وقوفك فقلت يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار فضرب بيده بين كتفى وقال لتجدن غبها ولو بعد حين قال فوجدت غبها بعد أربعين سنه أن أنسيت القرآن

وباسناد عن أبي الأديان وقال كنت مع أستاذي وأبي بكر الدقاق فمر حدث فنظرت إليه فرآني أستاذي وأنا أنظر إليه فقال يابني لتجدن غبه ولو بعدحين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله وعن أبي بكر الكتاني قال رأيت بعض أصحابنا في المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض علي سيئاتي وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت إني أستحي أن أقر فقال إني غفرت لك مما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بي غلام حسن الوجه فنظرت إليه وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزراد أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقيل له ما الذنب فقال نظرت إلى شخص جميل وقد بلغنا عن أبي يعقوب الطبري أنه قال كان معي شاب حسن الوجه يخدمني فجاءني إنسان من بغداد صوفي فكان كثير الالتفات إلى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالي فرأيت رب العزة في المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنبهه وأشار إلى البغدادي عن النظر إلى الأحداث فوعزتي إني لا أشغل بالأحداث إلا من باعدته عن قربي قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا أضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادي فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه ، واشتغل قلبي عليه فرأيته بعد شهر في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخني حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عني قلت إنما مددت النفس يسيراً في هذا الباب لأنه مما يعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر في كتابنا المسمى بذم الهوى ففيه غاية المراد من جميع ذلك

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الاموال ﴾

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص وباسناد عن ذي النون المصري أنه قال اقرئ،

سنين وما صح لي التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لي نفسي إن حكم الله عليك بالغرق فما ينفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندي شيء وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال جاء رجل إلى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة في التوكل وعنده جماعة فلم يجبه ودخل البيت فأخرج إليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له في ذلك فقال استحييت من الله تعالى أن أتكلم في التوكل وعندي أربعة دوانق وقال سهل بن عبد الله من طعن في الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان

قال المصنف قلت قلة العلم أوجب هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالاسباب ولا ادخار المال فقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » ، أي قواماً لأبدانكم وقال ﷺ نعم المال الصالح مع الرجل الصالح ، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنيا خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر ، فقال « خذوا حذركم » ، وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وقال « أن أسر بعبادي ليلا » ، وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى في الغار وقال من يحرسني الليلة وأمر بغلق الباب وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال اغلق بابك وقد أخبرنا ان التوكل لا ينافي الاحتراز

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عبد الله بن يحيى الموصلي ونصر بن أحمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران نا الحسين بن صفوان نا أبو بكر القرشي ني أبو جعفر الصيرفي نا يحيى بن سعيد نا المغيرة بن أبي قرة السدوسي قال سمعت أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول جاء رجل إلى النبي ﷺ ، ترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا إبراهيم بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا ابو بكر الخلال اخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني ثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسن بن زياد المروزي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به وقال ابن عقيل ظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ فقال تعالى (وشاورهم في الأمر) ، (فإذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا في التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم في الامر) وهل المشاورة إلا استفادة الرأي الذي منه يوجد التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله إلى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا في نفس الصلاة وهي أخص العبادات فقال (فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) ونبه على ذلك بقوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة قال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ في خير الأحوال وهي حالة الصلاة وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله (وليأخذوا أسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فان موسى عليه السلام لما قيل له (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط (لا تقصص رؤياك على إخوتك) وقال (لا تدخلوا من باب واحد) وقال (فامشوا في مناكبها) وهذا لان الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبداة يريد إظهار ودائعه فلا وجه لتعطيل ما اودع اعتمادا على ما جاد به لكن يجب استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده وقد جبل الله تعالى الطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها

الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للآدمي عقلا يقوده إلى حمل الاسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ، ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمه كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضاً ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن يكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى لانه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة فمنعه عطا في المعنى وكم زين للعجزة عجزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً ومن وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للري والدواء للمرض فاذا ترك الانسان ذلك إهوانا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فاذا لم تتناوله كان اهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لاهوانك للسبب ، وما هذا إلا بمثابة من بين فراحه وماء الساقية رفيه فتجناه فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فانه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلا

قال المصنف رحمه الله فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لا تحترز مع الاوامر من المقدر فالذي قدر هو الذي أمر وقد قال تعالى (وخذوا حذركم) أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا أبو صفوان نا أبو بكر القرشي ني سريج بن يونس نا علي بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال نعم قال فالق نفسك من الجبل وقل قدر علي فقال يا لعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى

(فصل) ومن معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم في ترك الاسباب أنه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافي الكسب أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت ابا الحسن بن مقسم يقول سمعت محمد ابن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ ، إنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل ، سقط عن درجة الكمال التي هي حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش في الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين قال إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء

قال المصنف رحمه الله قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل ، وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين ، فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وإدريس خياطاً وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً ، وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ «كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط» فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين ، وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خرازين[1] وكذلك أبو حنيفة وكان سعد ابن أبي وقاص يبري النبل وكان عثمان بن طلحة خياطاً وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حيويه نا أبو الحسين ابن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا معن بن إبراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا

(١) أي يعملون الخز وهي ثياب تنسج من صوف وإبريسم

عطاء بن السائب قال لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا أين تريد ، فقال السوق قالا ماذا تصنع وقد وليت أمور المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي قال ابن سعد وأخبرنا أحمد بن عبدالله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال زيدوني فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة

قال المصنف رحمه الله قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الطالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجديا ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له وإما الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا يخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشرا

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن الجبار نا أبو طالب العشاري نا ابن عبد الرحمن المخلص نا عبد الله بن عبد الرحمن السكري ثنا أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم أدهم قال كان سعيد ابن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه ألحف في السؤال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل

قال المصنف رحمه الله قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا محمد بن علي بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبد الله ابن عبد الرحمن السكري نا أبو بكر بن عبيد القرشي نا عبيد بن الجعد نا المسعودي عن عون التيمي

قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا معشر الفقراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وأبو الخير العروبي قالوا نا أبو عمر بن حياه نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المدائنى عن بن عاصم قال بلغنى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عينى

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان ابن أحمد الدقاق نا حنبل بن أبو عبد الله نا معاذ بن هشام بن أبى عن قتادة عن سعيد ابن المسيب قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى بحر الشام منهم طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا أحمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم الختلى سألت أحمد بن حنبل وقلت ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ جعل الله رزقى تحت ظل رمحى ، وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدوا خماصاً فذكر انها تغدو فى طلب الرزق ، قال تعالى (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) وقال (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخلهم ولنا القدوة بهم وقد ذكرنا فيما مضى عن أحمد ان رجلا قال له أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج فى غير القافلة قال لا قال فعلى جراب الناس توكلت

أخبرنا ابن ناصر نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجى نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا أبو بكر المروزى قال قلت لأبى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل فقال هذا قول ردىء أليس قد قال الله تعالى (وإذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال إذا قال لا أعمل

وحيء إليه بشيء قد عمل واكتسب لأى شيء نقله من غيره قال الخلال وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال سألت أبى عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب وهذا قول إنسان أحمق

قال الخلال وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح أنه سأل أباه يعني أحمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل قال وسئل أبي وانا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لأبي عبد الله أن ابن عيينة كان يقول مبتدعة فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال لو خرج فاحترف كان أحب إلي فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه إلى غير هذا قلت إلى أي شيء يخرجه قال يخرجه إن أن يكون يتوقع أن يرسل إليه قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله أحمد بن حنبل إني في كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك وقال أحمد بن حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول ما أحسن الاستغناء عن الناس وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعي قال سمعت أبا بكر بن حماد يقول الجصاصي قال سمعت احمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إلي درهم من تجارة واكرهها عندي الذي من صلة الاخوان

قال المصنف رحمه الله قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلتقط وحذيفة المرعشي يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل السبب لا يقدح في التوكل لأن باسطي رتبة ترقى على رتبة الانبياء بعض في الدين ولما قيل لموسى عليه السلام (ان

الملا يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج إلى غصة نفسه أجر نفسه ثمان سنين وقال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة استعمال نعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم اطلب ما عنده وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له لو بعت عقارك قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما تفعل هذه الخرافات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فتحن عليهم المكتسبون فضموا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنىء النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لاسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا فيقول الناس عليه

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن الكسب بتعللات قبيحة منها أنهم قالوا لابد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فان الانسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتى أن أغير ما قضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار قلنا له هذا يرد الاوامر كلها ولو صح لاحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ما قضى على ومعلوم إنا مطالبون بالامر لا بالقدر ومنها أنهم يقولون أين الحلال حتى يطلب وهذا قول جاهل لان الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع فى تناوله وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم نا على ابن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شئ حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الما فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الارض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها بالثالثة إذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا

يقول أنت لم تصب رزقاً فى شىء إلا أن تعمد إلى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم

قال المصنف رحمه الله قلت وهذه القصة إن صحت فان فى الروايين بعض من تهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد إلى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما نقيم قوى الأبدان لانه لا يقيمها إلا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر إلى الجهل ما يصنع وإلى ابليس كيف يفعل أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً تكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلى أنت صاد بالشبكة ولم تصد شيئاً إلا وتطعمه لغالك فلم تصد وتبع ذلك الناس فقال اخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض

قال المصنف رحمه الله قلت إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لان الله تعالى أباح الكسب وندب إليه فاذا قال قائل ربما حبزت خبزاً فأكله عاص كان حدثاً فارغا لأنه لايجوز لنا إذاً أن نبيع الخبز لليهود والنصارى

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التداوى ﴾

قال المصنف رحمه الله لايختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبينا مما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب والمقصود هنا انا نقول إذا ثبت أن التداوى مباح بالاجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لان

الإجماع على أنه لا حرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوي ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر قال ابن جرير الطبري وفي هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع وفي إطلاق النبي ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم وإن ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل الله له دواء إلا الموت وجعل أسبابا لدفع الأدواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع وقد كان قادراً أن يحيي خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوي حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادي

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية ﴾
في ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطئوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم وقال فإن لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار في الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية

قال المصنف رحمه الله قلت انظر إلى هذه التربيسات والعجبُ كيف يصدر من فهمه عالم ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا وقد يسلم الانسان في مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا غشي ثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن في الدماغ ثلاث قوى قوة تكون بها التخيل وقوة تكون بها الفكرة وقوة تكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع الفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حصره جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الحلي يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمي قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طيني باب البيت والقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً فاذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا تهيأ لصلاة وبقي على طهر واحد إلى آخر الشهر

قال المصنف رحمه الله هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقا الآدمي شهراً لا يحدث نوم ولا بول ولا غائط ولا ريح والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا في التلبيس بقية قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقي نا الحاكم أبي عبد الله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوسنجي الصوفي غير مرة عاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول ان كانت البركة في الجماعة فان السلامة في العزلة

(فصل) وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك نا عبد الله بن أحمد قال ني أبي ثنا أبو المغيرة نا معان بن رفاعة ني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء

ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب
ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال لو أني أتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني
من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا قال فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إني
لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد
بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير
من صلاته ستين سنة

﴿ ذكر تلبيس إبليس في الصوفية ﴾
في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك
صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً وقد كانوا يجتهدون في ستر ما يظهر منهم من
ذلك وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبساط
بين العوام فإن ذلك يؤذيهم فقد روي عن علي رضي الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا
عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام
تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يلقاهم بالصمت والأدب وإنما
المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ
للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فتهيأ للدعا كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا
عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه وقد كان في الخائفين
من حمله الخوف على شدة الذل والحيا فلم يرفع رأسه إلى السما وليس هذا بفضيلة
لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يرفع رأسه إلى السما وفي هذا الحديث دليل على
استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا إلى
السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وفي هذا
رد على المتصوفة فإن أحدهم بقي سنين لا ينظر إلى السما وقد ضم هؤلاء إلى ادعائهم

الزمر إلى التشبه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا اللاعب بالجهلة فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار نا البخارى ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل نا الوليد بن جميع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد أحد منهم على شئ من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبى نا احمد بن مروان نا ابراهيم الحربى ثنا محمد بن الحارث عن المدائنى عن محمد بن عبد الله القرشى عن أبيه قال نظر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن أحمد الملطى نا أحمد بن محمد بن يوسف نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى نا يعقوب بن إسماعيل قال قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسن أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن مالك نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا أبى نا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم ابن كليب الجرمى قال لى أبى عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعاً فحدثنا وا ال أبو بكر عنه شيئاً فقال أبى مالك اذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط أما والله ان عمر اذا مشى اشتد الوطء على الأرض جهورى الصوت

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حيويه نا أبو الحسن بن

معروف ىسا الحسں ں الفهم ثنا محمد ں سعد رفعه إلى سليمان ں أبى حيثمة عں أبيه قال قالت الشفا ىت عبد الله ورأت فتاناً ىقصرون فى المشى ويتكلمون رويداً فقالت ما هـــذا قالوا نساك قالت كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذ مشى أسرع وإذا صرب أوجع وهو الناسك حقاً

قال المصنف رحمه الله قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع وقد ذكرنا عں أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له ورآه يصلى ما أجرأك تصلى والناس يرونك قال حدثنا محمد ں ناصر نا عبد القادر ں يوسف نا اں المذهب نا القطيعى نا عبد الله ں أحمد نا أبو عبد الله يعنى السلمى نا بقية عں محمد ں زياد قال مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ں ثابت نا الجوهرى ثنا محمد ں العباس ثنا محمد ں القاسم الانبارى نا الحارث ں محمد نا يحيى ں أيوب نا شعيب ں حرب نا الحسں ں عمار قال رجل فى مجلس الحسں ں عمارة آه قال فجعل ينصره ويقول من هذا حتى ظننا انه لو عرفه أمر به أخبرنا إسماعيل ں أحمد المقرى نا أحمد ں أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد ں جعفر نا عبد الله اں محمد ں يعقوب نا ابو حاتم نا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول

ودع الذين اذا اتوك تنسكوا وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمں ں محمد القزاز نا أحمد ں على ں ثابت نا ابو عمر الحسں اں عثمان الواعظ نا جعفر ں محمد الواسطى نا الحسں ں عبد الله الابزارى قال سمعت ابراهيم ں سعد يقول كنت واقفا على راس المأمون فقال لى يا ابراهيم قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا تصعد إلى الله والله مبتغاها قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكا ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبد الرحمں ں اسحاق ، وتقشف اں سماعة وصلاة جعفويه بالليل ، وصلاة عباس الضحى ، وصيام اں السدى الاثنين والخميس ، وحديث أبى رجاء ، وقصص الحاجى ، وصدقة جعفرويه وكتاب الشامى لعلى ں قريش

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح ﴾

قال المصنف النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة موكدة عند جمهور الفقهاء ومذهب أبي حنيفة وأحمد ابن حنبل انه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا » وقال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » أخبرنا محمد بن ابي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطالسي نا إبراهيم ابن سعد عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختصينا قال ابن سعد وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك « أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانه عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس رضي الله عنه « إن خير هذه الامة كان أكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا أحمد ابن عبدالله بن يونس نا مندل عن أبي رجا الجزري عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس زوجوني فان رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزباً وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن أبي نا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر قال دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي ﷺ « يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال انت إذاً من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم ان سنتنا النكاح شراركم عزابكم واراذل موتاكم عزابكم أبالشياطين تمرسون ما للشياطين ... الا صالحين من النساء » أخبرنا ابن الحصين نا

ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتي يقلن ذلك » أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أحمد بن جعفر الختلي ثنا أحمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبب إلي النساء قلت فإن إبراهيم ابن أدهم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بي وقال وقعنا في بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال لبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا أني يلحق المتعبد المتعزب المتزوج

(فصل) وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم تكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » ثم قال « أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير » ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ إنه

قال «دينار أنفقه فى سبيل الله ودينار أنفقه فى رقبة ودينار أنفقه فى الصدقة ودينار أنفقه على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقه على عيالك» ، ومنهم من قال النكاح يوجب الميل إلى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى أنه قال إذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت بين شعبتى رحلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول «تناكحوا تناسلوا» . فما أرى هذه الأوضاع إلا على خلاف الشرع فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى إذا لم يكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى

قال المصنف رحمه الله وإنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد من على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك» ، وما كان بالذى يدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله هذه كلها جهالات بالعلم

(فصل) واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع الأول المرض بحبس الماء فان المنى إذا طال احتباسه تصاعد إلى الدماغ منه بخار قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت

عليهم الكآبه بلا سبب وعرضت لهم أعراض المالنحوليا وقلت شهواتهم وهممهم قال ورأيت رجلا ترك الجماع فقعد شهوه الطعام وصار إن أكل القليل لم يستمره ويتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه الأعراض سريعاً النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم جلقا كثيراً صاروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جعوا فلا مسوا النسا ولا نسوا من الدنيا أصناف مافروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر النوع الثالث الانحراف إلى صحبة الصبيان فان قوما منهم آيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبه المرد

(فصل) وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا نسكح شهوه فان أرادوا أن الأغلب فى طلب النكاح إراده السنة جاز وان زعموا أنه لا شهوه لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر

(فصل) وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غايه الحماقه لأن الله تعالى شرف الذكر على الانثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هـــذا ثم قطعهم الآله لا يزيل شهوه النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم

﴿ذكر تلبيس ابليس على الصوفيه فى ترك طلب الأولاد﴾

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله نا إسحاق بن احمد نا إبراهيم بن يوسف نا احمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وإن اراد أن يتعبد شغله

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا غلط عظيم وبيانه أنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا اتصال دوامها إلى أن ينتهى أجلها وكان الآدمى غير مخلد البقاء فيها إلا أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحث على سبب ذلك تارة بحسب الطبع بإيقاد نار الشهوه وتارة من باب الشرع بقوله تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول ﷺ تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامه

ولو بالسعط ، وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) ، (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) إلى غير ذلك من الآيات وبسبب الصالحون إلى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة وقد جاءت الأخبار بإثابة المباضعة والانفاق على الاولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً حسناً ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا ابن جهضم نا الخلدي قال سمعت الجنيد يقول الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام

قال المصنف رحمه الله وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لا يباح شيء ثم يكون ما يحدث منه عقوبة ولا يندب إلى شيء إلا وحاصله مثوبة

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الاسفار والسياحة ﴾

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعي بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ واما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعي في الارض في غير أرب حاجة أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكي نا ابن حيويه نا عبد الله ابن عبد الرحمن السكري قال سمعت أبا محمد بن قتيبة يقول نبي محمد بن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الاسلام » قال ابن قتيبة الزمام في الانف والخزام حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي المنخرين وأراد ﷺ ما كان عباد بني إسرائيل يفعلونه من خزم التراقي وزم الانوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الارض وروى ابو داود في سننه من حديث ابي امامة أن رجلا قال يا رسول الله إيذن لي في السياحة فقال النبي ﷺ « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله »

قال المصنف رحمه الله وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون أنه قال يارسول الله إن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض فقال النبي ﷺ له «مهلا ياعثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة». وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانيء عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب إليك أو المقيم في الأمصار قال ما السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين

(فصل) وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحـــده فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب». أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الفلاة وحده».

(فصل) وقد يمشون بالليل أيضا على الوحدة وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً قال عبد الله وحدثني أبي ثنا محمد ابن إسحق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث في خلقه ما شاء».

قال المصنف رحمه الله وذم من حمل دابة السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» فمن حمل دابة السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب البدن وكلاهما مقصود فاسد أنبأنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ثنا ... سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد

بعت محرماً فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس على وتغرب كلما أحللت أحرمت

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أولئك ومدح هؤلا لهؤلاء فسدت الاحوال وخفيت على العوام طرق الصواب والأخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينورى نا طاهر بن عبد الله نا الفضل بن الفضل الكندى نبى أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى نا محمد بن النساج عن على بن سهل المصرى قال أخبرنى فتح الموصلى قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت يا عجبا بادية بيدا وأرض قفرا ، وغلام صغير ، فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يا بنى إنك غلام صغير لم يجر عليك الاحكام قال يا عم قد مات من كان أصغر سنا منى فقلت وسع خطاك فان الطريق بعيد حتى تلحق المنزل فقال يا عم على المشى وعلى الله البلاغ ، أما قرأت قول تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، فقلت له مالى لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة فقال يا [illegible] زادى نفسى وراحلتى رجلاى قلت [illegible] سألتك عن الخبز والماء قال يا عم أخبرنى لو [illegible] إخوانك أو صديقاً من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاما فتأكله فى منزله فقلت [illegible] فقال الله عنى بابطال فو [illegible]

قال فتح فما رأيت صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه

قال المصنف رحمه الله [illegible] الحكاية تفسد الامور وتطلى [illegible] هو الصواب ويقول الحكيم إذا كان [illegible] مثل هذا فأنا أحق بفعله [illegible]

العجب من [illegible] لم يعرفه أن هذا الذى يفعله منكر [illegible] استدعاك أمرك بالتزود [illegible] ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم [illegible] الصحاب أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد ابن على الخائط نا أبو نعيم

الأصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على النعطى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى فقال هذا فعل رجال الحق فان ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول قال رجل لأبى عبد الله بن الجلاء ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد قال هذا من فعل رجال الله ، قال فان مات قال الدية على القاتل

قال المصنف رحمه الله قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الاسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فان الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله «وتزودوا» أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت ابا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله

قال المصنف رحمه الله قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابو سعد بن أبى صادق نا ابو عبد الله ابن باكويه واللفظ له ثنا ابو الفضل بن على الناجى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفى قال انى لأستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيى زاداً تزودته

قال المصنف رحمه الله قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود

لما خرج الى الغار قد خرج من التوكل وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا وأهل الكهف حين خرجوا فانهم صحبوا دراهم واستصحبوا ما معهم وإنما حمل على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الانسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام أسبوعا ونحوه والثاني أن يمكنه القوت بالحشيش ولا يخلو باديته من أن يلقاه آدمي بعد أسبوع أو ينتهي الى حلة أو حشيش يزجي به وقته

قال المصنف رحمه الله قلت أقبح ما في هذا القول أنه صدر من فقيه فانه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويعرض بمن لا يصحبه فيموت جوعاً وقد يموت ولا يلقاه أحد ثم قد ذكرنا ما جاء في الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش وأي فضله في هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس وأين أمر الانسان أن يفوت نفسه من فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يجربون على الله سبحانه هل يرزقهم بلا زاد ومن طلب الطعام في البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة الا ترى أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله الى موسى (أن اهبطوا مصرا) وذلك لان الذي طلبوه في الامصار وهؤلاء القوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل والعمل بما فيه فوات النفس

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الازجي نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الساجي نا ابو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا الحسن [illegible] نا ابو بكر [illegible] نا سفيان نا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس [illegible] كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون [illegible] فانزل الله عز وجل وتزودوا فان خير الزاد [illegible]

نا أبو طاهر [illegible] حسان نا ابو بكر أحمد بن [illegible] المروذي نا عبد الله [illegible] نا اسباط [illegible] الجرجاني قال سألت محمد بن كثير الصنعاني [illegible] ولا يتزودون ولا يلبسون الجماعة

فقال سألنى عن أولاد الشاطين ولم يسألنى عن الزهاد فقلت له فأى شيء الزهد قال التمسك بالسنة والتشبه بأصحاب النبي ﷺ أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الازجي نا ابراهيم ابن محمد الساجي نا أبو بكر عبد العزيز ابن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان أن أبا عبد الله أحمد ابن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكارا شديدا وقال أف أف لا لا ومد فاصوبه إلا بزاد رفقة فأقله قال الخلال وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل إلى أبي عبد الله فقال رجل يريد سفراً أيما أحب إليك يحمل معه زاداً أو يتوكل فقال له أبو عبد الله يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يستشرف للناس قال الخلال وأخبرنى إبراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبنى فمن أين يأكل قال متوكل فيعطيه الناس قال فإذا لم يعطوه أليس يستشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا لم يبلغنى أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين فعل هذا قال الخلال وأخبرنا محمد بن علي السمسار أن محمد بن موسى بن مشيش حدثهم أن أبا عبد الله سأل رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا اعمل واحترف واخرج النبي صلى الله عليه وسلم يزود أصحابه(١) فقال فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ قال نعم هم على الخطأ قال الخلال وأخبرنى محمد بن أحمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين الرازى قال شهدت أحمد ابن حنبل جاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أبا عبد الله معى درهم أحج بهذا الدرهم فقال له احمد اذهب الى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى تصير بين يديك مائة درهم تحج قال يا أبا عبد الله اما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد ان يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك وإلا فأنت متوكل على جراب الناس

---

(١) قوله واخرج النبي الخ هذه الجملة غير موجوده فى بعض النسخ ولعلها حشو

﴿ ذكر ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم ﴾
(من الأفعال المخالفة للشرع)

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول سافرت سفرة على التوكل فبينا أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينا أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة ، فقال الآخر فما نصنع قال نطمها فبدرت نفسى أن أقول أنا فيها فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به فقال لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شيء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شيء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الارض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الاردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن الحسن المخرمى سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت إلى من هو أقرب اليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فاذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فاذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن

محمد بن عبد الله النيسابوري يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبيه حمزة الصوفي الدمشقي انه لما خرج من البئر أنشد يقول،

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى ... فأغنيتني بالقرب منك عن الكشف

رأيت لي بالغيب حتى كأنني ... تبشرني بالغيب إنك في الكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... وتؤنسني بالعطف منك وباللطف

وتحيي محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله قلت اختلفوا في أبي حمزة هذا الواقع في البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمي هو أبو حمزة الخراساني وكان من أقران الجنيد وقد ذكرنا في رواية أخرى أنه دمشقي وقال أبو نعيم الحافظ هو ابو حمزة البغدادي واسمه محمد بن ابراهيم وذكره الخطيب في تاريخه ذكر له هذه الحكاية، وأيهم كان فهو مخطئ في فعله مخالف للشرع بسكوته معين بنفسه على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله وقوله لا أستغيث كقول القائل لا آكل الطعام ولا اشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة في وضع الدنيا فإن الله تعالى وضع الاشياء على حكمة فوضع للآدمي يداً يدافع بها ولساناً ينطق به وعقلاً يهديه الى دفع الضار واجتلاب المصالح وجعل الأغذية والأدوية لمصالح الآدميين فمن اعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد رفض امر الشرع وعطل حكمة الصانع فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا تحترز مع أمر القدر وقد قال الله تعالى خذوا حذركم، وقد اختفى النبي ﷺ في الغار وقال لسراقة « اخف عنا واستأجر دليلا إلى المدينة » ولم يقل أخرج على التوكل وما زال يدبر مع الاسباب ويعلمه بين المسبب وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم وقول ابي حمزة وردت من باطن هذا من حديث النفس الجاهلة التي قد استعمر عندها بالجهل ان التوكل ترك التمسك بالاسباب لأن الشرع لا يطلب من الانسان ما جاء عمه وهلا باعره باطنه في دفعه بتعلمه بذلك المدلي اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذي هو التوكل لأنه أي فرق بين ورله اا في البر وبين تمسكه بما دلاه به لا بل هذا آكد لان الفعل

آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب فإن قال هذا بعثه الله لى قلنا والذى جاء على البئر من بعثه واللسان المسعث من حلقه فإنه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التى خلقها الله تعالى ليسمع بها للدفع عنه فلم يستعملها وإنما سكوته عطل الأسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصح لومه على ترك السبب وأما تخلصه بالأسد فإن صح هذا فقد يقع مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبى الحسن قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم المكى يقول ثنا الخلدى قال قال الجنيد قال لى محمد السمين كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين فيد والصحراء التى بقربها منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع يناهشون لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق فقالت لى نفسى تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت معهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروع معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فإذا الروع معى فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فوضعت جنبى فنمت مضطجعا فغشانى النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع فى المكان الذى كانوا عليه فمضى لى وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شئ وإذا الذى كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت

قال المصنف رحمه الله قلت فهذا الرجل قد خالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو حية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال « إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه » وقال ﷺ « فر من المجذوم فرارك من الأسد » ومرجعا ه الصلاه والسلام يحافظ ما يل فأسرع هذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا يتزعج رغدا فى ماسلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبرا فإن صح ما ذكره فهو بعد الصحة

لأن طباع الآدميين تتساوى فمن قال لا أخاف السبع نطعى كذباه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر إلى المستحسن وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاما للهلاك لظنه ان هذا هو التوكل وهذا خطأ لأنه لوكان هذا هو التوكل ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الحمل والسبع إذا شبع لا يفترس ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيه السباع الزبية فهشه فمات ثم لا ننكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامي الذي إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول وعلى لبسه ﷺ الدرع في غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال » وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذي الحيات وهيهات ان يعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن أحمد الحيري نا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مومل المغازلي يقول كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينا نحن في برية نسير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أباد فأمر فضبطني وقال يا مومل التوكل ههنا ليس في المسجد الجامع

قال المصنف رحمه الله قلت لا أشك في أن التوكل يظهر أثره في المتوكل عند الشدائد وليس من شروطه الاستسلام للسبع فانه لا يجوز

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأزجي نا ابن جهضم نا ابراهيم بن أحمد بن العطار قال له الخواص حدثني بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازي مالنا لا نراك مع أبي طالب الجرجاني قال خرجنا في سياحة فنمنا في موضع فيه سباع فلما نظر إلى رآني لم أنم طردني وقال لا تصاحبني بعد هذا اليوم

قال المصنف رحمه الله لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه ولا تطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الازجي ثنا بن جهضم قال سمعت الخلدي يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول سمعت حسنا أخا سنان يقول كنت أسلك طريق مكة فدخل في رجلي الشوكة فمنعني ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلي فأدلك رجلي على الارض وأمشي

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول حج الدينوري ابني عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله في الارض ويمشي ولا يطاطي من صحة توكله

قال المصنف رحمه الله قلت انظروا إلى ما صنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الانسان تلك البادية حافياً لانه يؤذي نفسه غاية الاذى ولا مكشوف الرأس وأي قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس في مدة الاحرام لم يكن لكشفه معنى فمن ذا الذي أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأي طاعة تقع بهذا ولو أن رجله استحكم مما بقي فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالارض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقي بالاخراج وأين التوكل من هذه الافعال المخالفة للعقل والشرع لانهما ينصان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر في إحرامه أن يخرق حرمة الاحرام ويلبس ويغطي رأسه ويفدي ولقد سمعت أبا عبيد يقول إني لا بتئس عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشي في الظل

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد العزيز بن أبي الحسن القرمسيني قال سمعت علي بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقي يقول حدثني أبو بكر الدقاق قال خرجت في وسط السنة إلى مكة وأنا بعدت السن في وعلى نصف حل وعلى كتفي نصف حل فرمدت عيني في الطريق فكنت أمسح دموعي بالحل فأقرح الحل

الموصع فكان يخرج الدم مع الدموع من شده الاراده وقوه سروري بحالي لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني في تلك الحجه وكانت الشمس إذا أثرت في بدني قلت بدي ووضعتها على عيني سرورا مني بالبلاء أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول كان سبب ذهاب بصري أني خرجت في وسط السنه أريد مكة وفي وسطي نصف حبل وعلى وسطي نصف حبل فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالحبل فخرج المكان وكانت الدموع والدم يسيلان من عيني أخبرنا أبو محمد التميمي أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قلت لأبي بكر الدقاق وكان يفرد عن ما سبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسي أن آكل لأهل المنازل شيئا تورعا فسالت إحدى عيني على خدي من الجوع

قال المصنف رحمه الله إذا سمع مبتدىء حاله هذا الرجل ظن أن هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفره التي أشرنا إليها فنا من المعاصي والمخالفات منها خروجه في نصف السنه على الوحده ونفسه بلا زاد ولا راحله، ولباسه الحبل ومسح عينه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهي وكف عنه، فلو أن إنسانا قال أريد ان أضرب نفسي بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك إلى الله كان عاصيا وسرور هذا الرجل بهذا خطأ فبح إنما يفرح بالبلا إذا كان بغير تسبب منه لنفسه، فلو أن إنسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان بهايه في الحماقه ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على البدن في شده المجاعه حتى سالت عينه ثم تسمى هذا تورعا حماقات زهاد أكثرها الجهل الصادر عن العلم وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا سليمان، ثنا محمد بن العباس بن أيوب الاصبهاني نا عبد الرحمن بن يونس الرقي نا مطرف بن مازن عن سفيان الثوري قال من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار

قال المصنف رحمه الله فانظر إلى كلام الفقها ما أحسنه ووجهه إن الله تعالى قد جعل للجائع ملكة التسبب فاذا عدم الاسباب الظاهره فله قدره السؤال التي هي كسب

مثله فى تلك الحال فاذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ثنا حمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبو على الروذبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق قال استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت إليها فقلعت عينى التى نظرت بها إليها وقلت مثلك من نظر لله

قال المصنف رحمه الله قلت فانظروا إلى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه إن كان نظر إليها عن غير تعمد فلا اثم عليه وإن تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم فضم إليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يدر عنها لانه اعتقد قلعها قربة إلى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطوه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل أنه نظر إلى امرأة فقلع عينه وذلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم فأما شريعتنا فقد حرمت هذا ، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا أنبأنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى ابو الحسن على بن أحمد البصرى غلام شعوانه قال أخبرتنى شعوانه أنه كان فى جوارها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم إلى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها فقالت له المرأة أى شيء تريد منى ، قال قد فتنت بك ، فقالت ما الذى استحسنت منى ، قال عيناك فدخلت إلى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها إليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك

قال المصنف رحمه الله فانظروا اخوانى كيف تلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت أنها قامت بطاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره أنه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها فأتت لى وهذا لا يحل له وقد أنكرت عليه امرأة مسقطة فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطرخى نا محمد بن على ابن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمود الامى نا ابو عبد محمد بن أحمد بن يوسف بن

سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول رأيت امرأة بنحو أرض البهجة فنادتها ، فقالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشيء.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز الأزجى ثنا على ابن عبد الله الهمدانى ثنى على بن إسماعيل الطلا نبى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فقمت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهى وغشى على وغلب على من الضعف شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك إذ مر بى ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار ، فمر بى ركب آخر فحملونى إلى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصب اللبن فى حلقى فصحت عينى قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين ، قالوا حل السراة فحملونى إلى السراة

قال المصنف رحمه الله قلت ويحكى أن رجلا من الجهال أخذ من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا وإلا فانظروا إلى حال هذا المسكين وما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الزنجانى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول رأيت شيخاً من أهل المعرفة خرج بعد سبعة عشر يوما على سبب فى البرية شهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر إلى هذا الحد وإن أطيق بفضيلة أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول دخل إبراهيم الهروى مع ستة(١) البرية فقال يا بنيه اطرح ما معك من العلائق قال فطرحتها كلها وأمسكت ديناراً فخطا خطوات ثم قال اطرح كل ما معك لا تشغل سرى قال فأخرجت الدينار ورميت به فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح ما معك قلت

(١) فى نسخة مع ستة

لس معي شيء قال بعدُ سرى مشعل ثم ذكرت أن معي دسجة شسوع فقلت لس معي إلا هذه قال فأحذها فطرحها ثم قال امسى فمشنا فما احتجت إلى شسع في البادية إلا وجدته مطروحا بين يدي فقال لي كذا من عامل الله بالصدق

قال المصنف رحمه الله قلت كل هذه الافعال خطأ ورمي المال حرام والعجب ممن يرمي ما يملكه ويأخذ ما لا يدري من أين هو وهل يحل أخذه أم لا

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول سمعت علي بن محمد المصري قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولي ثم فكرت في نفسي أني سكنت وأني توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا ان حملت إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة إن لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى المرحلة

قال المصنف رحمه الله قلت لقد تطبع هذا الرجل على طبعه فأراد منه ما لم يوضع عليه لان طبع ابن آدم أن يهش الى ما يحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن ولما خرج من مكة تلفت إليها شوقا وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة اذا أخرجونا من مكة ويقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح وأي شيء في هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل

أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز ابن علي بن أحمد ثنا أبو الحسن علي بن جهضم ثنا بكر بن محمد قال كنت عند أبي الخير التيناتي فبسطني بمحادثته لي فذكر بادئه إلى أن سألته عن سبب قطع يده فقال يد جنت فقطعت ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك فقال سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها اثني عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت اجيء إليه من ليل إلى ليل وافطر على

ما ينقصه المرابطون وإذا جمع الكلاب على قمامة السمر وآكل من الردى فى الشتاء فنوديت فى سرى يا أبا الخير تزعم انك لا تشارك الخلق فى أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس فقلت إلهى وسيدى وعزتك لا مددت يدى إلى شىء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً اصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوما أصلى الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوما أصلى جالسا لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقا وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لاجهدن ان لا حللت عقداً عقدته معك فاذا بين يدى قرصان بينهما شىء فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصا يذكر قصة زكريا والمنشار وإن الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال إن صعدت إلى منك أنة لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين فقلت لقد كان زكريا صابراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لاصبرن وسرت حتى دخلت انطاكية فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطىء البحر فأغرز الحربة على الساحل واسند الترس اليها محرابا وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فاذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فلبثت فيها ما شاء الله أجمع فبدوت فى بعض الايام [illegible] شجرة [illegible] ثمرها واستحسنت عهدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى الى شىء مما [illegible] الارض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينا أنا أمضغها ذكرت العهد [illegible] وجلست ويدى على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى [illegible] [illegible] جمل ورجاله بين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق [illegible] انصرف الجمل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود [illegible] الى الامير قال اين ابت وليته

عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا . قال بلى هو رئيسكم وإنما تفدونه
بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله
حتى انتهى إلي فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسي
إلى السماء وقلت إلهي وسيدي يدي جنت ورجلي ايش عملت فإذا بفارس قد وقف
على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء
على الغبراء هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير فرمى الأمير بنفسه وأخذ يدي المقطوعة
من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول سألتك بالله أن تجعلني في
حل فقلت قد جعلتك في حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت

قال المصنف رحمه الله فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل
وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس
عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد
ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسي قال سمعت محمد
ابن داود الدينوري يقول سمعت ابن خفيف يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم
فعقد أنه لا يأكل فيها شيئا إلا حتى يصنع فيه ويوضع في فيه وإلا ما يأكل فقال لأصحابه
تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئا فلما كان في اليوم العاشر جاء إليه
إنسان فوضع بين يديه شيئا يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثا فلم يجبه فقال هذا
مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فيه فلم يفتح فيه ولم يتكلم فأخرج مفتاحا كان معه
فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة في فيه فأكل ثم قال له إن أحببت أن يبعثك الله
به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا علي بن المحسن التنوخي
عن أبيه ثني محمد بن هلال بن عبد الله ثني القاضي أحمد بن سيار قال حدثني رجل من
الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق
وضعف النفس فيها وقوته فقال الشيخ وحلف علي إن أنا عطشته لا ذقت مأكولا أو بعث
لي بجام فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف علي قال وكنا نمشي في الصحرا فقالت له
الجماعة إلا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلة لم يطعم فيها
شيئا ففارقه الجماعة غيري فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلما للموت ضعفا فأقمت

عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق مغطى فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج بجوز لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل فقال كل معي فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم ، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتي من زوجها ، قال فقال الشيخ كيف تراه إذا أراد أن يرزق

قال المصنف رحمه الله ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبح فإنه تجرب على الله وتألى عليه وحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك تأديباً لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة وكذلك حكايتا جام الحلوى فإنها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك السبب فلو عمل بمقتضى رأيه لم يمضغ الطعام ولم يناوله بيده سبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال [illegible] في هذا القبيل [illegible] ما أطول عاقبته إلا من [illegible] أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز أنا أحمد بن علي [illegible] قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري قال قال لي [illegible] وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب فقلت لأبي [illegible] وأي شيء أراد بقوله على المذهب ، فقال يصعد إلى قنطرة [illegible] ينفض كميه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبي ويسير

قال المصنف رحمه الله وهذا الفعل لا يرضاه الله [illegible] وقد روينا [illegible]

ورسول الله ﷺ قد نرد ، ولا يذكر أن يقال إن هذا الآدمي لا يحتاج إلى شيء في مدة أشهر فإن احتاج ولم يرد تعطل ، وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف بذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب نظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد ابن طاهر قال أخبرني أبي عن بعض الصوفية ، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب أنتم ما جئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم ، ثم قال وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد وتعاهدنا بيننا أن لا نلتمس إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم ، فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وتجاهنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فتركناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة

قلت انظروا إلى أي شيء قد يكون هؤلاء لا كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس ثم طلبهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب ومن عجب ما يأتي منهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادي نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال بلغني أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجة الأخيرة رأى كلباً في البادية يلهث عطشا فقال من يشتري حجة بشربة ماء ، قال فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لي من حجة لأن النبي ﷺ قال « في كل ذات كبد حراء أجر » أخبرنا عبد الأول ابن عيسى نا ابن أبي المظفر نا أبو محمد الحسن بن زيد الخسروجردي نا أبو نصر عبد الله ابن علي الطوسي ... أبو السراج قال سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول كان في البادية ... وربما كان يخرجنا الفاقة ولم علينا الطريق وكان أبو الحسين ... بلا ... صباح الذئب حتى نسمع كلاب الحي

فيسحون فيمر على سوءهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليسره العاقل في مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره وترى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعري كيف تصنع من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وإن يخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحاق لم تحمل هذا وأنت تمنع من كل شيء ، فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يخرق ثوبه وإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه الله قلت من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضأة فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخروهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الاسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهي بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبتدعين أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ني أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه في الصحيحين ومن مذهب القوم تعمير القادم من السفر مسنا أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه قال باب السنة في تعميرهم القادم من السفر أول ليلة لصحبه واحتج بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت ما شأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتني

قال المصنف رحمه الله أنظروا إحراق إلى فقه هذا المخسح فانه كان ينبغي أن يقول بأن السنة في تعمير ... به ناقة، وسكون السنة تعمير الطهر لا القدم ومن أين له أنه كان ... عمر أن ليلة ثم يخلل ... النبي صلى الله عليه وسلم كما انفق ... ألم طهر ... راح ... الفقه الدقيق ... ذكره ومن مذهبهم ... أعادهم ... (١) للعادم وأخرج حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سافر سفراً فنذرت جارية من قريش أن الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف فلما رجع فقال عليه السلام إن كنت نذرت فاضربي

قال المصنف رحمه قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفي فكيف يحتج بهذا على الغنا والرقص عند قدوم المسافر

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت ﴾

له في ذلك تلبيسان الاول انهم يقولون لا نبكي على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق اهل المعارف قال ابن عقيل وهذه دعوى ترد على الشرع فهي حدث جراءة وخرج عن الآداب والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل فينبغي أن يطالب لما نال الالاح بالادوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقال (يا أسفى على يوسف) وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت ولده وقال «إن العين لتدمع» وقال «واكرباه» وقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أباه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضي الله عنه لو كنت أقول الشعر فأندب أخي زيداً فقال متمم لو مات أخي كما مات أخوك ما رثيته وكان مالك مات على الكفر وزيد قد ... ما عزاني أحد بن أخي كمثل ... ثم لا يزال الامثل المائلة الاكباد يحن الى مآلفها

(١) ... الدفجة ... وكانت الجاهلية تدع ثلاث ... ام ... فنهى الشرع عن ذلك ... بالمشركين أيضا

من الأعطان والأشخاص ورعوا للفصلان وحمام الطير ترجع وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يضرع ومن لم يحركه السماع والمطربات ورجعة الحرمات فهو إلى الجماد به أقرب وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذي قال لم أقبل أحداً من ولدي — وكان له عشرة من الولد — فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وحمل بلغت إلى مكة لما خرج فالطالب لما يخرج عن الشرائع ويعلو عن الطباع جاهل بطالب يجهل وقد منع الشرع مما أن لا نلطم خداً ولا نشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك التلبيس الثاني أنهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل إلى ربه ، والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها إن المسنون أن يتخذ لاهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن إعداد الطعام لانفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه إلى غيرهم والاصل في اتخاذ الطعام لاهل الميت ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي نا ابو عامر الازدي وأبو بكر الغورجي قال أخبرنا الجراحي نا المحبوبي نا الترمذي نا أحمد بن منيع وعلي بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال لما جاء نعي جعفر فقال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح والثاني إنهم يفرحون للميت ويقولون وصل إلى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن أنه غفر له وما يومنا أن نفرح له وهو في المعذبين وقد قال عمر بن ذر لما مات ابنه لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن اعين ثنا الفربري نا البخاري ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري بن خارجة بن زيد الانصاري عن أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ « وما يدريك ان الله أكرمه » والثالث انهم يرقصون ويلعبون في تلك الدعوة فيخرجون بهذا الطباع السليمة التي يوثر عندها الفراق ثم إن كان منهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وإن كان معذباً فأين أثر الحزن

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب أحدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المرقعات وجلسوا على بساط البطالة أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا أبو حامد بن جبان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول أسس التصوف على الكسل وبيان ما قاله الشافعى أن مقصود النفس اما الولايات واما استجلاب الدنيا بالعلوم تطول ويتعب البــــدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل والصوفيه قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعه

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص ابن شاهين قال ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا إن علومنا بلا واسطة وإنما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد

والثانى أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسه ودنيا وإن للنفس فى ذلك لذه وكشف هــذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيله وفيــه مخاطره فان الاماره والقضا والفتوى كله مخاطره وللنفس فيه لذه ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن يطلب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الآفات فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتحصيل هذه الفضيله كما وضع حب النكاح لتحصيل الولد وبالعلم يقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله ومعناه أنه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه ، والثالث انه أوهم قوماً منهم أن المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الاعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فانه على الجاده والعابد بغير علم

على غير الطريق والرابع أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى إن أحدهم ليحادل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي وكان السلمي يقول

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن علي الطناجيري نا أبو حفص بن شاهين نا علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكري بني دارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال سمعت يحيى بن عبدالله ابن حسن عن يحيى بن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه »

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا حديث لا أصل له عن النبي ﷺ وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون أنبأنا محمد بن ناصر أنا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي نا أبو علي عبد الله بن إبراهيم النيسابوري نا أبو الحسن علي ابن عبد الله بن جهضم نا أبو الفتح أحمد بن الحسن نا علي بن جعفر عن أبي موسى قال كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكي لي عنك عجائب فقال أبو يزيد وما لم تسمع من عجائبي أكثر فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من وعن أين وممن فقال أبو يزيد علمي من عطاء الله تعالى ومن حيث قال ﷺ « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » ومن حيث قال ﷺ « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمي من الله إلهام من عنده فقال له الشيخ علمي عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل فقال له أبو يزيد يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم ولكن أريد أن يصح لي علمك الذي يقول هو من عند الله ، قال نعم أبينه لك قدر ما تستقر في قلبك معرفته ثم قال يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما كلم محمداً ﷺ ورآه كفاحا وإن حلم الأنبياء وحي قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء

بالهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الامة ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته ، وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمرى) وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما إن ابنة خارجة حامله بنت ، وألهم عمر رضى الله عنه فنادى يا سارية الجبل أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم ستنبه يقول حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون فلان لقى فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلانا فقال أبو يزيد مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت

قال المصنف رحمه الله هذا الفقه فى الحكاية الاولى من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الالهام للشئ لا ينافى العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الانسان الشئ كما قال النبى ﷺ « إن فى الامم محدثين وإن يكن فى أمتى فعمر » والمراد بالمحدث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه ، وأما الخضر فقد قيل أنه نبى ولا ينكر للانبياء الاطلاع بالوحى على العواقب وليس الالهام من العلم فى شىء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد فاما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الالهام والخواطر فليس هذا بشىء إذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع فى النفس أمن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان واعلم أن العلم الالهامى الملقى فى القلوب لا يكتفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فان العقلية كالاغذية والشرعية كالادوية ولا ينوب هذا عن هذا وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدرى ماذا ضمن هذا القول وإلا فهذا طعن على الشريعة أنبأنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين قال من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هولاء أحبوا البطالة وقد جاء أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة

العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الاهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ

قال المصنف رحمه الله قلت عزيز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فانه لا يخفى قبحه فانه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم وعلى هذا المذهب قد رأيت الفضلاء من علماء الامصار فانهم ما سلكوا هذا الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب إبليس ا ا مها الوسوسة محادثة ومناجاة ولا ينكر أنه إذا طهر القلب انصب عليه ، وار المسى فيطر نور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فان الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخلى أمور نهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شىء ينسب[1] إلى ما نهى عنه كما لا يستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه وإنما كان ينهى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب ، والرسول حجاب لبس الاعبد ورق فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أحمد بن على بن ثابت أنا أبو الحسن محمد ابن عبدالله بن محمد الحنائى نا احمد بن سلمان النجاد نا محمد بن عبد الله بن سليمان نا هشام بن يونس نا المحاربى عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى

(١) فى النسخة التاسعة تسنت قد نهى عنه الخ

بدس حلد أحدهم على عطمه وحالفوا السنه فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح

(فصل) وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق فان كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع وعن أبى الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعنى الله به فقال اكتب ، إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل قال يا أبا محمد أفدنى فائدة فقال الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كلها حجة إلا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة . وتقوم السنة على التقوى وعن سهل ابن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق وعن سهل بن عبد الله انه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فان عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً وعن أبى بكر الدقاق قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل وعن أبى بكر الدقاق انه قال كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر

قال المصنف رحمه الله وقد نبه الامام أبو الغزالى فى كتاب الاحياء فقال من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر أقرب منه إلى الايمان وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع فى النفس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتاب العلم وإلقائها فى الماء ﴾

قال المصنف رحمه الله قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم فقد روى أن أحمد بن أبى الحوارى

رمى كتبه فى البحر ، وقال نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال
ولقد طلب أحمد بن أبى الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى
البحر فغرقها وقال يا علم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولكنى كنت
أطلبك لأهتدى بك إلى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك أخبرنا أبو بكر بن حبيب
نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن علام سعوانه بالبصرة
يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبى عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ قال أحمد ابن محمد
ابن إسماعيل أبو الحسن بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وأنه كان
يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب ولقد أخبرت أنه رمى بحمله من
سماعاته القديمة فى دجلة فأول ما سمع على أبى العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير
أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقى قال سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول
سمعت أبا طاهر الحباذى يقول لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء
رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت
أبا نصر الطوسى يقول سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون ورث أبو عبدالله المقرى
عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على
الفقراء قال فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت
إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شئ أرجع إليه وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب
وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج إلى مكة والانقطاع من الأسفار
والخروج عن ملكى أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا إسماعيل
الحيرى نا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول
سمعت الشبلى يقول أعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق
فى هذه الدجلة سبعين قمطراً مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ يكذا وكذا رواية يعنى
بذلك نفسه

قال المصنف رحمه الله قد سبق القول بأن العلم نور وإن إبليس يحسن للانسان
إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل ولما خاف إبليس أن يعاود

هولاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على فائدة حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل فسح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما صعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فإن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعا بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها في العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صونا عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء وأما السنة فإن النبي ﷺ قصر الناس في بداية الاسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عني سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال ضمه إليك فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئاً مما حدثنيه رسول الله ﷺ وفي رواية أنه قال استعن على حفظك بيمينك يعني بالكتابة وروي عنه ﷺ عبد الله بن عمرو أنه قال قيدوا العلم فقلت يا رسول الله وما تقييده قال الكتابة، وروي عنه أيضاً رافع بن خديج قال قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها، قال اكتبوا ولا حرج

قال المصنف رحمه الله واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عني وقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وأداء الحديث كما سمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان وقد كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يحدث بالحديث فيقال له أمله علينا فيقول لا بل من الكتاب وقد قال علي بن المديني أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فإذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقاها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من هنا وكلمة من هنا وصححوا ما صح وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من بعد ذلك تضيع السنن ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عرف بدعة الشريعة مثل هذا، فإذا الشريعة من الشرائع فما الفساد

الى ىدىهم وإنما هـذه حصيصة لهذه الامة وقد روينا عن الامام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث أنه قال لابنه ما كتبت عن فلان ؟ فذكر له أن النبى عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى» فقال الامام أحمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب وإذا كتب عسل أخرى إذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيا بعد لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى

(فصل) قال المصنف رحمه الله ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن تكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل فان كان فيها باطل فلا لوم على دفنها وإن كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى اتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الامر عليهم فدفنوا كتبهم وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وإن كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة قيل له جوابك من ثلاثة اوجه أحدها انك لو فهمت أن الشاغل بالعلم أوفى العبادات والثانى أن الفطنة التى وقعت لك لا تدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط ، والثالث أننا نقدر تمام فطنتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدى من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك أو وقفتها على المشتغلين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها ، أما إتلافها فلا يحل بحال وقد روى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن يدفن كتبه فقال ما يعجبنى أن يدفن العلم وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قال أنبأنا احمد بن على بن ثابت نا عبد الله بن عبد العزيز البرادعى نا محمد عبد الله الشجرى نا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس قال سمعت المروزى يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله لما انقسم هولاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على نا على بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى قال سمعت جعفرا الخلدى يقول لو تركنى الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا لقد مضيت إلى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلسا واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال إيش هذا معك فأريته إياه فقال ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس

قال المصنف رحمه الله وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوما من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبوالقاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبوبكر الخطيب نا أبوالفتح بن أبى الفوارس نا الحسن بن أحمد الصفار قال كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله الغزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلى ومعى محبرة فأنشأ يقول

تسربلت للحرب ثوب الغرق وهمت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى [(١)] وعنك نطقت لدى من نطق
إذا خاطبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله فليت من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه

---

(١) فى النسخة الثانية ففيك قناع العرا

ويكرهه فالمنع منه معاذ الله ولشرعه ولكن الذاهبين عن ذلك ما فطنوا لما قالوا
أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن
خفيف يقول اشتغلوا بتعلم العلم ولا تغرنكم كلام الصوفية فإني كنت أخبئ محبرتي
في جيب مرقعتي والكاغد في حزة سراويلي [illegible]
علموا بي خاصموني وقالوا لا تفلح [illegible] أحمد
ابن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول هذه سرج الإسلام يعني وكان هو يحمل
المحبرة على كبر سنه فقال له رجل إلى متى يا أبا عبد الله فقال المحبرة إلى المقبرة
وقال في قوله عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم
من خذلهم حتى تقوم الساعة، فقال أحمد إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري
من هم وقال أيضاً إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون وقيل له إن رجلا
من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ وقال يوسف
ابن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن علي ثنا ابن جهضم
ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال رأيت كأن القيامة قد قامت
والخلق مجتمعون إذ نادى منادي الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتاني ملك
فتأملته فإذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله فقلت أين النبي ﷺ فقال مشغول
بنصب الموائد لإخوانه الصوفية فقلت وأنا من الصوفية فقال نعم ولكن
شغلك كثرة الحديث

قال المصنف رحمه الله معاذ الله أن يذكر جبريل الشاغل بالعلم وفي إسناده
هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله وأما ابن مسروق فأخبرنا القزاز
نا أبو بكر الخطيب حدثني علي بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف قال
سمعت الدارقطني يقول أبو العباس بن مسروق ليس بالقوي يأتي بالمعضلات

﴿ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم﴾

قال المصنف رحمه الله اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم انفردوا بالرياضات
على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام في العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط

الصحة منهم فتارة يتكلمون في تفسير القرآن وتارة في الحديث وتارة في الفقه وغير
ذلك ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا به والله سبحانه لا يخلي الزمان
من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين

﴿ ذكر نبذة من كلامهم في القرآن ﴾

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا
أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر بن محمد الخلدي قال حضرت
شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل (سنقرئك فلا تنسى) فقال الجنيد
لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا ما فيه) فقال له الجنيد تركوا العمل
به ، فقال لا ينقص الله فاك قلت أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له
والغلطة فيه ظاهرة لأنه فسره على أنه نهي وليس كذلك إنما هو خبر لا نهي وتقديره ـ
فلا تنسى ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله
(ودرسوا ما فيه) إنما هو من الدرس الذي هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم
تدرسون) لا من دروس الشيء الذي هو إهلاكه أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا
حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول حضرت
أبا بكر الشبلي وسئل عن قوله عز وجل (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) فقال
لمن كان الله قلبه وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي نا
ابن جهضم نا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله (فنجيناك
من الغم) قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا

قال المصنف رحمه الله وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة
للكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه وجعل محبته نقص غاية في القباحة أخبرنا
أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي الحافظ نا أبو حازم عمر بن إبراهيم العبدوي قال
سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله
عز وجل (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال الروح النظر
إلى وجه الله عز وجل والريحان الاستماع لكلامه وجنة نعيم هو أن لا يحجب
فيها عن الله عز وجل قلت هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع

أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلد من سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم انهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فان تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعده

قال المصنف رحمه الله وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل وقال فى قول الانسان (آمين) أى قاصدون نحوك

قال المصنف رحمه الله وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة وقال فى قوله (وإن يأتوكم أسارى) قال قال أبو عثمان غرقى فى الذنوب وقال الواسطى غرقى فى رؤية أفعالهم وقال الجنيد أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق قلت وإنما الآية على وجه الانكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قتلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح وقال محمد بن على (يحب التوابين) من توبتهم وقال النورى (يقبض ويبسط) أى يقبضك بإياه ويبسطك لإياه وقال فى قوله (ومن دخــــله كان آمنا) أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة (والجار ذى القربى) قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح وقال فى قوله (وهمّ بها) قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها قلت هذا خلاف لصريح القرآن وقوله (ما هذا بشرا) قال محمد بن على ما هذا بأهل أن تدعى إلى المباشرة وقال الرجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم وقال فى قوله (ولله المكر جميعا) قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا اليه بحال أو للحدث اقتران مع القدم

قال المصنف رحمه الله ومن تأمل معنى هذا علم انه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك وقال فى قوله (لعمرك) أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا قلت وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد

هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شئ بين الكفر والخطأ والهذيان وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجه ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب

وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال للصوفية استنباط فيها قوله « ادعو إلى الله على بصيرة » قال الواسطى معناه لا أرى نفسى ، وقال الشبلى لو اطلعت على الذين سواها لوليت منهم فراراً إلينا قلت هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف وهذا السراج يسمى هذه الاقوال فى كتابه مستنبطات وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل « واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام » قال إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والاصنام ، وإنما عنى بعبادته حبه والاغترار به

قال المصنف رحمه الله وهذا شيء لم ينقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » ، ومعلوم أن ميل الانبياء إلى الشرك أمر ممتنع لاجل العصمة لانه مستحيل ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الاشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجنبنى وبنى » ومعلوم ان العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الاصنام

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين قال وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى تفسير القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) فقال هم لآيات لى ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب ، وهذا تبديل للقرآن وقالوا (ولسليمان الريح) قالوا ولى سليمان

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال قال أبو حمزة الخراسانى قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال « كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم فى الايام الخالية » فشغلهم عنه بالاكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه

قال المصنف رحمه الله أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكراً، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى وعلى مقتضى قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما يعقله من معنى المكر وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازي الماكرين والخادعين وإني لا تعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا في تفسير القرآن الى ما هذا حده وقد أخبرنا علي بن عبد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الحربي نا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ثنا بشر بن الوليد نا سهيل أخو حزم نا أبو عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فقد اخطأ». اخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أبو بكر بن حمدان نا عبد الله ابن أحمد ثني أبي نا وكيع عن الثوري عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

قال المصنف رحمه الله وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إني لأقشعر من ذكرها لكني أنبه بذكرها على قبح ما يحتاله هؤلاء الجهلة أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال أخبرنا أبو عبد الله بن [illegible] قال سمعت رويما يقول اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة بطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا نتكلم في المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو وكان في القوم عمرو بن عثمان المكي فوقع عليه [illegible] لم يمكن [illegible] عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فاذا ليلة [illegible] بأحده وجاء اليهم وقال يا قوم اسكتوا فان هذا جوابكم أنظروا الى [illegible] الرسالة فاذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم يدعون حبه وأخرج النحس وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم

قال المصنف رحمه الله، قلت هذه بعيدة الصحة وابن جهضم لا يوثق به وإن

صحب فان سلطاناً أبي ذلك الرق ، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنهم الفاسدة وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر فاما أن يقال عنه مكار فوق الجهل وفوق الحماقة

وقد أخبرنا ابن طاهر نا ابن السراج نا الأرجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدي قال سمعت رويما يقول إن الله غيب اسنا في أشيا غيب مكره في علمه وغيب خداعه في لطفه وغيب عقوباته في باب كراماته قلت وهذا تخليط من ذلك الجنس وخرافة أخبرنا محمد بن ناصر أنبو الفضل السهلكي قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التقى له حافتا النهر فقال سيدي إنس هذا المكر الخفي وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر قال السهلكي وسمعت محمد بن أحمد المذكر يذكر أن أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا

قلت وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا بالعارفين فكيف يكون لغيرهم وكل هذا ممحقة من قلة العلم وسوء الفهم أخبرنا ابن سعيد نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه نا أبو الفرج الورثاني نا أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن جعفر الوراق نا أحمد بن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبدا فقيل كيف ذلك قال إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقا ما فيه شرا ولا بيع إلا الصور من الرجال والنسا فمن دخل منهم السوق لم يرجع إلى زيارة الله ابداً قال وقال أبو يزيد في الدنيا يخدعك بالسوق وفي الآخرة يخدعك بالسوق فانت أبداً عبد السوق

قال المصنف رحمه الله [illegible] وأتب [illegible] للانقطاع عن الله عز وجل [illegible] لا [illegible] في أحد من السوق ثم [illegible] أبداً [illegible] ذلك السوق ولم [illegible] إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً نعوذ بالله من [illegible]

التخليط والتحكم في العلم والأخبار من هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا نبي أو من أنبئ له علمها وكيف يكون كما قاله أبو هريرة راوي الحديث لسعيد بن المسيب جمعني الله وإياك في سوق الجنة أتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واتباعهم بوافعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط ولعل أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها خطأ ورأيت بخط [illegible] عقيل [illegible] أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا اعف عنهم

قال المصنف رحمه الله وهذا قلة علم وهو أن قوله كف عظام احتقار للآدمي فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام وقوله جرت عليهم القضايا فكذلك جرى على فرعون، وقوله اعف عنهم، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً ولو قبلت شفاعة في كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه، ومحمد ﷺ في أمه فنعوذ بالله من قلة العلم

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن فوري الخوساني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود فقال معذورين ومر بمقابر المسلمين فقال مغرورين

قال المصنف رحمه الله وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة من غير فعل كان موجوداً في الأزل وأن الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر

قال المصنف رحمه الله وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره

ومن كلامهم في الحديث وغيره أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهري نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال جاء

أبو تراب النخشبي إلى أبي فجعل أبي يقول فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبي إليه وقال له ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة أنبأنا يحيى بن علي المدير نا أحمد بن علي بن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري يقول سمعت أبا الحسن علي بن محمد البخاري يقول سمعت محمد بن الفضل العباسي يقول كنا عند عبد الرحمن ابن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة فقال له يوسف بن الحسين استحييت لك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم في الجنة منذ مائة سنة أو مائتي سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لم أصنفه قلت عفا الله عن ابن أبي حاتم فإنه لو كان فقيها لرد عليه كما رد الامام أحمد على أبي تراب ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل ثم كون القوم في الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء ثم من لا يدري الجرح والتعديل كيف هو يزكي كلامه وينبغي ليوسف أن يشتغل بالعجائب التي تحكى عنه مثل هذا

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الأردبيلي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرئ على محمد بن الحسن الاهوازي وأنا أسمع أنا بكر الذهبي الصوفي وقال سمعت الشبلي وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله فقال الشبلي استحيي أن أوجه إثباتاً بعد نفي فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه فقال أخشى أن أوخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار

قال المصنف رحمه الله أنظروا الى هذا العلم الدقيق فان رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دبر كل

صلاه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاه الليل لا إله إلا أنت وذكر الثواب العظيم لمن قال لا إله إلا الله فانظروا إلى هـــــذا المعاطى على الشريعة واحسار مالم يحتره رسول الله ﷺ

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن أبا الحسن النورى سهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه وسم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال إن الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عا ــــه الآخره ولولاها ما أذن وأما الكلب فلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فإنه قد قال (وإن من شيء الا يسبح بحمده)

قال المصنف رحمه الله انظروا اخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هـــذا الفقه الدقيق والانبساط الطريف

أخبرنا ابو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجلا قاصا على لحيته بعينه قال فقلت له نح يدك عن لحية الله فرفع ذلك إلى الخليفه فطلب وأحضر فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) فقلت لبيك لأنه ذكر الله فأما المؤذن فإنه يذكر الله وهو مقلوب بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل نح يدك عن لحيه الله فلت نعم أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخره له قلت عدم العلم أوقع هولاء فى هذا التخبط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفه الذات

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أحمد ابن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلى يقول وقد سئل عن المعرفه فقال ويحك ما عرف الله من قال الله والله لو عرفوه قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم احمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوما لرجل يسأله ما اسمك فقال آدم قال وبلك أندرى ما صنع آدم باع ربه بلقمه ثم كان يقول سبحان من عذبنى بالسوداء قال ابن باكويه وسمعت عراف بن أحمد الحلبى يقول كان للشبلى ... وأعاء أبه

يريد التوبة فقال بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك ففعل فقال أيتم
أولادك بأن توسهم من العلو إلى فقال قد فعلت، فجاء بكسر قد جففها فقال اطرحها
بين يدي الفقراء وكل معهم

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم عن أبيه قال سمعت بعض الفقراء
يقول سمعت أبا الحسن الحرماني يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول
الله من القرط

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرنا
أحمد بن الخلفاي قال رأى الشبلي في الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر فقال له يا غلام
ألا تغطي عورتك فقال له اسكت يا بطال إن كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق ،
وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل لأن الحق مشتغل بالحق ، والباطل
مشتغل بالباطل

أنبأنا أبو بكر محمد بن [illegible] طاهر نا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ثنا أبو القاسم
عبد الرحيم بن جعفر السيرافي قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعد بشر
ابن الحسن الداودي — وقد ارتفع صوفي وصوفية — قال وأمر الصوفية هناك مفرط
جداً [illegible] قال ابن عم [illegible] فما بعد [illegible] الصوفية [illegible] إلى القاضي فلما حضرا
قالت له أيها القاضي ، إن هذا زوجي يريد أن يطلقني ولا [illegible] له ذلك فإن رأيت
أن تمنعه قال فأخذ القاضي أبو سعد يتعجب — وهو على مذاهب الصوفية —
ثم قال لها [illegible] وكيف ليس له ذلك قالت لأنه تزوج بي [illegible] معناه في والآن هو
يذكر أن معناه قد انقضى مني وأما معناي فإنه قائم فيه ما انقضى ويجب عليه أن يصبر حتى
ينقضي معناي منه كما انقضى معناه مني فقال لي أبو سعد كيف ترى هذا الفقه ثم
أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب الإحياء
أن بعضهم قال للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم
وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام

[illegible] إلى هذا التخليط [illegible] الإنسان [illegible] ظاهرها
[illegible] حامد [illegible] بعض الصوفية [illegible] أبو [illegible]

الله أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما يقضي أشد علي من ذهاب ولدي
قلت لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكي هذه الأشياء في معرض استحسان
والرضى عن قائلها وهو يدري أن الدعاء والسؤال لا اعتراض وقال أحمد الغزالي
دخل يهودي إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي فقال له أريد أن أسلم على يديك
فقال لا ترد فاجتمع الناس وقالوا يا شيخ تمنعه من الإسلام فقال له تريد بلا بد
قال نعم قال له تبرأ من نفسك ومالك قال نعم قال هذا الإسلام عندي احملوه
الآن إلى الشيخ أبي حامد بعلم لا لا المنافقين يعني لا إله إلا الله قلت وهذا الكلام
أظهر عيباً من أن يعاب فإنه في غاية القبح ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من
أراد الإسلام ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرني محمد
ابن أحمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا علي الحسين بن محمد بن أحمد
الماسرجسي يحكي عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى
ابن ماسرجس أخوين نصرانيين فتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما
فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى
وعبد الله بن المبارك خارج في هذه السنة إلى الحج وإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم
عند المسلمين فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على
نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت وهذه المحنة إنما جلبها
الجهل بمعرفة قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز
تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذي قال لليهودي ما قال لأنه يريد
الإسلام وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع لمع المتصوفة قال كان سهل
ابن عبد الله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له إذا أردت أن تشتكي فقل أوه
فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه المؤمن ولا تقل أوخ فإنه اسم من أسماء
الشيطان فهذه نبذة من كلام القوم وفهمهم تنبه على علمهم وسوء فهمهم وكثرة
خطئهم وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن علي المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله
ابن عطا الهروي يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت
أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامي يقول سمعت

على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد ابن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر

﴿ ذكر تلبيس إبليس في الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن وقال عمر عند موته الويل لعمر إن لم يغفر له وقال ابن مسعود ليتنى إذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها ليتنى كنت نسياً منسياً وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى

قال المصنف رحمه الله وانما صدرت هذه الدعاوى من السادة لقوة علمهم بالله ورؤية العلم به يورث الخوف والخشية قال الله عز وجل ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » فلما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم ورأوها لخصهم من اللطف ما لم يروا الكرامات فانبسطوا بالدعاوى

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا ابو الفضل محمد بن على السهلكى قال سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى يقول نا أبو بكر عمر بن يحيى نا أبو عمر الرهاوى نا أحمد بن محمد الحريرى قال سمعت أبا موسى الديبلى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول وددت إن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال إنى اعلم أن جهنم إذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن ابى صادق نا ابن باكويه نا إبراهيم ابن محمد بن حسين بن علويه نا طيفور بن عيسى نا أبو موسى السلمى قال سمعت أبا يزيد يقول إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار فاسأله أن يدخلنى النار فقيل له لم قال حتى يعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه

قال المصنف رحمه الله هذا الكلام من أقبح الاقوال لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال ﴿ وإنه النار التى وقودها

الناس والحجارة) وقال (إذ رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) إلى غير ذلك من الآيات وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا إسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا له الصحابة والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها ، أخرجاه في الصحيحين وفي أفراد مسلم من من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، اخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا أبو علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر بن الخطاب يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر رضي الله عنه مليا ثم أفاق قال زدنا يا كعب قلت يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر ملياً ثم أفاق وقال زدنا يا كعب قلت يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا على ركبتيه [illegible] لا أسألك إلا [illegible] أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال سمعت كعب الاحبار يقول إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتني بجهنم فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم زفرت الثالثة [illegible] الحناجر [illegible] العقول [illegible] كل امرئ إلى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتي لا أسألك إلا [illegible] لا أسألك

إلا نفسي وإن عيسى ليقول بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني
قلت وقد روينا أن النبي ﷺ قال يا جبرائيل مالي أرى ميكائيل لا يضحك فقال
ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لي عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصي الله
فيجعلني فيها وبكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت امرأته مالك تبكي قال أنبئت
أني وارد ولم أنبأ أني صادر

قال المصنف رحمه الله فإذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم
المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هان عند هذا المدعي ثم
إنه يقطع لنفسه بما لا يدري به من الولاية والاتحاد وقد قطع بالنجاة إلا لقوم مخصوصين
من الصحابة وقد قال ﷺ من قال إني في الجنة فهو في النار هذا محمد بن واسع
يقول عند موته يا إخوتاه أتدرون أين يذهب بي يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو
إلى النار أو يعفو عني قلت وهذا إن صح عن هذا المدعي فهذا غاية من تلبيس إبليس
وقد كان ابن عقيل يقول قد حكي عن أبي يزيد أنه قال وما النار والله لئن رأيتها
لأطفأتها بطرف مرقعتي أو نحو هذا قال ومن قال هذا كائناً من كان فهو زنديق يجب
قتله فإن الأهوال التي عظمها الحق لأنها [illegible] الخلق [illegible] الطاعة [illegible] لا يؤمن
لا يرتجع وربما قال ناجيتني [illegible] وقيل هذا [illegible] إلى رحمته تجعله
فإذا ارتجع قيل له هذه جذوة من نار [illegible] وأنبأنا [illegible] أبو الفضل السهلكي قال
سمعت أبا عبد الله السراري يقول نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن
ابن علويه يقول سمعت طيفور الصغير [illegible] عمي حاتم أبي يزيد يقول
سمعت أبا يزيد يقول سبحاني [illegible] ما أعظم شأني [illegible] إن جنتي من نفسي حسبي
قلت هذا إن صح عنه فربما كانوا [illegible] أن يكون قد ذكر تمجيد
الحق نفسه فقال فيه سبحاني [illegible] لا [illegible] نفسه وقد تأوله له الجنيد
دنيء إن لم يرجع إلى ما قاله فلعن [illegible] وأنبأنا [illegible] السهلكي نا محمد بن القاسم
الفارسي سمعت الحسن بن علي الذاكر [illegible] يقول قال الجنيد إن أبا يزيد
يقول سبحاني سبحاني أنا ربي الأعلى وقال الجنيد إن الرجل مستهلك في شهود
الجلال فنطق بما استهلكه [illegible] إلا الحق [illegible]

قلت وهذا من الخرافات أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب ، وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول نا أحمد بن أبى نصر الكوفانى نا الحسن بن محمد بن فورى نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أحمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ماقال أبو يزيد لأن فرعون قال « أنا ربكم الأعلى » والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدار وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله قلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك قلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لانا لو سمعنا رجلا يقول « لا إله إلا أنا » علمنا أنه يقرأ وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا نعرف هذا أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن أحمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدبيلى قال سمعت أبا يزيد يقول كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى قال الشيرازى وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبو يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت ، وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت ، وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت قال الشيرازى وسمعت محمد بن داودية يقول سمعت عبد الله بن [illegible] موسى الدبيلى يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » قال أنا اللوح المحفوظ قال الشيرازى وسمعت المطهر بن عيسى المراغى يقول سمعت ... يقول سمعت أبا موسى الدبيلى يقول قلت لأبى يزيد بلغنا عنك أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف قال فلى واحد رهمى وواحد روحى وواحد قلت وبلغنى أن واحداً فانه على باب اسرافيل وقال وأنا ذلك الواحد مثلى مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر قال السهلكى وقرأ رجل عند أبى يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه وقيل لأبى يزيد بلغنا أنك من السبعة قال أنا كل السبعة وقيل له إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال والله ان لوائى أعظم من لواء محمد لوائى من نور تحته الجن والانس

كلهم مع الدنس ، وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الارض يعرف أنا هو وهو أنا وهو هو أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن أبى عمران ثنا منصور بن عبد الله قال سمعت أبى يقول قيل لابى يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الارض ، فقال أنا كل السبعة ، انبأنا ابن ناصر نا ابو الفضل السهلكى قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسين الفارسى يقول سمعت ابا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على ابن سلام يقول دخل أبو يزيد المدينة فتبعه من الناس خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » فقالوا جن أبو يزيد فتركوه ، قال الفارسى وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابورى قال سمعت أبا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالى على بن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حماد يقول سمعت عمى وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد قال سمعت أبى يقول قال أبو يزيد رفعنى مرة حتى قمت بين يديه فقال لى يا أبا يزيد إن خلقى يحبون أن يروك فقلت يا عزيزى وأنا أحب أن يرونى فقال يا ابا يزيد إنى أريد أن أريكهم فقلت يا عزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وانا لا أقدر على مخالفتك فزينى بوحدانيتك ، وألبسنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بى ذلك وأقامنى وزينى ورفعنى ، ثم قال اخرج إلى خلقى فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى على فنادى ردوا حبيبى فانه لا يصبر عنى ساعة أنبأنا ابن ناصر نا السهلكى قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ يقول سمعت محمد بن عبد الله الفقيه يقول سمعت أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت أبا موسى يقول حكى عن أبى يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله تعالى وأنا ما اردت ان أرى الله تعالى هو أراد ان يرانى أخبرنا ابو بكر ابن حبيب نا ابو سعيد بن ابى صادق الحيرى نا ابن عبد الله ابن باكويه نا ابو الطيب بن الفرغانى قال سمعت أحمد بن محمد يقول دخل على أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أبا يزيد البسطامى يقول «

ان كان فى سابق علمك أنك ... أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقى حتى لا تسع غيرى

قال المصنف رحمه الله ... وأما هذا القول فخطأ من ... أوجه أحدها أنه ... سابق علمك وقد علمنا قطعاً أنه لابد من ... كفرعون وأبى لهب فكيف يجوز ان ... كان ... قوله فعظم خلقى فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى ... على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل ... هذه النار أو واقياً من نفسه بالصبر وكلا الامرين ... قال والله لقد تكلمت أمس مع الجسر فى المسألة وكان ... الله عز وجل سمع كلامى فلم تعب علىّ ولو عاب ... إلى العذر لكان ينبغى أن ... حسن قوله ... قول ... أنه كان سمى نفسه الكذاب ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال المصنف ... على ...

هذه ثمرة ... إلا لعامه ...

الله كل لسانه ...

[illegible]

هذه ...

قال ...

[illegible]

من ...

يعقوب فقال قلت وعزتك إني لم أخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواق لأغرقن نفسي في دجلة. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت قال أخبرني عبد الصمد بن الخطيب نا الحسين بن الحسن الهمذاني قال سمعت جعفراً الخلدي سمعت الجنيد يقول سمعت النوري يقول: كنت بالرقة فجاءني المريدون الذين كانوا بها وقالوا نخرج نصطاد السمك فقالوا لي يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة تكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص فقلت يا مولاي إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين نفسي في الفرات. فأخرجت سمكة فوزنها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان. قال الجنيد فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمي نفسك؟ قال نعم. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط قال قال لي أبو الحسين النوري كان في نفسي من هذه الكرامات شيء فأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا أكل سنتا [illegible] قال فبلغ ذلك الجنيد فقال كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين ابن أحمد الفارسي يقول سمعت الرقي يقول سمعت علي بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول الخير دني إليه [illegible]

قال المصنف رحمه الله [illegible] لم [illegible] معرفة فعظم [illegible] كما يعظم [illegible] أخبرنا [illegible] نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه [illegible] أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك. أخبرنا [illegible] بن أبي القاسم [illegible] بن محمد ابن الفضل الكرماني نا سهل بن علي [illegible] وأخبرنا [illegible] بن أبي نصر نا الحسين بن محمد [illegible] قالا نا [illegible] أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني يقول [illegible] إلى أن خرجنا من الدار [illegible] نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدي نا أبو بكر [illegible]

نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصور بن عبد الله يقول دخل قوم على الشبلي في مرض موته الذي مات فيه فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول

إن سلطان حبـــه قال لاأقبـــل الرشا
فسلوه فديتـــه ما لقتلي تحرشـــا

قال ابن عقيل وقد حكي عن الشبلي أنه قال أن الله سبحانه وتعالى قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والله لا يرضى محمد ﷺ وفي النار من أمته أحد ثم قال إن محمداً يشفع في أمته وأشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار كيف وقد لعن في الخمر عشرة فدعوى أنه لا يرضى بعذب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى قال ابن عقيل الذي يحكى في حق أهل البدع لسانى وقلبي ولو اتسعت قدرتي في السيف لروت الثرى من ما حلق

أخبرنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن أحمد نا أبو طاهر محمد ابن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبدالله العلوي صاحب أبا العباس بن عطا سمعت أبا العباس بن عطاء يقول قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ميتاً ما رجع منهم أحد قال وذهب ماله، وذهب عقله، وذهب ولده وأهله فبقى بحكم العلية سبع سنين أو نحوها وكان أول شيء قاله بعد صحوه من علته

حقاً أقول لقد كلفتني شططا حملى هواك وصبرى إن ذا عجب

قلت فلله عجب الرجل أمر أن يسأل البلاء رق، وإن البلاء معنى التقاوى وذلك من أقبح القبيح و السطط - الجور ولا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغير، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد ابن علي بن خلف نا محمد بن الحسين السلمي سمعت أبا الحسين علي بن إبراهيم الحصري

يقول دعونى وبلائى ألست أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، إذا كان اول الدن دردى كيف يكون آخره قال وقال الحصرى كنت ربما إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق

قال المصنف رحمه الله قلت أما القول الاول فانه تسلط على الأنبياء جرأة وقحة وسوء أدب أما الثانى فخالف لما أمر الله عز وجل به فانه قال « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » ، اخبرنا أبو بكر بن ابى طاهر نا عباد بن ابراهيم النسوى نا محمد ابن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبى عطية سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبلها وغيروا معانيها باسامى أحدثوها سموا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصا ، والخروج عن الحق شطحاً ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا والإ والعلم وبذاءة اللسان ملامة وما هذا طريق القوم وقال ابن عقيل ... المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والمنكرة ... وقالوا فى المرد ان شب وفى المعشوقة أخت وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب وجد ... مباح اللهو والبطالة رباط وهذا التغيير للاسماء لا يبيح

﴿ بيان جملة مرويه على الصوفية من الافعال المنكرة ﴾

قلت قد سبق ذكر أفعال كثيرة سيم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من أمهات الأفعال وعجائبها أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرمانى نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال ذكر عن أبى الكرنبى وكان أستاذ الجنيد أنه أصابته جنابة وكان عليه مرقعة ... الى شاطئ ... والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة برده فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج وقال عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف على فلم تجف عليه شهراً

أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد نا ابن علي ابن ثابت ثنا عبد العزيز ابن علي ثنا علي بن عبدالله الهمداني ثنا الخلدي ثني جنيد قال سمعت أبا جعفر ابن الكريني يقول أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح تسخن لك الماء أو تدخل حماماً والا أعنت على نفسك فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى في طول عمري يجب له علي حق لا أجد المسارعة إليه وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر آليت لا أغتسل إلا في نهر وآليت لا أغتسل إلا في نهر وآليت لا اغتسلت إلا في مرقعتي هذه وآليت لا أعصرها وآليت لا أجففها في شمس أو كما قال قلت قد سبق في ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريني وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا وإنما للناس لمن أي فعلت الحسن الجميل ويحكونه عنه لسن فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب إلقائه في الماء البارد، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد ولعله قد بقي من معاطفه ما لم يصل إليه الماء لكثافة هذه المرقعة، وبقاء الماء عليه مثله شهراً وذلك يمنعه لذة النوم وكل هذا الفعل خطأ وإثم وربما كان ذلك سببا لمرضه أو قتله

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قال أخبرنا حمد بن أحمد بن عبد الله الاصبهاني، قال كانت أم علي زوجة أحمد بن خضرويه قد أحلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي فحملها إليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها فلما قال لها أحمد رأيت منك عجبا أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد قالت لأني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي وكلما نظرت إليك رجعت إليّ حظوظ نفسي فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني قال تعلم الفتوة من زوجتك أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه سمعت أبا بكر القاري « وقال فرية بطرسوس » سمعت أبا بكر السالك سمعت يوسف ابن الحسين يقول كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يؤمر به فجاءه يوماً وهو يتكلم في المجلس فقال إن التنور قد

سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك فقال أبو سليمان الحقوه فإن بيني وبينه عهداً أن لا يخالفني في شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤوا إلى التنور فوجدوه قاعداً في وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش

قال المصنف رحمه الله هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم أن يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت [illegible] الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر بن علي أخبرني عبد الله بن إبراهيم الخرقي [illegible] الدار [illegible] كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له أعطني [illegible] الذي دفعته لك قال نعم فدفعه إليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت ما معي الساعة شيء [illegible] قد ترددت إليك مراراً فلم أرك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير إن أتيتني بهما ولم تجديني فارمي بهما في دجلة فإني إذا حسبت أخذت بهما فقلت للمرأة كيف يأخذ من دجلة [illegible] لما خير هذا التفتيش فضول منك افعلي ما أمرتك قالت إن شاء الله [illegible] المرأة قال أبو الحسن فجئت من الغد وكان خير غائباً وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة في دجلة وإذا [illegible] بالخرقة [illegible] وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط [illegible] فإذا [illegible] الخرقة على ظهرها [illegible] أحدهما فقال [illegible] كذا وكذا فقال [illegible] أن لا [illegible] إلى ذلك

قال المصنف رحمه الله [illegible] مثل هذا [illegible] ولو صح لم [illegible]

مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفي الصحيح أن النبي ﷺ « نهى عن إضاعة المال » . ولا يلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الورثاني سمعت علي بن عبد الرحيم يقول دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره فقال طالبتني نفسي بأكل التمر فجعلت أدافعها وتأبى علي فخرجت فاشتريت فلما أن أكلت قلت لها قومي فصلي فأبت علي فقلت لله علي إن قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا في التشهد فما قعدت . قلت من سمع هذا من الجهال ظن أنه أحسن هذه المجاهدة ولا يدري أن هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقاً من الراحة . وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء قال كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل قال وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء [illegible] ورد [illegible] فإن رأى [illegible] [illegible] لا يلتفت إليه وإن رأى الكبر [illegible] ومن الملائكة وسلطه [illegible] على ذلك [illegible] في بيت الماء [illegible] يكنس [illegible] وإن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم [illegible] وإن رآه [illegible] بالصوم [illegible] أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء [illegible] اللحم أصلاً .

قلت وإني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة

وكيف يحل الصيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم الى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً كيف يحل مثل هذا في الشرع وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وهل يحل صب مسلم بلا سبب وهل يجوز للمسلم ان يتأخر عن ذلك وكيف يجوز ... الك ... سقط فيه الحساب اذا ... كيف ... الى

... منصوب

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي نا أبو علي عبد الله بن ابراهيم النيسابوري ثنا أبو الحسن علي بن جهضم ثنا أبو صالح ... عن ... علي ... قال كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد ... فقال له ذات يوم يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً البتة فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ... قال ولم يا استاذ قال لانك محجوب بنفسك فقال له أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال نعم ولكنك لم تقبل قال بلى أقبل وأعمل ما تقول قال ابو يزيد اذهب الساعة إلى الحجام ... رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس واتزر ... في عنقك مخلاة ... الى ... من صفعني صفعة أعطيته جوزة ... الى سوق ... يعظم فيه ... يا أبا يزيد سبحان الله تقول لي ... أهل ... ابو يزيد ... الله شركت قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال يا أبا يزيد هذا ليس اقدر عليه ولا أفعله ولكن دلني على غيره حتى أفعله فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال لا أطيق ... قال انك لا تقبل

قال المصنف رحمه الله قلت ليس في شرعنا بحمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام ليس للمؤمن أن يذل نفسه وهذه فاحشة ... ... لا ... في قصة

الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » . كل هذا للإبقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فيضر

وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء عن يحيى بن معاذ أنه قال قلت لأبي يزيد هل سأل الله تعالى المعرفة فقال عزت عليه أن يعرفها سواه . قلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى في الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسع أحداً من المسلمين جهله وإن كان يشير له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به

وحكى أبو حامد أن أبا تراب النخشبي قال لمريد له لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة . قلت وهذا فوق الجنون بدرجات

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت في قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام . قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل ، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في المنهي عنه . وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي ، وقد عدم [illegible] قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا [illegible] من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفي بالسياسة . وكيف يحل
[illegible] ذلك

عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك ، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب أحمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ ، وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبى من هذا الفقيه المسلك عن الفقه بالتصوف أكثر من عجبى من هذا المسلك الشاب

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه سمعت محمد ابن احمد النجارى يقول كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوماً من الايام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع وقد ركز فى الطباع أن الانسان لا يحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحى من العرى وكشف الرأس والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الاهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل فهو إسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعله على رأسه

وقد جاء فى الحديث « الاكل فى السوق دناءة » فان الله قد أكرم الادمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس وقد سمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها فقيل له لم تعزل فقال بلغنى أن العزل مكروه فقيل له وما بلغك أن الزنا حرام وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الارض

أخبرنا ابن حبيب نا ابن ابى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن الدينى يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكنت بسعدى فرأى ذلك النهر رجل فقال لأصحابنا [illegible] على شاطئ النهر [illegible] مطروحة ونعلا وخرقة فجمعهما رفاقه هذه [illegible] ونحن [illegible] فلما سمعت همهمة وخبطا فى الماء فنظرنا فإذا أبو الحسين النورى قد ألقى نفسه فى الماء

والطين وهو يخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الشاب له هزلت إليه فنظر إلى ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بي قد أماتني موتات وقال لي مالك منا إلا الذكر الذي لسائر الناس وأخذ يبكي ويقول ترى ما يفعل بي فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا السباع بالليل يدخل القرية وكان حوالي القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين فلما سمع النوري هذا الحديث قام فرمى بنفسه في الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول أين أنت يا سبع فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب ، فلما كان قرب الصبح جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقي أربعين يوماً لا يمشي على رجليه فسألته أي شيء كان ذلك الحال قال لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه

قلت لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين وكيف يجوز للإنسان أن يلقي نفسه في ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله ترى ما يفعل بي وما وجه هذا انبساط ويدعي أن يخف الأنس في أقوالها هيبة ثم ما الذي يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع وهل يجوز في الشرع أن يلقي الإنسان نفسه أتري أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب أخبرنا ابن ناصر أخبرنا عبد الله بن عبد الله بن جعفر ثنا على بن أبي صادق ثنا ابن باكويه ثنا يعقوب الخواط ثنا أبو أحمد المغازي قال رأيت النوري وقد حمل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول من الخلق أوحشتني ، ومن النفس والمال والدنيا أفقرني ويقول ما بقي إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فاطح برأسك الحائط أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني ثنا سهل بن علي الخشاب ثنا عبد الله بن علي السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول جاء أبو الحسين

النوري ثلاثمائة دينار من ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحداً واحداً منها
إلى الماء ويقول حبيبي تريد أن تخدعني بك عن مثل هذا قال السراج فقال بعض
الناس لو أنفقها في سبيل الله كان خيراً له فقال إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله
طرفة عين كان الواجب أن يرميها في البحر دفعة واحدة حتى يكون أسرع للخلاص
من فتنتها كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) قلت لقد أبعد
هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ
المال وأن لا يسلم إلا إلى رشيد، وجعله قواماً للآدمي، والعقل يشهد بأنه إنما خلق
للمصالح فإذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع،
واعتذار السراج له أقبح من فعله لأنه إن كان خاف فتنته فيمكن أن يرميه إلى فقير
ومحتاج، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يصح مسح
السوق والأعناق، وظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز في شريعة، وإنما
مسح يده عليها وقال أنت في سبيل الله وقد مضى بيان هذا، وقال أبو نصر السراج
في كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج، خرج أستاذي يوماً يتطهر فأخذت كمه
ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان لليلات لم يأكل شيئاً
فلما رجع قلت له، في كمك كذا وكذا درهماً ونحن جياع، فقال أخذته؟ رده ثم
قال لي بعد ذلك خذه واشتر به شيئاً، فقلت له، بحق معبودك ما أمر هذه القطع
فقال لم يرزقني الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان
يوم القيامة رددتها إلى الله وأقول هذا الذي أعطيتني من الدنيا أخبرنا ابن حبيب
نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الحوال
سمعت أبا عبد الله الحصري يقول مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم
بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب
ما يفطر عليه

قال المصنف رحمه الله قلت لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على
الاكتساب لم يفعل، ولو قدرنا جوازها فأين الأنفة من ذل الطلب، أخبرنا
هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل

ثى أبى ىىا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزه بن عبد الله ابن عمر عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لا يزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم قال أحمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجىء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

قلت انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله ، وفى حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى — والمرة — القوة وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل إذا أحكمت فتله فمعنى المرة فى الحديث شدة أسر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب قال الشافعى رضى الله عنه لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب أخبرنا عبدالرحمن ابن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد الماليني قال سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فيرى رجلا على السطح والآخر على الدار فسمعته يقول ابن أطرف الارمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى يا بنى ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا دبكا يساوى دانقين

قال المصنف رحمه الله هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان أحدهما مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معينا على نفسه ولا شك أنه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصيه ، والثانى أنه منع عينه حظها من النوم وقد قال ﷺ أن لجسدك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقا وقال إذا نعس أحدكم فليرقد ومن يحمل قد مدبه ربت فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الاحاديث فى كتابنا هذا أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الاردستانى نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول كنا نصحب أبا الحسين بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث ، فأضافنا إنسان فطلبنا نشرط أن

لا تدخل علينا أباك ، فقال لا تدخل فدخلنا داره فلما أكلنا إذا نحن بالشبلي وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة — ثمان شموع — فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه ، فقال يا ساده عدوني فيما بينكم طشت شموع ، ثم قال أين غلامي أبو العباس فتقدم اليه فقال غن الصوت الذي كنت تغني

ولما بلغ الحيرة حادي جملي حارا
قلت احطط بها رحلي ولا تغفل من سارا (١)

فغنيته فنفر وألقى الشموع من يده وخرج أخبرنا ابن ناصر نا اهقة الله ابن عبدالله الواسطي نا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ نا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس نا الحسن ابن عبدالرحمن الصفار قال خرج الشبلي يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وبعصب بعصابة وهو يقول

للناس فطر وعيد اني فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا التنوخي نا أبو الحسن علي ابن محمد أبي صابر الدلال قال وقفت على الشبلي في قبة الشعرا في جامع المنصور والناس يجتمعون عليه فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له في الثالثه تنح والا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوي جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلي

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد اخطأ طريق الشرع لانه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لا لتعبد وباسناد عن أحمد بن محمد النهاوندي يقول مات للشبلي ابن ولد كان

---

(١) [illegible]

اسمه علماً حرّت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال حرت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود وباسناد عن عبد الله بن علي السراج قال ربما كان الشبلي يلبس ثياباً ثمينة ... ثم ينزعها فيضعها فوق النار ، قال وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار ... قال دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله ... اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج : وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع إليهم شيئاً ، فسمع قارئاً يقرأ واحداً من أهله فقال لهم ؟ ... واحداً منهم قال وهذا الرجل ظن أن الذي يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ولو كلمهم كلام إهانة فأي شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج : وقال الشبلي يوماً في مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاهما من إناء واحد وباسناد عن أبي علي الدقاق يقول بلغني أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم

قال المصنف رحمه الله وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذي نفسه وهو سبب للعمى ولا يحصل به إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال وباسناد عن أبي عبد الله الرازي قال كسا ابن ... صوفاً فرأيت على رأس الشبلي قلنسوة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه التفت إلي فلما دخل داره قال انزع الصوف فنزعته فطواه وطرح القلنسوة عليه ودعى بنار فأحرقهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها في دجلة وقال ، ما أعزك أحد إلا أذله الله ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه وباسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قال حدثني من كان يخالط لسان أنه قال أنه تعذر على قوتي يوماً وجئت صرورة ... أب قطعة ذهب مطروحة في الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذي روي ، لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً

لكان قوت المسلم منها حلالاً ، فأخذتها وتركتها في فمي ومشيت غير بعيد فإذا أنا خلفه فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد : متى يجد العبد حقيقة الصدق ، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمي ورميتها

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء إن رميه إياها لا يجوز ، والعجب أنه رماها بقول صبي لا يدري ما قال ، وقد حكى أبو حامد الغزالي ان شيخاً البلخي جاء إلى ابو القاسم الزاهد وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له اي شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لي وقال أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً وأغلق الباب في وجهي ودخل

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف جعل مستبعداً على فعل جائز بل مندوب لأن الانسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ، ولذلك قال الله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقد ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وادخر الباقي ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد ، وبإسناد [illegible] العياني قال رأيت بالمصيصة شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما [illegible] قال إني [illegible] النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أستوفي منها فغمضت عيني منذ [illegible] فلم افتحها ، وقد حكى لنا [illegible] أحمد [illegible] النظر إلى الدنيا [illegible] إسراف فليس يكون قصده ان ينظر إلى [illegible] سلامة [illegible] حكى [illegible] أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الخوري انه كان [illegible] هذه اللقمة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء [illegible] أحدهم في الخلا [illegible] وما أكنسه وأطعمه قال لي [illegible] أحد [illegible] فقال [illegible] عباد الله [illegible] وأخرجوني وعلوني ، قال [illegible] أنظروا الى هذا المسكين كيف اعتقد مع الاصحاب حلفه [illegible] ان [illegible] إنما [illegible] وقد قال ذلك [illegible] الاصحاب [illegible] الذى فعله معصية توجب العقوبة

وفي الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبطهم وبإسناد عن محمد بن علي الكتاني يقول دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسي أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التي حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من اعتقد هذا رياضة

وبإسناد عن أبي عبد الله بن مفلح يقول كان عندنا فقير صوفي في الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً فقال يا رب إما أن تطعمني وإما أن ترميني من شرف المسجد ، فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ويقول إيش بالي بقيل العالم ، قلت قبل الله هذا ولا أحياه في مقابلة هذا الانبساط هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية وبإسناد عن غلام خليل قال رأيت فقيراً يعدو ويلهث ويقول أشهدكم على الله هو ذا يقتلني ، وسقط ميتاً

(فصل) ومن الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفي القوم طائفة تطهر وتبدي من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وقال في حق ماعز ألا سترته بثوبك يا هزال ، واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع امرأة زوجته ، فقال له إنها صفية وقد علم الناس التحاشي عن ما يوجب سوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله في الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة فغابه قوم من الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به وقد نقل ما قدمه وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إني لمست امرأة وقبلتها ، فقال تب إلى الله ولا تخبر أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال إني أصبت من امرأة حدثته ما دون الزنا يا رسول الله قال ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال أما علمت أن الصلاة تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إني فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جاءت عليه المؤمن

(فصل) وقد اندس في الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاءت به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم في شهواتها لم يجدوا شيئاً يحصنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم في الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله، والقسم الثاني قوم يقرون بالاسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين. القسم الاول يقلدون في أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها. والأصل الذي نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر في مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذي هو طلب العلم فصاروا يبغضون إسم العلم كما يبغض الرافضي اسم أبي بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا لاتباعهم هذا موافق لنا في الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد في خلافهم قالوا هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود، ثم عملوا في شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم، فقد بطل إنكارهم العلم. وأنا اذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهي ست شبهات

الشبهة الاولى — أنهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة في القدم وأن أقواماً خصوا بالسعادة، وأقواماً بالشقاوة، والسعيد لا يشقى، والشقي لا يسعد، والاعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، وقد سبقنا وجود الاعمال فلا وجه لاتعاب النفس في عمل ولا كفها عن ملذوذ لان المكتوب في القدم واقع لا محالة

والجواب في هذه الشبهة أن يقال لهم هذا رد جميع الشرائع وابطال جميع أحكام الكتب وتبكيت للانبياء عليهم فيما جاءوا به لانه إذا قال في القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا إن كنت سعيداً فمصيري إلى السعادة وإن كنت شقياً فمصيري إلى

الشقاوة فهذا معنى إقامة الصلاة وكذلك إذا قال ولا تقربوا الزنا تقول القائل لماذا أمنع نفسي ملذتها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك إلى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم تترقى إلى الخالق فيقول ما فائدة ارسالك الرسل ويستحسرى ما قدرته وما يفضى إلى رد الكتاب ويجهل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل ، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم أن للآدمي كسباً هو اختياره فعليه . . . . . . فاد . . . . . . الله عز وجل قضى في السابق بأن . . . . لا حق قضاءه ولهذا نعنف القاتل ولا نعذره بالقدر، وإنما . . الرسول من . . . . . إلى العمل لأن الأمر والنهي حال ظاهر والقدر من ذلك . . باطن وليس لنا . . نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من قول « فكل ميسر لما خلق له » إشارة إلى أسباب القدر ، فإنه من قضى له بالعلم يسر له طلبه . . . . وفهمه ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه وكذلك من قضى له . . . له . . . ، ومن لم يقض له . . . لم . . . له

الشبهة الثامنة أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا . . . . . . معصية كانت أو طاعة فلا معنى أن . . . أنفسنا في غير فائدة

* وجواب هذه الشبهة . . . . الأول . . . . على . . . . كلم من الشبهة . . . . أن الله عز وجل . . . طاعة أو . . . معصية أو . . . بذلك عرضاً فما عرف الله . . . . . لأنه . . . عن الأعراض والأعراض ومن . . . أو ضرر وإنما . . . الأعمال . . . . قال عز وجل (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه . . . تزكى فإنما . . . لنفسه) وإنما . . . الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا . . . الطبيب . . . . . . مصالح من الأغذية . . . . . . من مصالح من العلم و . . . والإعتقاد . . . . من المصالح هذا . . . . أكثر الناس . . . أعماله لا . . . . وهو أنه إذا كان . . . من أعمالنا كان . . . . أوجب علينا معرفته ،

فكذلك أوجب طاعته، فينبغي أن ينظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره(١)

الشبهة الثالثة: قالوا قد ثبتت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاءت به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك وبالغت في ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس في هذا أن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويؤخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة، فالخليل يقول يوم القيامة نفسي نفسي، والكليم يقول نفسي نفسي، وهذا عمر رضي الله عنه يقول الويل لعمر إن لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع وقد قال الله عز وجل: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) يعني أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، وقد قال معروف الكرخي رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس في الأفعال التي تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أحداثه وانتقامه فإن من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا

الشبهة الرابعة: أن قوما منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفا قالوا: ما لنا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل. وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا

---

(١) الجواب الأخير لم يرد في النسخة الثانية

مراد الشرع ولا تتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل، ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لأنه يوصل إلى الشهوات المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) وما قال والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته إذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شره شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبى الجاهل يأكل ما تشتهى ولا يبالى بما جنى

الشبهة الخامسة أن قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة يرجع إلى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا أن من أثر جوهرهم ارتفاع الحشمة عنهم حتى أنهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبى فلم يقشعر جلده فان اقشعر جلده فهو ملتفت إلى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه وسموا الغيرة نفسا وسموا ذهاب الحشمة الذى هو وصف الخنافيث كمال الايمان وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الرونديه كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته

وكشف هذه الشبهة أنه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل إلى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدره إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شىء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسقية النفس والعمل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخا ثم أهمل عادت السقية تنحدر ومن ادعى تغير

طمعه كذب ومن قال إني لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء
لو فاتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى تعودهم ، وقد رأينا
أقواماً منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة
وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يواخون النسا ويخلون بهن ثم يدعون السلامه وقد رأوا
أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع
منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردي وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز وبإسناد عن
ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الأخوة فيقول أحدهم
للمرأة تواخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن
علي الترمذي الحكيم في كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن علي المروزي
كان يقول لامرأة أخيه وهي معه في الدار استتري مني زماناً ثم قال لها كوني كيف
شئت قال الترمذي ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أما موت الشهوة فهذا
لا يتصور مع حياة الآدمي وإنما تضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه
يشتهي اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر
والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر بإسناد عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قيل
لأبي نصر النصراباذي أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم في رؤيتهن
فقال ما دامت الأشباح قائمة فإن الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن
يجترئ على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو علي الروذباري وسئل
عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن
إلى سقر وبإسناد عن الجريري يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة
فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله
عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة
والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، وأن العارفين بالله أخذوا
الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام أنقص من أعمال البر ذرة إلا
أن يحال بي دونها لأنه أوكد في معرفتي به وأقوى في حالي وبإسناد عن أبي محمد المرتعش

يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنه ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه

الشبهة السادسة أن أقواما بالغوا في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شيء ومن وصل إلى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال إلا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قهر تعبد وخوف قال وتعبد أن شيء من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة « ويحذركم الله نفسه » وعلم أن المعتقدات أكثرها يقتضي الأنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للانساك والاستعمال فأبان عن حقائق الإيمان به فقال « وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » وقال « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما يقول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية

وباسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط

عاتبهن عنرهن ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت قد تعزيت فقال لها هنا غير فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار ، وتصفو الأرواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات قال فقالت النساء إذا شئت قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا قال المحسن قوله هنا غير أي هنا غير موافق المذهب فقالت لا غير أي ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممازحة في الوطء وقوله لتلتقي الأنوار عندهم أن في كل جسم نوراً إلهياً وقوله الاخلافات أي تكون لكل خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن قال المحسن وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الاسلام ، قال وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا

(فصل) ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والاقوال ما لا يحل مثل ما ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلما وعابوهم حتى عابهم مشايخهم

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي قال كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا فقلت له يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال ويحك ومسلمين هم قال فضحك حتى استلقى قال فقال لي بعض جلسائه ياهذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكاً قط

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق وعنه أيضاً أنه قال ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعي

ودعوا الذين اذا اتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال ابو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير الا واحداً عبد الله بن مرزوق قال وانا أرق لهم

وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول ما رأيت صوفياً عاقلا إلا ادريس الخولانى قال السلمى هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلا إلا مسلم الخواص وباسناد عن أحمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول مازلنا نعرف الصوفية بالحماقة إلا أنهم يستترون بالحديث وباسناد عن سفيان عن عاصم يقول قال لى وكيع لم تركت حديث هشام قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً فقالوا إن لم تمح حديث هشام فارقناك فأطعتهم قال إن فيهم حمقاً وبإسناد عن يحى بن يحى قال الخوارج أحب إلى من الصوفية وباسناد عن يحى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب أن الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به وتسلطوا على أبى يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم أحمد بن أبى الحوارى وسهل التسترى وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى قال جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال عز على لو رآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط قلت على هذا كان أشياخنا

فأما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم قال ابن عقيل نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه توجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مباح البطالة وهى الاربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للاكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلبعاً والمشاود بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلمع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وعاصى الاموال

كالعدد والآحاد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المراد في السماعات يجعلونهم في الجوع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة الأجانب يعتصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً ، والدعوة وقتاً ، واقتسام ثياب الناس حكماً ، ولا يخرجون عن بيت دعوا اليه إلا عن الزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم(١) فان عولوا إلى مرتبة شيخه فقل الشيخ لا يعترض عليه فخذ من حال رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في تلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفي الأفعال المعلومة كونها في الشريعة فسقاً فان قبّل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة ولبس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف وان المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم والضرب بدل من الخطاب ، ولو كان لنا شيخ نسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد قال إن اعوججت فقوموني ولم يقل فسلموا إلى ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه فهذا عمر يقول ما بالنا نقصر وقد أمنا وآخر يقول نهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر يقول أمرتنا بالفسخ ، لم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة (أتجعل فيها) ويقول موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ، وإنما هذه الكلمة جعلتها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطة يسلكوها على الاتباع والمريدين كما قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم تضره ما فعل وهذه نهاية الزندقة لأن الفقها أجمعوا على أنه لا حالة تنتهي إليها العارف إلا وتضيق

---

(١) قوله فان عولوا إلى قوله في الشريعة فسقاً غير منتظم والمعنى غير خفي على المتأمل وهذا الجمل غير موجودة في النسختين

عليه التكليف كأحوال الأنبياء يتسابقون فى الصغائر فالله الله فى الاصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الاثبات وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع ولم تتجاسر الزنادقة إن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع وإن سمعوا أحداً يروى حديثا قالوا مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لاجلها الاموال، لان الفقها كالاطبا والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هولاء كالنفقة على المغنيات وبعضهم الفقها أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم ينهونهم عن ضلالهم وفسقهم والحق ثقيل كما تثقل الزكاة وما أخف البذل على المغنيات وإعطا الشعراء على المدائح وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشىء سموه الحشيش والمعجون والغنا المحرم، سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دغمسة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكاليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات

قال ابن عقيل فإن قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يصنعوا طريقة يخدعون بها قلوب أمثالكم لم يدع لهم عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفل على الموائد ومحاسن بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة المكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فإذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فهم دائرون به قلوب أرباب الاموال واعـــلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من

معارفه الحاعة ولا أصعب علهم من حجر ومع صدر عن أوامر "سوع ونواهه وما على السريعة أصر من المسكلمين والمصوفين فهولاء بفسدون عقائد الناس سوهمات شبهات العقول وهولاء بفسدون الأعمال ويهدمون قواس الأدبان يحبون البطالات وسماع الاصوات وما كان السلف كدلك بل كانوا في باب العقائد عبيدا يسلم وفى الباب الآحر أرباب حد قال ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يفرع أفكارهم كلام المسكلمين ولا بصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفيه والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغايه هولاء الشك وغايه هولاء الشطح

قال ابن عقيل والمتكلمون عندى خير من الصوفيه لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون الشبهه وأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفاره والنبوات فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا أخذوا علمهم ميتاً عن ميت فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع ومن أزرى على طريق سقط الاخذ به ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح أنه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع وما يؤمن هذا القائل حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال عز وجل (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وهذا هو الظاهر لانه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم يثبت حراسته من الوساوس وهولاء يسمون ما يقرب خاطراً قال والخوارج على الشريعه كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعه حفظا لاصلها ، وبالفقهاء لمعانيها وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً يرتفع

قال ابن عقيل والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لان الصوفيه قد أجازوا لبس النساء الخرقه من الرجال الاجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستحلاء بعض الاشخاص بعض فصارت الدعوه عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتفسد المرأة على زوجها فان طابت نفس

الروح سمى بالدبوث وإن حسبها طلبت الفرقة إلى بلبس منه المرقعة والاحلاط بمن لا يصبى الحناق ولا يحجر على الطباع وبقال بات فلانة وألبسها الشيح الخرقة وقد صارت من شأنه ولم يصغوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون ويرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً مليحاً فهماً أنشدنا أبو على عبد الله الراعونى فقال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبرى قالا أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية

تأملت امر المدعين	من الموالى ومن العبد
فألفيت أكثرهم كالسراب	يروقك منظره من بعيد
فنادت بأقوم من يعمدون	فكل أشار بفقد الوجود
فبعض أشار إلى نفسه	واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى حرفه رفعت	وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبـــد أهواءه	وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهـــد وفيه ربه	فإن تاب تاب بليل عتيد
وذو كلف باستماع الغنا	ء من البسط ومن النشيد
من إذا أومضت زينة	وزار منها رشا الاسود
يخرق جلبابه عامــــداً	ليعتاض منها ثوب جديد
ويرمى بهيكله فى السعير	لقلع الثريد وبلع العصيد
فما للرجال ألا يعجبون	لشيطان إخواننا ذا المريد
يحطهم بفنون الجنون	وما للمحاسن عنهم القعود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال	وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفا لاهل الوفا	سلقتهم بلسان حديد
فمالى بطالبنى بالوصال	من ليس يعلم ما فى الصدود
أصن بودى وسحو به	وقد كنت أسحو به للودود
ولكن إذا لم أجد صاحبا	يسر صديقى ويشجو الحسود

عظمت نودى مى إلىه فهاب محوسى وآب السعود
فا مال هوى على حهلهم بعر العرمد وأس الوحد
ادا أبصرونى نكوا رحمة وسران أحمادهم فى وهود
لأنى نعدت عن المدعين ولوصدقوا كنت عبرالعمد

أحمرنا محمد س ماصر الحافظ نا أبا الحسن س عىد الحبار الصيرفى نا أبو عىد الله محمد ان على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عىد الرحمن س عمر التحيى قال أنشد الحسن س على س سىار

رأىت قوما علىهم سمة الحـ ـىر يحمل الركاة مسهله
اعىرلوا الناس فى حوامعهم سألت عنهم فقىل مسكله
صوفىة للقصا صاره ساكنه تحت حكمه برله
فقلت إذ داك هولاء هم الـ ـناس ومن دون هولاء رزله
فلم أرل حادماً لهم زمنا حتى بىنت أنهم سفله
ان اكلوا كان أكلهم سرفا أو لبسوا كان شهره مثله
سل سخىهم والكىر محىرا عن قرصه لاتحاله عقله
واسأله عن وصف سادن عىح مدلل لا تراه قد جهله
علىهم بىنهم إذا حلسوا كعلم راعى لرعاع والردله
الوقف والحال والحمىمة والـ ـبرهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كى ىرو اصلحا وهم شرار الدىاب والحدله
وحانبوا الكسب والمعاس لكى ىسأصلوا الناس سرها أكله
ولىس من عفة ولادعه لـكن ىحمل راحه العطله
فقل لمن مال ناحىداعهم الىهم تب فانهم ىطله
واستغفر الله من كلامهم ولا تعاود لعسره الحهله

قال الصورى وأنشدنى بعض شىوخنا

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
صار التصوف صىحة وتواحداً ومطمقه

كذلك نفسك ليس ذا سنن الطرق الملحمة
حتى تكون بعين من منه العيون المحدقة
يجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم كذبوك ماصافوا ولكن صافوا
سحر الخلاف فلونهم وبح له عرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

﴿ الباب الحادى عشر ﴾
﴿ فى ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ﴾

قد بينا فيما تقدم أن إبليس إنما يتمكن من الانسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الانسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال رأيت ليلة القدر وإن كان فى غيره قال قد فتحت لى أبواب السماء وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كرامة وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالا إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن حسان قال كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة فعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهاده وكان إذا أخذ فى التحميد لم يسمع السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال فكتب إلى أبيه يا أبتاه عجل علي فانى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن يكون من الشيطان قال فزاده أبوه غياً ، فكتب إليه يا بنى أقبل على ما أمرت به إن الله

نقول (هل أنشكم على من سرل الشاطس سرل على كل أفاك أثيم) ولست نأفاك ولا
أثيم فامص لما أمرت نه وكان يحيء إلى أهل المساحد رحلا رحلا فيذكر لهم أمره وناحد
عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى برصى فيل وإلا كتم عليه، وكان يريهم الأعاحيب،
كان يأتى إلى رخامة فى المسحد فينقرها بيده فتسبح وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء
ويقول أحرحوا حتى أريكم الملائكة فيحرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على
خيل، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة
فقال له إنى نبى فقال له القاسم كذبت يا عدو الله فقال له أبو إدريس بئس ما صنعت
إذا لم تلن له حتى تأخذه الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه
بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه وخرج عبد الملك حتى نزل
العسيره[1] فاتهم عامة عسكره بالحارث ان يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى
بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان
رجل من أهل البصره قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره
بأمره وأنه نبى مبعوث مرسل فقال إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر قال
فانظر فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى
قلبى وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد
الدخول فأقبل البصرى يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من
أخص الناس به ثم قال له ائذن لى فقال إلى أين قال إلى البصره فأكون أول داع لك
بها قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصنبره فلما دنا من سرادقه صاح
النصيحة النصيحة فقال أهل العسكر وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر
الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة
قال وما نصيحتك قال أخلنى لا يكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادن قال
ادن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح
عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال يا أمير المؤمنين

(١) هكذا فى نسخة وفى نسخة أخرى الصنبره بنقط مهمله وقد ضبط بذلك والفهم
والله أعلم

هو ست المقدس قد عرف مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال
أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا فباشرني بما شئت قال يا أمير المؤمنين
ابعث معي قوما لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانه فقال انطلقوا مع
هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً
هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به فلما قدم بيت المقدس أعطاه
الكتاب فقال مرنى بما شئت فقال اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وادفع
كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فاذا قلت أسرجوا أسرجوا
جميعا فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث
فأتى الباب فقال للحاجب استأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح
قال أعلمه أنى ما رجعت إلا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره
بفتح الباب قال ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كالنهار ثم
من مر بكم فاضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده
فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السما قال فطلبه فى
شق قد هيأه سربا فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه
إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال
أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامنا
فهات كرامك أنت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت
فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة
عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون الانبيا لا يجوز فيهم السلاح فلما رأى ذلك
رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتحسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه
بها فأنفذها فقتله ، قال الوليد بلغنى أن خالد بن يزيد بن معاويه دخل على عبد الملك
ابن مروان فقال لو حضرتك ما أمرتك بقتله قال ولم قال إنما كان به المذهب فلو جوعه
ذهب عنه وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدما قال لما حمل الحارث على البريد
وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس
تلى هذه الآية (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى إلى ربى)

فتلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الارض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على غمة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه وسمعت من قال قال عبد الملك للذي ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها

(فصل) وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسين عن أبي عمر قال قال لي فرقد يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضرسي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فبينا أنا أمشي على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص فقال تصدق بها فانها ليست لك قلت أبو عمران هو إبراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعدالاغترار عنهم وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة وإنما لم يأمره بتعريفها لان مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار وكأنه إنما أمره بالتصدق لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها وباسناد عن إبراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت قلت في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله وإن ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقرئ يقرأ على ابن العلاف وكان يأوي إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمي به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم

إلى علام بالغرب إلى المسجد الذى يأوى إليه السرمقانى أن يحمل لبابه مفتاحا من خشب أن يعلمه فقعل ويقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل العلام ذلك وكان يحمله على الدوام فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحاً فى القفل ورأى الباب مغلقاً فتعجب وقال فى نفسه هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدنى

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حاله وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه فقال له ابن العلاف يجب أن يدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار

(فصل) ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشيا ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول سمعت زهرون يقول كنت فى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فهب فرأيت طائراً أبيض فقال لى يا زهرون أتيت تائه فقلت يا شيطان غر غيرى فقال لى أتيت تائه فقلت يا شيطان غر غيرى فوثب فى الثالثة وصار على كتفى وقال ما أنا بشيطان أتيت تائه أرسلت إليك ثم غاب عنى وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشى قال حدثنى محمد ابن يحيى بن عمرو قال حدثنى رجل قال قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك قالت وما أرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى ما لم أفعل قال القرشى وزادنى غير ابن حاتم أنها قالت يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى ، ويطبخ لى القدر بغير نار ولو رأيت مثل هذا فزعت منه قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب فهل تجدين شيئاً فيه قالت يا ابن أخى لو وجدت فى منزلى شيئاً ما مسسته ولا وضعت يدى عليه قال القرشى وحدثنى محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو وحدثنى رجل عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة فى يوم بارد قالت فنازعتنى نفسى

إلى شيء من الطعام السحر أفطر عليه وكان عندي شحم فقلت لو كان عندي بصل أو كراث فالحيه فإذا عصفور قد جاء فسقط على السقف في منقاره بصلة فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان وبالإسناد عن محمد بن يزيد قال كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبي عثمان النيسابوري يقول خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكا شديداً فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك فقال نعم رأيت اجتماعكم حولي قد طابت قلوبكم فوقع في قلبي لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجري له النيل فأجراه قلت فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي فهذا الذي أزعجني

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا الحسين بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمي قال حدثني أبي قال قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل كذا في الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا [illegible] كه فاتته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد في [illegible] ود [illegible] تكروه [illegible] ودلو ومطهرة عند البئر سجر [illegible] ما حمل فأقام في المسجد [illegible] فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح [illegible] عال الخوص فلما دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة، وتقدم فصلى بهم فلما فرغ [illegible]

---

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيها مشددة التيس الجبلي

صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة
وانصرف. قال وبت على فاقتي فلما كان في الوقت الذي أخذوا فيه الرمان أقبلوا
أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم في الإسلام وبي فاقة شديدة
فلا كلموني ولا أسمعوني فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح
ما معك وراء هذا الجبل في الوادي وارجع إلينا حتى تنال ما نال. قال فرقيت الجبل
فلم تسمح نفسي برمي ما معي فدفنته ورجعت فقال لي رميت ما معك قلت نعم
قال فرأيت شيئاً قلت لا، قال ما رميت شيئاً إذن فارجع فارم به في الوادي
فرجعت ففعلت فإذا قد غشيني مثل الدرع نور الولاية فرجعت فإذا في الشجرة رمانة
فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضي إلى مكة فإذا أنا
بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إلي بأجمعهم يسألونني عن حالي ويسلمون علي
فقلت قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامي أولاً فما في
لغير الله موضع

قال المصنف رحمه الله: عمرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم والآدمي وأبوه
مجهولان ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون
الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال وقوله غشيني نور الولاية فهذه حكاية
مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها
الجهال الذين لا بصيرة لهم. أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكي قال سمعت محمد
ابن علي الواعظ قال وفيما أفادني بعض الصوفية حاكياً عن الجنيد قال قال
أبو موسى الدبيلي، دخلت على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لي تعال
ثم قال إن رجلاً سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء فدار دوراناً حتى
صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال أحمد بن خضرويه بقي منه قطعة كقطعة جوهر
فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك
الفص حتى لم يبق منه شيء، قلت وهذه المحالة الفضيحة التي وضعوها الجهال ولولا أن
الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الإضراب عن ذكرها أولى. أنبأنا أبو بكر
ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق قال نا ابن باكويه قال نا أبو حسمة البغدادي قال

ساعدالعز بز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء

قال المصنف رحمه الله هذا كذب محال لا شك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكيف يكون صالحاً وهو مخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه الشيطان لما قال له الق نفسك قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه

(فصل) وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لاصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السائحة فيقوم ويمشى والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق وقد قال له بعض الحاضرين يوما هذه الدراهم معروفة ولكن اومن بك إذا أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق الى وقت صلبه

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن أحمد ابن عمار الصيرفى نا أبو عمرو بن حيوه قال لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته فقال لاصحابه لا يهولنكم هذا فانى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا من اعتقاده وتخليطه وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظن أن هذا كرامة قال ابن عقيل وكان ابن السقاء وأبوه قبله لهم طيور سواتى أصدقائهم فى جميع البلاد فتنزل بهم فيرفع طائراً فى الحال إلى قريتهم يخبر من له هناك بزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما يحدث هناك بعدهم

فل أن يجمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجمع بهم فيخبرهم
بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حدث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم
بما يحدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة يحدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون
إلى رساتيقهم فيحدثون الامر على ما قال ويكرر هذا منه فيصير عندهم كالمقطوع على
أنه يعلم الغيب قال وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله بلفكا
ويجعل فى الفلك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامه بلفكا ويشد فى طرف الفلك كتابا
أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له فى السطح[1]
والحمامه بيد آخر فيه ما فى تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فيظهر الناس
الكتاب وهو طائر فى الهوا فيروح الحمام إلى تلك القريه فيأخذه صديقه الذى هناك
ثم يخبره بجميع أمور القريه وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى
يا بارش كأنه يخاطب شيطاناً اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قريه فلان فقد
جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه
المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السما بحضرة الجماعة يرونه عياناً
عن غير أن يرون الفلك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع
الفلك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الامر وكذلك يفعل بالحمامة
ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر ما فى
القريه الى هولاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القريه فيشد به بلفكا ويجعله
فى رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده
فى رجل طير حمام فيروح إلى تلك القريه بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد
أتاه خبرهم بالمشاجره فيخرج الجماعه الذين من تلك القريه فيحدثون كتاب الشيخ قد
وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القريه وأصلحوا بينهم فيجىء ذلك فيخبرهم فلا يشكون
فى ذلك أنه يعلم الغيب ويحقق هذا فى قلوب العوام

قال ابن عقيل وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم إلى التلاعب

---

(١) الغلام فى بعض النسخ هكذا بالنصب وفى بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو
أن ابن الشناس كان يتخذ غلاما فى السطح لاجل ما ذكر

بالدين فأي بقاء للشريعة مع هذا الحال قلت وابن الشباس هذا كان يكنى أبا
عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس علي بن الحسن محمد بن
البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه
مشهورين بالبصرة وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من
الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت في التاريخ عن ابن الشباس أن بعض
أصحابه انكشفت له نار مخاريقه وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض
أصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث
به عنه أنه قال حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه
ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة
فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولم نر للنار أثرا ولا للرماد ولا للعظام خبرا قال
فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضي إلى سرداب وبينهما طبق نحاس
بلولب فإذا أراد إزالة النار عنه حركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذا أراد أن
تظهر النار أعاد الطبق إلى فم السرداب فيرى للناس

قال المصنف رحمه الله وقد رأينا في زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول هؤلاء
ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا إلي وأخذ رجل
في زماننا إبريقا جديدا فترك فيه عسلا فتشرب في الخزف طعم العسل واستصحب
الابريق في سفره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل
وما في هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر تلبيس ابليس على العوام ﴾

قد بينا أن إبليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أنس فيما فتن به العوام
وحصر ما فيهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات
ما يستدل به على جنسه والله الموفق فمن ذلك أنه يأتي إلى العامي فيحمله على التفكر
في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه
أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يسألون حتى يقولوا هذا الله
خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة فوالله إني لجالس يوما إذ قال لي رجل من أهل

العراق هـــذا الله خلقنا فمن خلق الله قال أبو هريرة فجعلت أصبعي في أذني ثم صحت ـ صدق رسول الله ـ الله الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

وباسناد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك ، فيقول الله ، فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول الله فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله

قال المصنف رحمه الله وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئا إلا مفعولا ، ولو قيل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان لا فى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا يحتاج شيء وحسبك تفكر من هذا لانه ما ألف شيئا إلا فى مكان فلا تطلب بالحس من لا يعرف بالحس وشاور عقلك فانه نعم المشاوره وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته فمنهم من يخص بعصبيته ابا بكر رضى الله عنه ومنهم من يخص عليا وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكرخ وأهل باب البصره على ممر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم وقد يخص العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له إبليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد بعدما بالفناء بعد بنائها ومنهم من يستبعد البعث ومن هؤلاء من يحمل عليه مقصوده و يبلى بلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى وربما غلب فاجر نصرانى يوماً فقتله او ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب ولماذا نصلى إذا كان الامر كذلك وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لاخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يرضى عن عمل نفسه بالنى بمخالفة العلماء فى خالفت فتواهم عرضه أحد يرد عليهم ويقدح فيهم وقد كان ابن عقيل يقول قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله فى علمك ليس هذا من شغلك هذا ، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل

(فصل) ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزوج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم

(فصل) ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل (فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) ومن الله سبحانه فى إرسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)

(فصل) وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وإن خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها فترى المتمسكن يقول للعامى أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه ويقول هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر ثم يرون من هؤلاء المتمسكين أموراً لا تحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم

(فصل) ومن تلبيسه على العوام إطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فإذا وبخوا تكلموا

كلام الزنادقة فمنهم من يقول لا أترك نقداً لنسيئة ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس نقد لأنه محرم وإنما يخرج من النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فإذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة ثم لو علموا حقيقة الإيمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير ولوأنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذا فاتهم الربح الدائم وأوقعهم في العذاب الذي هو الخسران المبين الذي لا تلافي ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجا من الدين فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذي أهلك عامة المذنبين قال أبو عمرو بن العلا بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم يذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدرا فقالوا له لم تقذف المحصنات فقال أخبروني لو أذنبت إلى والدي ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوء جمرا قالوا لا إنما كانا يرحمانك قال فإني أوثق برحمة ربي منهما قلت وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم وبإسناد عن عباد قال الأصمعي كنت مع أبي نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود فقال لي أبي نواس والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود فقلت ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال مامنه بد ثم دنا من الحجر فجا الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قال انظروا إلى هذه الجرأة التي نظر فيها إلى الرحمة ونسي شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة في الكعبة فمسخا حجرين ابن دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل

فقال إناى يحوفون حدثى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لكل نبى شفاعى وإنى احتسبت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، أفترى لا أكون أنا منهم »

قال المصنف رحمه الله وخطأ هذا الرجل من وجهين أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب والثانى أنه نسى أن الرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل (وإنى لغفار لمن تاب) وقال (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون) وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الاباحة

(فصل) ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فعليه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل وبعضهم يقول ما قدر ذنبى حتى أعاقب ومن أنا حتى أؤاخذ ، وذنبى لا يضره وطاعتى لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم

من أنا عند الله حتى إذا أذنبت لا يغفر لى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند وسمع بن عقيل رحمه الله رجلا يقول من أنا حتى يعاقبنى الله فقال له أنت الذى لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى (يا أيها الناس) خطاباً لك ومنهم من يقول سأتوب وأصلح ، وكم من ساكن الأمل من أمله فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب وربما لم يهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم يقبل ثم لو قبلت بقى الحياء من الجناية أبداً فتراره خاطر المعصية حتى يذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلح عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه وبإسناد عن الحسن أنه قال إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فبغاك وإذا رآك مداوما على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول أنا من أولاد أبو بكر وهذا يقول أنا من أولاد علي وهذا يقول أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين أحدهما أنهم يقولون من أحب إنسانا أحب أولاده وأهله والثاني أن هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وإنما يحب من من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب تسري لسرى إلى البغض أيضا وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له «إنه ليس من أهلك» ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها «لا أغني عنك من الله شيئاً» ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها فمنهم من يقول أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصي وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصي فرض آخر فلا يكفي أحدهما عن صاحبه وكذلك يقول الروافض نحن ندفع عنا بولاء أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنه وجوابه كجواب الأول

(فصل) ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس فإنهم يسمون بالفتيان ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ويبنون على الاتكاد على الأموال ويسمون طريقهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنه أو أخيه كلمة ورز لا يصح وربما كانت من مخرص فقتلها ويدعون أن هذه فتوة وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل

أنه كان يقول كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول رحم الله أبا الهيثم قلت من أبو الهيثم ؟ فقال أبو الهيثم الحداد لما مددت يدى إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى تعرفنى قلت لا ، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين ، قلت أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد وكان يضرب المثل بصبره وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املأ لى جرابى عقارب ثم ادخل يدى فيه وأنه ليؤلمنى ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فى خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكنى وطنت نفسى على الصبر ، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل فقال أحب الرياسة فقال المتوكل نحن جلدنه وقال الفتح أنا جلدى وقال رجل لخالد ياخالد ما أنتم لحوم ودماء فتولمكم الضرب فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم وقال داود بن على لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم أليته من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم لا تحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم

قال المصنف رحمه الله فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير الهوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يطلبون لخالهم مرتبة وفضله مع ارتكاب العظائم

(فصل) ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموما سابق الإمام ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها فإن قيل له قال سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم جب نفسه وهذا من أفحش الفواحش

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور فى مجالس الذكر ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما سمع كان زيادة فى الحجة عليه وإنى لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس من الذنوب وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم ، وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به

(فصل) وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من اربعة أوجه أحدها من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الاجماع وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام» والثانى من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا إتكالا على العفو ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فيظن فيظن أن المخرج يدفع عنه ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده ومنهم من يحتال باعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص ومنهم من يخرج الردئ مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجرة ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له إبليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره

وباسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينيه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى ، وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال إن الشيطان يريد الانسان بكل ريبة فاذا أعياه اصطلجم فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا والثالث

من حيث الكثير بالأموال فان الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الانفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والاسراف ، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة السقوف وعمل الصور وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك وباسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل ومن هـــذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلبا للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعه فى رمضان ولقد كان أغنيا الفقرا بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الاضوا الكثيرة السرف الممنوع منه عن الريا بفعل عمله وقد كان أحمد ابن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلانة ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا جيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيرا ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فرآه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يضاعف للمعطى عند

كل مرتبة ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وباسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوي الرحم اثنتان صدقة وصلة » ومنهم من يعلم فضيلة الصدقة على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى وقد روي عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح »

قال المصنف رحمه الله ، وإنما قلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فإن من تصدق على ذي قرابة يحبه فقد أعان على هواه ومنهم من يتصدق وينسى على أهله في النفقة وقد روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » وباسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال تصدق به على نفسك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على ولدك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على خادمك قال عندي آخر قال أنت أبصر به » ومنهم من ينفق في الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس قال رجل لبشر الحافي قد أعددت ألفي درهم للحج فقال أحججت ؟ قال نعم ، قال اقض دين مدين قال ما تميل نفسي إلا إلى الحج قال مرادك أن تركب وتجيء ويقال فلان حاجي ومنهم من ينفق على الأوقات والربط ويرى الثواب على المعنى ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقرا وتطعمهم وقد بينا أن ذلك إنما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر في ذلك قربة وربما كانت له حشمة فقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلما فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة ومنهم من يجور في وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شا وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به وباسناد عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف في الوباه ، والوبا واد في جهنم » وعن الأعمش عن خيثمة قال قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بإنفاقه في غير حقه وأمنعه من حقه »

(فصل) وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فإن أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فإنما يستكثر من نار جهنم أخبرنا ابن الحصين بإسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر» وإن لم يفعل هذا الرجل من الناس شيئا وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رأى وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق فى ضمن نحله الشكوى من الله

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادى الهيئة فقال «هل لك من مال» قال نعم قال فلتر نعمة الله عليك» وإن كان فقيراً عفيفاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد

(فصل) ومن تلبيس إبليس على الفقرا أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وإن الخيرية ليست بالوجود والعدم وإنما هى بأمر وراء ذلك

(فصل) وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أســـلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى الرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هوانا بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد ثم ترى أحدهم يركع قبل الامام ويسجد قبل الامام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون قبل سلام الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شئ وذلك أمر لا يحمله الامام فتكون صـــلاته باطلة وربما ترك

أحدهم فرصة وراد فى نافلة ورىما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوءه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يعرفون حكم الشرع فيها ولا يخفى على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة وقل أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش وتغطية عيب ، والحلاء يغطى عيوب الذهب الردىء حتى أن المرأة تصبغ الغزل فى الابتداء وتنديه ليثقل وزنه

ومن حرباتهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ، ويغتاب الناس ، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فإن أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار فيا منه إن هذا الأمر قريب ومنهم من يرهن الدار على شىء ويودى ويقول هذا موضع ضرورة وربمـــا كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخزف مكان الصفر ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوبا أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه سئل عن الكهان ، فقال ليسوا بشىء فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشىء يكون حقاً فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ومن حرباتهم مع العادات كثرة الأيمان الحانثة التى أكثرها ظهاروهم لا يعدون فأكثر قولهم فى الأيمان حرام على أن يفعل ، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب وربما

يورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال إنكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يغير بل يخالطه مخالطه حبيب ، ومن عاداتهم أن يبني الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر ومنهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب إليتيه ويسلم نفسه إلى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هو إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر ومن عادتهم ترك القسام نحو الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظر الزوج أنه قد تخلص مما قد أسقطته عنه وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجته دون الأخرى فيجور فى القسم متهاونا بذلك ظنا أن الأمر فيه قريب فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من كانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر إحدى شقيه ساقطاً أو مائلا » ومن عاداتهم إثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس انه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدى حقاً ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضر به نفسه فى مدة استتاره وعنده إن الأمر فى ذلك قريب ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتبطء فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل بل أن يجد نجار الفأس والسقاء المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الاجارة وقلة نصحهم فى أعمالهم كثير ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا ويدفنون معه جملة من الثياب وهذا حرام لانه إضاعة للمال ويضعون اللوح على الميت ، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال « أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها

سربال من قطران ودرع من جرب ، ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية ، وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم ينامو هذه المدة في سطح ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد النار عندها وأخذ تراب القبر المعظم قال ابن عقيل لما ثقلت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ التراب تبركاً وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة فيسأل عن حكم يلزمه ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجره مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحاملون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلي ولم يكن معها نائحة ولم يعقد على أبيه أزجاً بالجص والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه

(فصل) وأما تلبيس إبليس على النسا فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها وقد وجب عليها الظهر وهي لا تعلم وفيهن من تؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام ، وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل إلى أن تطلع الشمس فإذا دخلت الحمام لم تستر تمرر وتقول مادخل الي إلا الدمة وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلي فمن أستتر وهذا كله حرام فإن تأخير الغسل بغير عذر ، لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة

ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنة وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلي المرأة عدة وهي تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة وقد تصح نجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل وقد تكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتتهاون به وقد تتسبب المرأة بإسقاط الحمل ولا تدري أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تتهاون بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فإنه يجب عليها أن تتوب وتؤدي ديته إلى ورثته وهي غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادي وما يشبه هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت في معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية ، ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة ومنهن من تلازم الصور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ومنهن من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى ويظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهي منهية عنه لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه في الصحيحين وقد تفرط المرأة في مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه وقد تعطي من يحجم لها بالحصى وتسحر ومن يعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجير تثقب آذان الأطفال وهو حرام فإن أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفي وصافحته فصارت من بنات المتمرخرجت إلى عجائب ، وتدعي أن تكشف عن العلم افتصاراً على هذه النبذة فإن هذا الأمر يطول ولو بسطنا النبذ المذكورة في هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل

على الكثير وقد اقتصرنا فى ذكر فاحش التلبيس من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله نعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

(فى ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل)

قال المصنف رحمه الله كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الاسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الانابة كما قال الشاعر

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أوانتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الامر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والاعراض عن الأمل فان المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير ، أو ميل إلى شر طول الامل فان الانسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أنه يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيرا فاترا ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفا ومن صور الموت عاجلا جد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف أنذركم سوف فانها أكبر جنود إبليس ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمثل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبا للرحيل وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهرا ، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور والمسوف يتجرع

مرير الندم وقت الرحلة فإذ كان في الطبع حب الدواني وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عدوه لا يفترعنه فإن افترى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين

تم والحمد لله أولا وآخراً

كلمة لمصححه وناشره

للمرة الأولى

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه وولاه.

أما بعد فيقول مصحح هذا الكتاب وناشره «محمد منير الدمشقي الأزهري» قد تم بحول الله وتوفيقه طبع «كتاب تلبيس إبليس» لعالم الآفاق وواعظ العراق الإمام الحافظ الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله وجعل الجنة مأواه

وقد بذلت جهدي في تصحيحه ومراجعة أصوله وكان لديّ حين شرعت في طبعه للمرة الأولى نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ ووجدت للمرة الثانية نسخة ثالثة فجاءت هذه الطبعة خيراً من سابقتها بكثير والحمد لله فنشكر الله على جزيل نعمه وسوابغ منه والله أرجو القبول فإنه خير مسؤول

فهرس

تلبيس ابليس

صحيفة

صحيفة

صحيفة